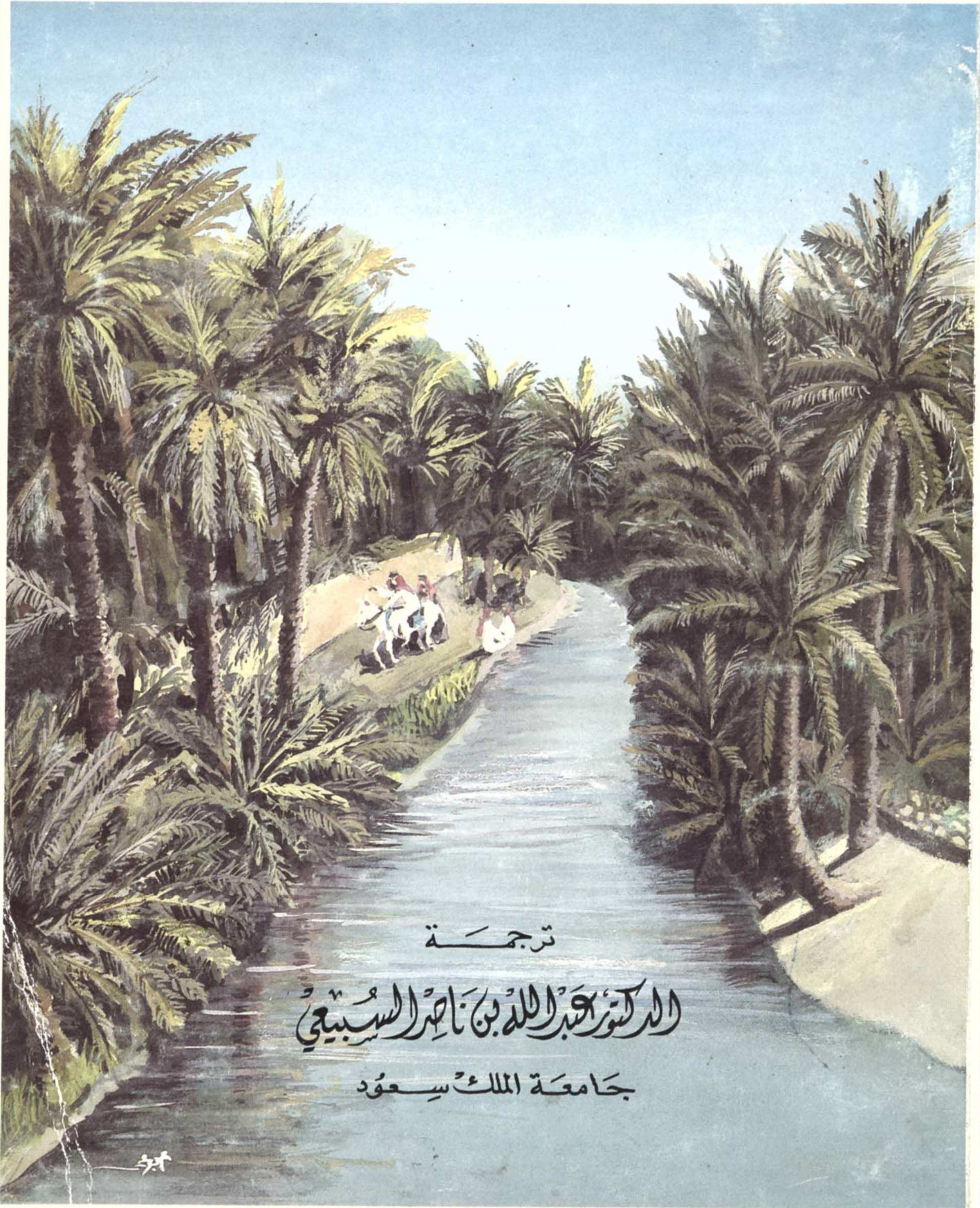
واحة الاحساء

تأليف : ف . ش . فيدال



ترجمة

الدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي

جامعة الملك سعود

(الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

وَاحَة الاحسَاءْ

تأليف

ف.ش فيدال

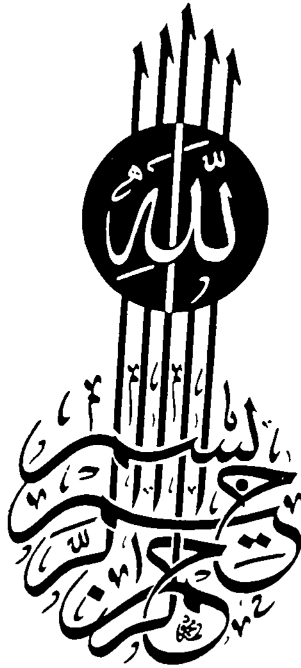
ترجمة

الدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي

جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



فهرس المحتويـــــات

قائمة بالصور والرسومات والبيانات والجداول الاحصائية

مقدمة المترجـــــم

يكاد تاريخ منطقة الاحساء بصورة عامة أن يكون مجهولاً ، إن لم يكن مفقوداً ، ناهيك عن الكتابة التاريخية الاجتماعية لهذا الجزء من البلاد فالجهل بها أكبر وقد صرح علامة الجزيرة العربية الاستاذ **حمـــد الجاســـــر** بهذا عند تقديمه للكتاب الوحيد الذي تعرض لتاريخ الاحساء وهو «تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد» لمؤلفه **محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر** ، مما يؤيد ما قلنا اذ وصف الاحساء بأنه قطر مهمل الكتابة عن تاريخه وعلل ذلك بقوله «إن معالم تاريخ الاحساء في كثير من حقب التاريخ ، لا يستطيع الباحث أن يهتدي إليه بسهولة ويسر ، وليس صحيحاً ما يقال أن العرب بعد الاسلام لم يتركوا خبراً من أخبارهم أو رواية إلا دونوها وفصلوها» وكان ذلك حين صدور هذا الكتاب في طبعته الاولى سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م . ولم يصدر بعد ذلك الكتاب رغم قصوره - ما يضيف جديداً على ما ورد فيه .

ولما كنت من الدارسين المهتمين بتاريخ الاقليم الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، فقد اجتهدت في اصدار ثلاث دراسات حول أثر اكتشاف النفط على النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بذلك الاقليم ، حاولت فيها استظهار المعلومات التاريخية والبئية والعنمية المتعلقة بتلك المنطقة ، وتحليل تلك المعلومات واستنتاج ما يمكن التوصل إليه .. وقد عانيت حين إعدادي لتلك الدراسات من شح المعلومات ونقص فاضح في المصادر .

أما الآن وقد استهواني تاريخ الاحساء وجذبني إليه .. وكان مما وقع بين يدي كتاب "The Oasis of Al-Hasa" «واحة الاحســـــاء» لمؤلفه **فيدريكو شمد فيدال F. S. Vidal** الذي صنفه في عام ١٩٥٢م عندما كان يعمل في شركة الزيت العربية الامريكية المعروفة برمز (ارامكـــو) مستفيداً من الفرصة التي اتيحت له عندمـــا طلبت الحكومة من الشركة رش الواحة : مبانيها وبساتينها ، مدنها وقراها بالمبيدات ضد البعوض والحشرات وذلك إن الشركة انتهزت تلك الفرصة ممثلة في قسم الابحاث العربية ، فأوعزت إلى **فيدال** هذا بأن يحاول جمع ما يمكن جمعه من

معلومات عن الاحساء التي تعد أكبر مدن الاقليم الشرقي في المملكة العربية السعودية وأقدمها وأكثرها أهمية . وكانت الشركة تفتقر إلى مثل تلك المعلومات وتتوق إلى الحصول عليها ، لكنها تخشى المبادرة بعملية مخصصة لهذا الغرض ، قد لاتحظى باستحسان الحكومة ولاتنال موافقتها . إلا أن عملية رش كامل واحة الاحساء جاءت مبرراً لتتخذه الشركة غطاء لذلك الدافع ، فكانت الثمرة هي كتاب فيدال هذا الذي قامت الشركة بطبعه باللغة الانجليزية عام ١٩٥٢م وتوزيعه توزيعاً محدوداً ، ثم تقدم به مؤلفه إلى جامعة هارفرد كموضوع لاطروحته لنيل درجة الدكتوراة عام ١٩٦٤م وقد اجيزت الاطروحة دون تغيير يذكر في مادة الكتاب .

وتكمن أهمية الكتاب في طريقة جمع مؤلفه للمعلومات ، اذ اعتمد الاسلوب الميداني والتحدث المباشر إلى ذوي العلاقة ، وجمع المعلومات في استمارات خاصة ومعاودة التأكد من معلوماته من مصادرها الاصلية ، وطريقة انتقائه لها فضلا عن اجادته للغة العربية ، وفي المساعدة التي تلقاها من قسم الابحاث العربية بشركة ارامكو ، وأقسامها الاخرى في تحليل كافة المعلومات وتقويم نتائجها .

وكان أحد الاسباب المهمة التي دفعتني لترجمته ، علاوة على ما يضيفه من معلومات قيمة عن تاريخ الاحساء الاجتماعي ، كونه ينفرد بمعلومات متميزة ودقيقة لم يسبقه إليها أحد من قبل عن قرى الاحساء ، ودراستها دراسة تفصيلية ، وتقديم قائمة – تكاد تكون كاملة – بأسمائها ، ووصفها وبيان أحوالها الاقتصادية والاجتماعية . وهي معلومات قد لا يحيط بها ابن الاحساء ، وكذلك دراسته القيمة للعيون والينابيع وآبار المياه في الاحساء ، وتحديد مواقعها جغرافيا وقد فاق في ذلك جميع ما بين أيدينا من مراجع عربية عنها .

ورغم أننا لا نتفق تماما مع ما جاء فيه من معلومات ، فقد التزمنا بترجمة الكتاب كاملاً دون تغيير مع الاستفادة من الاضافات التي اوردها المؤلف في رسالته للدكتوراة ، حينما يقتضي الامر ذلك ، أو عندما تقدم الاطروحة معلومة جديدة – وهذا أمر نادر بالفعل – ثم أننا قمنا بايراد بعض الايضافات والشروح والايضاحات المتعلقة ببعض المعلومات التاريخية وادرجناها في مكانها المناسب في الهامش مع

التنبيه إلى ذلك . وحرصنا على أن تكون ترجمة الكتاب ترجمة أمينة ودقيقة ما وسعنا الامر وفقاً للاعراف الاكاديمية للترجمة .

وأود أن أسجل شكري وتقديري للاستاذ الدكتور **سامي الصقـــار** والاستاذ الدكتور **عز الدين موســى** الاستاذين بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود اللذين تفضلا مشكورين بقراءة مسودة التعريب وابديا تصحيحات وملاحظات قيمة أخذت بعين الاعتبار . أرجو أن أكون قد وفقت في إخراج ترجمة هذه الدراسة لقراء العربية بصورة ملائمة ، وأن تضيف شيئاً مفيداً عن تاريخ الاحساء الاجتماعي .

والحمد لله على توفيقــه وعونــه ،،،

الرياض ١/٨/١٤١٠هـ

عبدالله ناصر السبيعي

مقدمة المؤلـــــف :

بعد تطور أعمال شركة الزيت العربية الامريكية (أرامكو) وامتدادها جنوبي منطقة بقيق - عين دار باتجاه العثمانية وحرض ، على امتداد منطقة عرفت أولا باسم طية النعلة المحدبة ، ومالبثت أن عرفت - عموما - باسم حقل الغوار ، ازداد اهتمام الشركة بمنطقة الاحساء وسكانها بشكل كبير ... وقد ازدادت أهمية هذه المنطقة بسبب تشغيل خط سكة حديد الحكومة السعودية[١] .

وكنتيجة طبيعية لهذه التطورات فقد أعطى لسكان الاحساء إهتمام أكبر من أجل المساهمة في تطوير هذين المشروعين الجديدين . ومع تعاظم انتاج حقل الغوار من النفط ، فان (أرامكو) لم تكن تتوقع فقط إمكان الاعتماد الواسع المؤكد لعملياتها في ذلك الحقل ، على بعض سلع الاحساء وخدماتها ، ومن بينها أعمال المقاولات وعمليات النقل والمواصلات ، وربما تأمين المواد الانشائية ومواد الطعام المحلية . بل أنها كانت تنظر إلى إنشاء علاقات أوثق مع المسئولين المحليين وكذلك حصول زيادة كبيرة في عدد الاحسائيين المتوقع انضمامهم مباشرة ضمن القوة البشرية العاملة في الشركة .

وقد استحوذ سؤال حيوي آخر على إهمتام الشركة يتعلق بواحة الاحساء ، وهو يختص بطبيعة البيئة السكانية للاحساء ، المتكونة من تركيبة لمجموعات ثقافية متباينة ، وعلاوة على التركيب الواضح للسكان والفروق المذهبية وأنماط السكن كان هناك تساؤل يدور حول مدى سعة الحجم والعمق والكيفية بالنسبة للاختلاف بين الفلاحين السنة والحرفيين والصناع الشيعة وبين البدو المستقرين بالمنطقة ؟ . وهل تنحصر هذه الاختلافات في مجرد مظاهر سطحية للماديات الحضارية والأواني وتشييد المنازل وأدوات الزينة الشخصية وما إلى ذلك ... أو أنها تصل إلى أعمق من ذلك ، وأنها عناصر مقنعة للبنية الاجتماعية وقيم الانظمة السائدة ؟ وهل هناك أي اختلافات بدنية مهمة بين تلك المجموعات الثلاث ؟ .

معروف أن بدو «الرقيقــة» و «الحــزم» لا يعتبرون أنفسهم ولا يعتبرهم

---

(١) وهو الخط الذي يصل الدمام بالرياض وقد تم افتتاحه في سنة ١٩٥١ (المترجم) .

سكان الواحة الاخرون احسائيي الاصل ، كما أن هؤلاء البدو من أهل هذين الموضعين قد تعلموا بالتجربة وتعودوا الاجابة حين سؤالهم عن أماكن إقامتهم المحلية بالاكتفاء بالاجابة «الرقيقة» و «الحزم» مما جعل المسؤولين عن التوظيف في الشركة في حيرة من أمرهم مما يدفعهم إلى طلب المزيد من الايضاح فتأتي الاجابة بأنهم قادمون من الهفوف . ونتيجة لذلك فالامر لا ينحصر في وجود أناس ذوي خلفيات حضارية مختلفة وأصول متباينة قد صنفوا سوية كمجموعة سكانية واحدة مثل «مغارات الهفوف» و «بساتين الهفوف» و «ينابيع الهفوف» اذ إنها جميعاً إصطلاحات خاطئة .

وإذا كان الامر كذلك ، فإن الاختلافات الحضارية بين بدو الاحساء ومزارعيها تبدو واضحة ، كما أعتقد بأنها موجودة الآن[1] وبأخذها في الاعتبار نسبياً ، فان عدد بدو الاحساء الملتحقين بالقوة العاملة بأرامكو يفوق عدد الملتحقين بها من فلاحي الاحساء . ويبدو أكثر احتمالاً ان الشركة قد استقدمت عنصراً مميزاً يتضح في احصائياتها وفي تقويمهم من قبلها .

ومن كل ما تقدم لا يتاح لنا في هذا الوقت معلومات يعتمد عليها حيال استعداد الاحسائيين أو ترددهم للالتحاق بأعمال الشركة أو حول إختيارهم لاماكن الاقامة والعمل ، وأفضليتهم وملاءمتهم لنوع معين من العمل أو لآخر .. وأمور مهمة أخرى . كما أننا لا نعلم الظروف ومدى المؤثرات التي تحدثها التغييرات الصناعية في كل من مجموعات الحضر والبدو .

وبأخذ هذه المشاكل ونتائجها المحتملة في الاعتبار ، فقد ظهر الشعور بالحاجة منذ زمن باهمية جعل الاحساء وسكانها موضوع دراسة خاصة ... وقد لاحت الفرصة لتحقيق إجراء مثل تلك الدراسة في خريف عام ١٩٥٢م بربطها مع برنامج مقاومة الملاريا في الواحة .. ولذا فالصفحات التالية تقدم النتائج التي تم التوصل إليها .. رغم أنه بقى عدد كبير من الاسئلة المشار إليها أعلاه بدون إجابة شافية غير انه يمكن القول أنه تم رسم خلفية وصفية للموضوع وبالتحديد ما يخص الجانبين

(١) اي عندما كتب المؤلف كتابه هذا في سنة ١٩٥٢م (المترجم)

الاقتصادي والجغرافي ... وتهيئة منطلق لدراسة مستقبلية شاملة حول الاحساء ومميزاتها والاطار البيئي الاساسي .

وقد استنفذ حوالي ستة عشر شهراً في الاعداد لهذا الكتاب ، منها ثلاثة شهور متواصلة في عمل ميداني ، اما الوقت المتبقي فقد قسم بين فترتين :

الفترة الاولى : فترة دامت حوالي شهرين كرست لجمع المعلومات التي وجدت في المصادر المكتوبة عن الاحساء وتدوينها .

والفترة الثانية : خصصت لتصنيف تلك المعلومات والملاحظات وكتابة النص النهائي للكتاب . وقد تم خلال مرحلة الكتابة القيام بحوالي عشرين رحلة عمل ميدانية إلى الاحساء تراوحت مددها ما بين يوم واحد وخمسة أيام من أجل متابعة بعض المعلومات أو التأكد من بعض النقاط الاستيضاحية القليلة ومراجعتها .

ورغم ان الكتاب يعد إلى حد ما نتيجة جهد مشترك إلا أن مسؤولية جمع المعلومات وتحليلها تبقى مسؤوليتي الكاملة . علماً بأن مسودة الكتاب قرئت كاملة من قبل أعضاء قسم الابحاث العربية وخاصة جورج رنتز G. S. Rentz و هـ . س . ميللر H.C. Muller ، ودبليو . اي . ميلجان W. E. Mulligan ، الذين اقترحوا إجراء مجموعة من التعديلات اللغوية وفي الصياغة ، وكذلك راجعوا ترجمة المفردات العربية ، ولفتوا انتباهي إلى مصادر ومراجع اضافية ، وقدموا عددا لا يحصى من المساهمات القيمة التي ادخلت على النص . وقد تم تجنب التفسيرات التي قد يؤدي ايرادها إلى مزالق خطرة رغم كونها تتضمن نقداً بناءاً . وعلاوة على ذلك فإنني شخصياً مدين لعدة أقسام في الشركة وأفراد من موظفي أرامكو لما قدموه من مساعدات جوهرية . فقد تمت الاستعانة ببعض المعلومات الاساسية اللازمة لخلفية الموضوع المستخرجة من الملفات الوثائقية وارشيف الصور الخاصة بارامكو ، فقد قدمت إدراة العلاقات العامة الصور وقامت إدارة التنقيب بمساعدة كبيرة بتجهيز مواد التصوير والخرائط والرسوم . وأخيراً وليس آخراً فقد هيأ قسم الوقاية الطبية الفرصة الاساسية للعمل الميداني . ومن بين الافراد من موظفي الشركة الذين كان لعونهم دور مهم ، أ . سي . سي . هل A. C. C. Hill الذي وافق على استخدام بعض

صوره الخاصة للاحساء ، و ر . ر . دكسون R. R. Dickson الذي راجع الفصل الخاص باقتصاد الاحساء ، وصحح بعض التحليلات للحقائق الاقتصادية . كما اتيح لي التعمق في تفصيلات متخصصة حول زراعة التمور من خلال عدة مقابلات تمت مع ر . دبليو . نكسون R. W. Nixon خبير الحكومة الامريكية في شؤون زراعة التمور ، والمشارك حالياً[1] في بحث ميداني من قبل إدارة التعاون التقني المعروفة باسم (النقطة الرابعة) والذي يجري لمصلحة الحكومة السعودية .

وللجميع ، ولعديد من الاصدقاء من بين موظفي الحكومة السعودية وشركة أرامكو ، وسكان الواحة الذين تفضلوا علي بتقديم ما لديهم من معرفة ودراية وإنطباعات شخصية عن الاحساء الشكر ، وإليهم يعود الفضل الاكبر في انجاز ما ورد في الصفحات التالية .

ف . ش . ف

الظهران ، المملكة العربية السعودية ، ومدينة نيويورك

أكتوبر ١٩٥٣م ، مايو ١٩٥٤م

(١) اي وقت اعداد الكتاب في سنة ١٩٥٢م . (المترجم) .

مدخـــــــل :

على الرغم من أن الوصول إلى واحة الاحساء كان أمرا ميسوراً نسبياً لقربها من ساحل الخليج العربي والذي كان لوقت طويل ممرا حيوياً مهماً جداً للتجارة ، إلا أنها بقيت مجهولة من غير أهلها ، فلم تحظ إلا باشارات عابرة في كثير من الأحيان . ويعزى ذلك لعدة أسباب منها : عدم توفر الأمن في طرق السفر إليها ، والاجراءات التي جعلت الرحلات إلى داخل شبه الجزيرة العربية في القرون الحديثة تتطلب ترخيصاً رسمياً من بعض الجهات ، اذ أن إنعدام الأمن قد بلغ في بعض المناسبات مدى عظيماً حتى طلب إلى زويمر Zwemer وشيزمان Cheesman قبل مغادرتهما الهفوف التوقيع على تعهد يعلنان فيه مسؤوليتهما الشخصية الكاملة عن حماية أرواحهما . وتبدو كل الدلائل شاهدة غالباً على ذلك بل انها في بعض الاوقات تصبح أكثر وضوحاً في روايات العديد من الرحالة العرب . ومن الاسباب أيضا الحقيقة التي مفادها أنه لا الاحساء ولا عاصمتها الهفوف كانت الهدف النهائي لرحلة أي مكتشف غربي ، فزوار الهفوف أو الاحساء كانوا بشكل عام يمرون بها في طريقهم إلى وجهة أخرى ، وهي في الغالب الرياض كالذي فعله فيلبي Philby والريحاني Rihani . ثم أن الرحالين الذين زاروا المنطقة كانوا أما من أصحاب المهمات السياسية (أو المهمات الاقتصادية في الوقت الحاضر) أو من المشتغلين بمجال معين ، مثل شيزمان وهاريسون Harrison ولهذا غطت ملاحظاتهما حقلاً متخصصاً ضيقاً فقط . وعلاوة على ذلك فالاحساء ، ربما بسبب قربها إلى الخليج العربي ، افتقدت بعض الرومانسية التي جذبت فيلبي وتوماس Thomas وآخرين إلى الربع الخالي .

وأخيراً وليس آخراً ، فالاحساء بمناظرها الطبيعية الرائعة غير المعتادة ، والتي لم تكن تمثل ما يمكن أن يعد مثالياً أو ممثلاً صادقاً لملامح البيئة الطبيعية لشبه الجزيرة العربية ، مما يجعل المرء يتفق مع ما قاله فون فيزمان Von Vissmann «بأن واحةالاحساء تعطي صورة مغايرة تماما لطبيعة شبه الجزيرة العربية»[١] وهذا يصدم توقعات الرحالة الأوربيين وتصوراتهم النابعة عن رغباتهم في التعرّف على داخل شبه الجزيرة العربية فهم يفضلون رؤية كثبان الصحراء والأراضي الحصباء في

---

(١) Von Wissmann, n.d., [1937] P. 205.

أماكن أكثر بعداً وإنعزالاً أكثر من تمتعهم برؤية مظاهر واحة الاحساء «غير العربية في طبيعتها» .

أما الرحالة الغربيون الذين قضوا وقتاً أطول في الواحة فهو بلغريف Palgrave وشيزمان Cheesman وماكيّ Mackie فيمكن تلخيص مواقفهم بالقول أن معلومات (بلغريف) جاءت متقطعة وغير موثوق بمعظمها .[١] أما شيزمان فقد كان بشكل رئيسي مهتماً بمراقبة الطيور وجمعها ، ورغم جمعه لمعلومات أساسية كثيرة حول الحياة الحيوانية في الاحساء ، إلا أنه أقتصر بشكل محدود ، بالنسبة لغرضنا ، على إهتمامه وجمعه لتلك المواد ومع ذلك فقد أعطانا معلومات متفرقة متعلقة بمواضيع أخرى .[٢] ويعد ماكي ، إلى حد كبير ، في طليعة من يعتمد على رواياتهم المتعلقة بجغرافية الاحساء المتوفرة في الوقت الحاضر .[٣] فقد حاول اعطاء صورة عامة واضحة عنها إلا أن مما يؤسف له أن نتائج عمله بقيت محصورة داخل نطاق ضيق بين مقالة في مجلة وما أشبه ولم تصل إلى توحيدها ونشرها في هيئة كتاب . ولكن لوريمر Lorimer ، رغم أنه شخصياً لم يصل إلى واحة الاحساء ، جمع معلومات متميزة وغنية عن المنطقة . ورغم أن روايته الجغرافية تتضمن في الحقيقة بعض الاخطاء وأنها عرضت في شكل دليل رسمي بدلاً من سرد متواصل ومستفيض ولذا فقد جاءت أقل إمتاعاً لقرائه ، وعلى الرغم من كل ذلك يعد حتى الآن متفوقاً على غيره في كمية المعلومات ودقتها .[٤]

أقام فيلبي في الواحة يومين فقط ، ومع ذلك فقد كان قادراً على جمع كمية من المعلومات المذهلة حقا بالنسبة للمدة القصيرة التي أمضاها فيها ولكن معلوماته غير كاملة وهي في بعض الاحيان غير دقيقة[٥] أما الآخرون ما عدا هاريسون[٦] وتوتيشل Twitchell[٧] فقد كانوا في تقاريرهم المتعلقة بمجالات اهتماماتهم الخاصة أما سطحية في غالبها أو مجرد تكرار لما قاله الغير ، دون أن يجشموا أنفسهم عناء مراجعة

(١) Palgrave, 1865.
(٢) Cheesman, 1926.
(٣) Mackie, 1924.
وقد أشار لوريمر في ص ٦٥٩ إلى مواد في أرشيف الهند لم يتح لنا الاطلاع عليها
(٤) Lorimer, 1908.
(٥) Philby, 1923, Vol. I.
(٦) Harrison, 1924.
(٧) Twitchell, Wathen and Hamilton, 1943, Twitchell, 1944, 1947.

الروايات التي وضعت من قبل زوار أوائل .

ومن غير المفهوم أنه رغم أن منطقة الاحساء قد تنقّل في ربوعها وزارهاالكثيرون وعرفوها منذ بدء منح إمتياز النفط ، إلا أنه لم تطرأ إضافات ذات قيمة بالنسبة لمعرفتنا عن الواحة ، ولا يعرف سبب ذلك . فحتى سنة ١٩٥٢ مثلاً كانت المنطقة الواقعة قرب قرية العمران - على حد ما نعلم - لم يرها إلا ثلاثة غرباء فقط ، وقرى القارة والجشة والقرى الواقعة على طريق العقير وطريق بقيق لم يرها إلا فريق من المنقبين الأوائل عن النفط . بينما بقيت بقية القرى غير معروفة وفي الغالب لم يزرها أحد . أما مدينة الهفوف وينابيع الحارة وعين أم سبعة وعين نجم وكذلك مغارة جبل القارة فقد نالت نصيبها القليل من زوار عطلة نهاية الاسبوع الذين ظلوا يكررون الملاحظات والصور نفسها ، مع تجنب مدينة المبرز . هذا وقد قامت شركة النفط بين الفينة والاخرى بجمع معلومات محددة تحتاجها عملياتها جمعتها من مواطنين ليسوا مؤهلين في الغالب وكان يظن أنهم من أهل المعرفة بالمنطقة وبالتالي تقبل رواياتهم كمعلومات صادقة وأصيلة دون تمحيص وباخطائها الجوهرية .

خلال الفترة من ٨ أكتوبر إلى ٢٣ ديسمبر ١٩٥١م وكعضو في برنامج الوقاية من الملاريا الذي عملت فيه مشرفا ميدانيا في واحة الاحساء . ومنذ أن مد برنامج الوقاية فقد قرر أن تنتهز هذه الفرصة لجمع أكثر ما يمكن من معلومات عامة عن الاحساء بقدر الامكان . والتقرير الحالي في معظمه مطور عن المعلومات المأخوذة خلال تلك الأشهر . وأحيانا دمجت بعض معلومات تم استيفأوها من مصادر أخرى ، وعند تطبيق هذا الأسلوب يوضح مصادرها ومراجعها . وقد نفذ مشروع الوقاية من الملاريا لرش داخل المباني وسطوحها في الواحة باستخدام مادة الـ د . د . ت . وقد أتاح هذا البرنامج فرصة ممتازة للاطلاع والتعرف على كل قرية في المنطقة ، وكانت من متطلبات عمليات البرنامج تكريس كامل الوقت للاشراف العملي . وجاء جمع المعلومات المعروضة هنا مصاحباً للبرنامج العملي . وعلاوة على ذلك فإن الغرض الاساسي لقسم الابحاث العربية كان جمع مواد وصفية عامة للواحة ، ونتيجة لذلك فقد اتصف العمل البحثي الميداني بالشمول أكثر من كونه مركزاً . ولهذه

الاسباب فهذا الكتاب يعد من عدة نواح غير كامل ويجب إعتباره عملاً أولياً . ثم أن الاستنتاجات في معظمها هي استنتاجات أولية ، ومعظم الارقام الواردة فيه هي أرقام تقريبية إلى حد كبير .

أما شرح المفردات الخاصة ، وقوائم أسماء القرى والايضاحات المتعلقة بأساليب جمع المعلومات ، وما إلى ذلك فقد وضعت في هيئة جداول وفصلت عن المحتوى الرئيسي للكتاب . هذا وقد ترجمت الكلمات العربية وفقاً للنظام المستخدم حالياً من قبل قسم الأبحاث العربية الملحق بادارة العلاقات الحكومية المحلية بارامكو .

الفصـــل الأول
معلومات عامة وجغرافية

أولاً : الاسم «الاحســـاء»★ ومعناه :

كان في الماضي ولا يزال هناك قدر من الارتباك حول الكتابة الصحيحة لاسم الاحساء وحول معنى الاسم في اللغات الاجنبية ، وكذلك فيما يتعلق بحدود المنطقة التي ينبغي أن تطلق عليها التسمية .

تحد خريطة بطليموس في كتاب اليمن السعيد Arabia Felix موقعاً باسم لاثاء Laththa في غربي شبه الجزيرة العربية .(١) بينما رسم سادلير Sadlier الاسم إملائياً كالتالي الحسا Lahsa ، الاحساء Lahissa ، أو الاحسا Ul Asha .(٢) بينما فضل زويمر تسمية حساء Hassa .(٣) واستخدم فيزمان حساء .(٤) ونقل نالينو Nallino

---

★ الاحساء بفتح الألف واسكان الحاء المهملة وفتح السين المهملة اسم كان يطلق إلى وقت قريب على مايعرف اليوم باسم المنطقة الشرقية . وتعرف أيضاً بأسم الاحساء .

وقد أوضح صاحب «معجم البلدان» المعنى اللغوي بقوله : الاحساء بالفتح والمد ، جمع حسى بكسر الحاء وسكون السين ، وهو الماء الذي تنشفه الارض من الرمل فاذا صار إلى صلابة أمسكته فيحفر عنه الرمل ويستخرج . ويضيف أن الحسى الرمل المتراكم أسفله جبل صلد فاذا مطر الرمل نشف عنه ماء المطر فاذا أنتهى إلى الجبل الذي تحته أمسك الماء ومنع الرمل وحر الشمس أن ينشفا الماء ، فاذا اشتد الحر نبث وجه الرمل عن الماء فنبع بارداً عذباً .

ويذكر الأزهري في «التهذيب» أن واحد الاحساء حسى .. وجاء في كتاب «أحسن التقاسيم» المقدسي طبعة لايدن (١٩٠٦) ص ٩٣ أن : الاحساء قصبة هجر وتسمى البحرين ، كبيرة ، كثيرة النخيل ، عامرة أهلة ، على مرحله من البحر ولها نبع(متبّحر) وبها مستقر القرامطة . ويقول الادريسي في «تقويم البلدان» ص ٩٩ من الطبعة الأوربية بأن الاحساء مدينة (على) البحر (الفارسي)تقابل أوال وهي بلاد القرامطة ، وهي مدينة حصينة لانها صغيرة ، وبها أسواق تقوم بها في تصرفاتها . وقد جانبه الصواب حين ذكر بأنها تقع على البحر لانها تقع في الداخل على مسيرة يومين لقافلة الابل . وقال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» : الاحساء مدينة بالبحرين ، معروفة ومشهورة . كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر (هو) أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي وهي إلى الان مدينة مشهورة عامرة . ويذكر أبو الفداء (المتوفي سنة ٧٣٢) : الاحساء بليدة ذات نخيل كثير ، ومياه جارية ، ومنابعها حارة شديدة الحرارة ، والاحساء في البرية وهي عن القطيف في الغرب بميلة إلى الجنوب على نحو مرحلتين ونخلها بقدر غوطة دمشق مستدير عليها . وليس للاحساء سور ، وبين الاحساء واليمامة نحو مسيرة أربعة أيام . (المترجم) .

(١) جاء ذلك في رسالة الدكتوراة التي طورها المؤلف عن الكتاب وحملت الاسم نفسه .

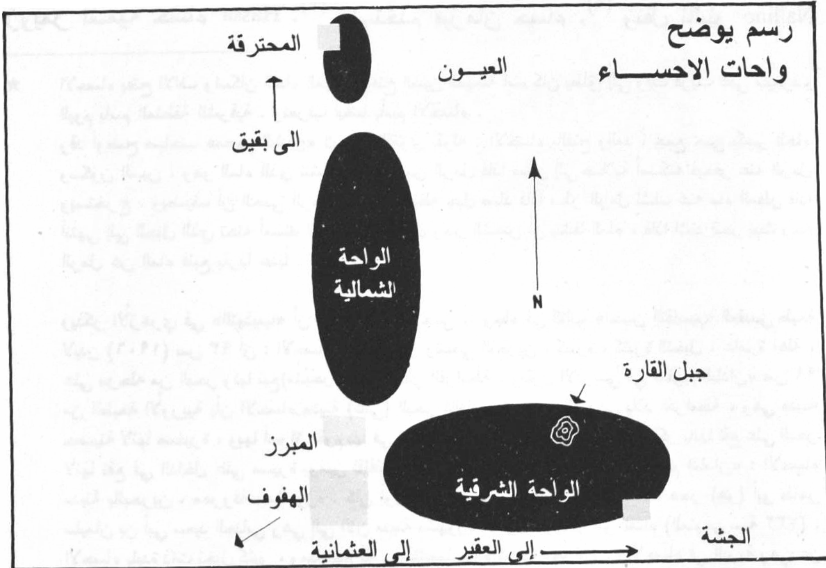
(٢) Sadlier, 1823, P. 492, Fn.

(٣) Zwemer, 1900, P. 110.

(٤) Von Wissmann, n.d. [1937] P. 204.

الاسم على الوجه التالي : الاحساء Al-Ahsa والحسا Al-Hasa[1] واستعمل نيبور Niebuhr الاسمين الاحساء Lachsa والحسا Al-Hassa .[2] وكتب اروسميث Arrowsmith[3] الاسم في صيغتين هما الاحساء Ul Ahasa والآثاء Laaththa بينما كتبت على خريطة القرن السادس عشر الميلادي الموجودة على باب خزانة في خزانة ملابس القصر القديم Palazzo Vecchio في فلورنسا بايطاليا باسم الاحساء Alaxa★[4] .

ويكتب الاسم عادة في اللغة العربية الاحساء وفي حالات أقل تكراراً «الحسا» مع حذف الهمزة من الاسم الاول وإضافتها إلى الثاني .[5] وعلى أية حال فالاسم ينطق عموماً كما لو كان يكتب «الحسا» وقليل من الناس يقرأونه «الاحساء» ، إذا ما ووجهوا باللفظ الأول من الصيغتين المكتوبتين . ويطلق على ساكن الواحة «حساوي» وجمعها «حساوية» .



(١) Nallino, 1939, P. 70 Fn.,1.

(٢) Niebuhr, 1772, P. 339.

(٣) Arrowsmith, n.d., P. 32, Plural, XXII

(٤) وردت هذه المعلومة في رسالة الدكتـــوراة .

(٥) ملحس ١٣٦٨هـ أو ١٣٦٩هـ ص ص ٦٠ ، ٦١ .

(★) حرف (×) في الابجدية السلافية يقابل حرف (H) في اللاتينية (المترجم) .

وحسب تهجئية اللفظين المستعملين في اللغة العربية فأن صيغة نالينو هي الأصح . ولكن من أجل تجنب إستخدام العلامات الصوتية المميزة التي توضع فوق الحرف أو تحته ، فضلت الشركة اتباع نطق سكان المنطقة أكثر من الصيغة المكتوبة ، ولهذا اتبعت هذه الصيغة هنا .

ومعنى كلمة «الاحساء» كما جاء في قاموس هارفرد Hara's Dictionary تعني «قاع لمياه مغطاة بالرمال» .[١] وفسر زويمر الاسم بأنه يعني «قاع رطبة منخفضة»[٢] ويشرحها نالينو كما يلي «الاحساء والحسا» (والاكثر صواباً الحسا) مترادفات ، وجميعها جمع لحسى Hisy أي أرض رملية تحتها طبقة سفلى من صخر صلد تمسك بماء المطر لوقت طويل ، وهذا الماء يمكن الوصول إليه بسهولة بحفر بسيط ، والحفرة من هذا النوع تسمى حسى .[٣] هذه التفسيرات الثلاث تتفق كل منها مع الأخرى ، ومع الاستخدام العربي المحلي ومع طبيعة تضاريس أرض المنطقة ولذا فهي صحيحة .

وهناك بعض التفسيرات الخاطئة للاسم ناتجة عن الارتباك وعدم التفريق بين «حسا» و «حصى» . فقد حدد فيلبي في كتاباته المبكرة حول شبه جزيرة العرب أن «الحسا تعني حجر الكلس»[٤] وجاء توتيشل ليتبع الكلمة الاخيرة ويفسر اسم الحسا بأنه يعني «الصخري»[٥] إلا أن توتيشل صحح هذا التفسير فيما بعد .[٦]

استخدم بعض المؤلفين تفسيرات ثنائية للكلمة ووضعوا معنى مختلفاً لكل مدلول فزويمر دوّن «حسا» عند الاشارة إلى المنطقة وجعل «الحسا» مرادف لاسم مدينة الهفوف .[٧] ويفضل نالينو بشكل مشابه أن يستخدم في كتابه «الاحساء» عندما يتحدث عن المنطقة ، والحسا عندما يتحدث عن الهفوف★ [٨] ، وهذان

★ بنى أبو طاهر القرمطي مدينة الاحساء في سنة ٣١٤هـ وسماها المؤمنية - إلا أنها لم تعرف به وبنى بها قصره وجاراه أصحابه ، انظر ابن خلدون «العبر» الطبعة الاولى ، الجزء الرابع ص ص ٨٩ - ٩٢ - وذلك بعد أن قام القرامطة بتخريب هجر . وموقع الاحساء تلك تقع وسط واحة الاحساء الحالية في موقع قرية البطالية وما جاورها . ويذكر صاحب كتاب «بلاد العرب» أن مدينة الاحساء على بعد ميلين من مدينة هجر . (المترجم) .

(١) الصيغة المفردة «حسى» كما أورد عدة صيغ أيضا .

وقدم استخدم Wüstenfeld التفسير نفسه كلمة بكلمة

(٢) Zwemer, 1900, Loc. Cit.

(٣) Nallino, 1939, Loc. Cit.

(٤) Philby, 1923, Vol. I. P. 26.

(٥) Twitchell, 1944, P. 365.

(٦) Twitchell, 1947, P. 6.

(٧) Zwemer, 1900, Loc. Cit.

(٨) Nallino, 1939, P. 70.

الاصطلاحان الأخيران حسب اعتقاده مترادفان . وقد أعطى فيلبي أيضا معنى ثنائيا وتهجيئة ناصا على أن «الواحات الغربية لوحدها تحمل الاسم المميز للاحساء ، الكلمة التي تعني «الهمس» أو «هفيف الريح»[١]! هذه الترجمات والمعاني الثنائية لا تتطابق مع الاستخدام المحلي . فالاحساء والحسا اصطلاحان يمكن وضع أحدهما وإستعماله مكان الآخر إستعمالاً تاماً ، وليس صحيحاً أن ينص على أن أحدهما مخصص للمدينة العاصمة والآخر للمنطقة ككل أو أن واحداً منهما يشير على وجه الحصر إلى جزء معين من الواحة .[٢]

يسود الاستعمال الحالي بين سكان المنطقة لاعطاء إسم الحسا لمدينة الهفوف وللواحة الكبيرة ، أو بالاحرى مجموعة الواحات إلى الشمال والشرق من المدينة مشتملة الأجزاء المحيطة بها مباشرة وغير المسكونة من الأراضي الصحراوية . وكان من المعتاد بين موظفي شركة النفط أن يسموا المنطقة «واحة الهفوف» وإدخار اسم الاحساء أو الحسا لتسمية كل الاقليم الشرقي من شبه الجزيرة العربية الممتدة من الكويت إلى الساحل المتصالح . ويوجد عرف معتاد مشابه بين الادارات الرسمية في المنطقة يشير إلى الواحة باسم الاحساء وإلى المنطقة بأكملها باسم مقاطعة الاحساء . إلا أن الاسم الأخير لم يتقبله السكان بشكل شامل واقتصر استعماله داخل نطاق الادارات الحكومية .[٣] وتستخدم الصحف العربية أيضا اسم الاحساء مع شموله للمنطقة (المقاطعة) وأن ظل غير معروف تاريخ بدء اطلاق اسم الاحساء على المقاطعة كلها .

يبدو مؤكداً أنه خلال القرون القليلة الماضية على الأقل ، كان هناك عدد من التغييرات في مسمى المنطقة والتي صارت بموجبها كل من الواحة والمنطقة تسميان به ، غير أن المصادر المكتوبة للرحالة الأوائل لا تحدد ذلك بشكل كاف وكثير ما تكرر القول بشكل متضارب ومتناقض ، كما أن الروايات الشفهية للسكان المحليين متناقضة أيضا .

---

(١) Philby, 1923, Vol. I, Loc. Cit.

(٢) De Goeje, 1895 P. 28.

وقد استخدم اللفظين كل منهما مكان الآخر

(٣) النص الرسمي لأول بيان رسمي أصدر باسم ولي العهد (آنذاك) الأمير سعود بن عبدالعزيز في ٨ فبراير ١٩٥٣م بخصوص التنظيمات الادارية للجزء الشرقي من المملكة استحدث تسمية دائمة باسم المنطقة الشرقية لأول مرة في تاريخ البلاد . وفي الوقت الحاضر لا يمكن تقرير عما اذا كانت التسمية الجديدة سيكتب لها الديمومة .

فنيبور الذي يعد أقدم المصادر الأوربية المتاحة بين أيدينا يستخدم في حالة واحدة اسم الاحساء وهجر ★ والبحرين كمترادفات تامة لهذه المسميات .[١] ونص في إشارة أخرى إلى أن المنطقة كلها كانت تسمى الاحساء أو هجر وأن مسمى البحرين يدل على جزئها الساحلي فقط .[٢] إلا أن نيبور أيضا يذكر وفي الصفحة نفسها أنه في وقت زيارته كان اسم البحرين يطلق بشكل رئيسي على الجزر . وذكر إن اسم عاصمة المنطقة كانت تسمى الاحساء ولكن يمكن أيضا أن تسمى هجر .[٣] ويعتقد ، على أية حال ، أن من الممكن أن الاسم الأول يمكن اطلاقه على وجه الحصر على العاصمة ، والاسم الأخير يخص المنطقة . ويبدو أنه لم يكن واضحاً على الاطلاق لدى نيبور الفرق بين الأسماء المطلقة على المنطقة والواحات والعاصمة .

وبعد حوالي خمسين سنة وجد سادلير أن المنطقة لا تزال تسمى البحرين أو هجر .[٤] وأن الاحساء هو إسم المنطقة ولا يخص أي مدينة معينة . غير أنه فضل أن يتبع الاستخدام الذي نهجه اروسمث وبنكرتون Pinkerton ودلائل أخرى ، مميزاً المدينة الرئيسية في المنطقة بالاسماء التالية «الاحساء» ، «الحسا» ، «الحساء» .

ومن بين الكتّاب المعاصرين نجد أن هاريسون يسمى المنطقة الواحة (واحة الحسا) والمنطقة بأكملها «منطقة حسا» مستبقياً اسم الهفوف للمدينة نفسها .[٥] بينما استخدم فون فيزمان كلمة (حسا) فيما يبدو للاشارة للمنطقة ككل (الاقليم الكبير

★ الهجر لغة القرية . فمن الجغرافيين من يجعل أصلها عربي ويرجعه إلى لغة حمير والعرب العاربة ، ويقولون انها سميت بهجر بنت مكنف من العماليق . وقد اورد ذلك ياقوت الحموي في كتابة «معجم البلدان» نقلاً عن ابن الكلبي عن الشرقي . وهجر اسم المدينة التي كانت قاعدة لمنطقة البحرين منذ عرف العرب تاريخ هذه المنطقة ، قبل العهد الاسلامي تم في صدر الاسلام إلى آخر القرن الثالث الهجري : لمزيد من المعلومات راجع الهمذاني ص ص ٢٧٩ ، ٣١٧ وكذلك ياقوت الحموي «معجم البلدان» والمسعودي «مروج الذهب» الجزء الاول ص ١٢٨ . ومنهم من يجعل أصلها فارسي معرب اصله هكر ، أنظر البكري في كتابه «معجم ما أستعجم» . (المترجم) .

(١) Niebuhr, 1772, Map Opp. P. 310, P. 339.

(٢) Niebuhr, 1772, P. 339.

(٣) Niebuhr, 1772, pp. 340-341.

(٤) Sadlier, 1823, P. 449.

(٥) Harrison, 1924, P. 43.

للاحساء) .[1] ويشرح نالينو الأمر قائلاً «كاسم مكان في هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية ، فالاحساء يطلق ليعنى فقط عاصمة المنطقة إلا أنه ومنذ قرون مضت اصبح الاسم يشمل كامل المنطقة الواسعة والتي سميت ذات مرة البحرين» .[2] ويطلق لوريمر مسميات «واحة الحسا» و «سنجق الحسا» .[3] أما دليل شبه الجزيرة العربية فيطلق اسما الحسا على كامل المنطقة و «واحة الحسا» على منطقة الحقول الزراعية .[4] .

إذا تذكرنا أن هذه المصادر قد كتبت في أوقات مختلفة ، فسندرك أن الاختلاف فيما بينها أحيانا يكون أمراً شكلياً أكثر من كونه حقيقياً . ويبدو أن هناك دلائل كافية تثبت أن أسماء المدن والمناطق في هذه المنطقة قد تعرضت لعدة تغييرات ، وفي مناسبات قليلة أطلق اسم المدينة ليشمل المدينة والمنطقة المحيطة بها . ومن المحتمل أن تكون التسميات التاريخية الجديدة التالية ، والتي تكون إلى حد ما تخمينا ، صحيحة . ففي الفترة المبكرة من التاريخ الاسلامي سمي الاقليم الشرقي مما يعرف الآن بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية باسم البحرين .[5] ولا تعرف حدود دقيقة له . اذ لم يتم التأكد تماما من امتداد منطقة البحرين ، هل أمتدت حدودها بقدر الاجزاء الداخلية مما يعرف في وقتنا الحاضر بالاحساء ، أو أن الاسم كان يطلق فقط على القطاع الساحلي ، رغم أن الخيار الأول يبدو أكثر إحتمالاً . ويقع موقع عاصمة المنطقة على مقربة من مدينة الهفوف الحديثة وكانت تسمى هجر ، وهذا الاسم كان يطلق أيضا على المنطقة اذ يشمل مجموعة الواحات المحيطة بالمدينة .[6] وفي ذلك الوقت كان يوجد موقع محلي ، من المحتمل كونه قرية صغيرة ليست بعيدة عن هجر سميت بالاحساء لا يعرف موقعها بالتحديد .[7]

---

(١) Von Wissmann, n.d. [1937] P. 204.

(٢) Nallino, 1939, P. 70 fn.1.

(٣) Lorimer, 1908, P. 642.

(٤) Great Britain Admiralty War Staff, 1916, Vol. I, pp. 297, 304.

(٥) Von Oppenheim, 1952, P. 5. fn.1.

(٦) ان استخدام الاسم نفسه للمنطقة والعاصمة شائع في العالم العربي ، فمصر يطلق على كل من القاهرة ومصر ، والشام يطلق على دمشق وسوريا (تعليق المؤلف في رسالة الدكتوراة) .

(٧) استنتج دي غويه De Goeje في سنة ١٨٩٥ أن مستوطنات هجر والاحساء كانت مؤقتة ، واستناجه كان نتيجة تحليل أدبي لتدوين الأحداث في شعر ابن المقرب وخاصة القصيدة الميمية . ومعروف أنه دي غوية متخصص في فترة صدر الاسلام (رسالة الدكتوراة) .

ويذكر سكان المنطقة أن ذلك المكان وكذلك الواحة بشكل عام كانت تسمى في ذلك الوقت «ماء الحسا» إلا أن اسم ماء الحسا رغم معرفة الكثيرين له لم يستمر اسماً معروفاً ذائعاً .

هذا وقد بنى أبو سعيد الجنابي زعيم القرامطة أو أبنه طاهر قصراً أو قلعة في الاحساء أو بالقرب منها ، وجعلها عاصمة للمنطقة .[١] وقد سمى المكان المؤمنية إلا أن هذا الاسم على ما يبدو لم يتقبله السكان . ومنذ ذلك الوقت - في بداية القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري تقريباً - بدأ استخدام الاحساء ووقع تخلّي تدريجياً عن اسم هجر .[٢] ويحتمل أن يكون ذلك ذا علاقة بحركة السكان وإنتقالهم إلى العاصمة الجديدة ، مما نتج عنه حرمان هجر من سكانها ، وفي نهاية الأمر اضمحلالها وزوالها . وعلى أية حال لم يطلق اسم الاحساء بعدئذ على المدينة وحدها بل ضم الواحة المجاورة .

لا يمكن الجزم بمدى بعد الاستيطان الحديث عن العاصمة القديمة هجر ، رغم أن بعض الاحسائيين يعتقدون أنها كانت تقع بجوار قرية البطالية الحديثة . وتظهر الأدلة البيئية أن العاصمة الجديدة كانت شمال هجر ، ومن المحتمل أنها ليست بعيدة عنها ، مع أنها ليست مجاورة لها تماما .١وقد قام وستنفلد بعمل بالغ الصعوبة عندما حاول أن ينظم من جديد جغرافية كامل المنطقة من نجد إلى الخليج العربي معتمداً على أسس مواد الجغرافيين والشعراء العرب القدامى ، إلا أنه انخدع باعتقاده أن هجر والاحساء تنتميان إلى منطقتين واسعتين جداً ومنفصلتين . ووضع مسافة مسير يومين بينهما تقريباً . وعلاوة على ذلك فقد حدد موقع هجر شمال الاحساء . ويحتمل أن يؤدي مسح آثاري دقيق لسطح المنطقة ، إذا ما تم ، بين الواحة وبقعة الغوار إلى تحديد موقع هجر دون صعوبة تذكر .

لايعرف عما اذا كانت حدود مدينة الاحساء هي نفسها تماما حدود مدينة الهفوف الحالية . يروي الناس في الهفوف أن أغنياء المنطقة وتجارها وقادتها

(١) Encyclopaedia of Islam, Vol. II, 1927, Article "Hajar".

(٢) يذكر وستنفلد Wüstenfeld في كتابه المنشور سنة ١٨٧٤م ص ٦٠ ، أن المصادر المكتوبة بدأت في الاشارة إلى اسم الاحساء فقط بعد القرن الرابع الهجري ، كما أورده ياقوت الحموي في كتابه طبعة ١٩٠٢م جـ ١ ص ص ١٣٦ - ١٣٧ أن الاحساء عاصمة هجر .

السياسين كانوا يملكون بساتين نخيل في مكان يدعى هفوف . أو بالأحرى الهفوف ، تقع مباشرة خارج أسوار مدينة الاحساء وأنهم بنوا فيها منازل بغية الاصطياف فيها ومع الزمن أصبح هذا المكان خيارهم المفضل للسكن الدائم . وأن المدينة اتسعت رقعتها في الاتجاه نفسه فيما بعد (لاتتوفر تواريخ في الوقت الراهن) باستقطابها مزيداً من السكان ، وأن المستوطنة الجديدة ، أو القديمة في شكلها الجديد ، اكتسبت اسم «الهفوف» الذي احتفظت به حتى الوقت الحاضر ، وبقي اسم «الاحساء» ، على أية حال ، يشمل كامل مساحة الواحة .

يتذكر سكان المنطقة اليوم أن أسم هجر كان يطلق في العصور الماضية على الواحة لكنهم يوافقون على أن هذا الاسم لم يعد مستعملاً . ويزعم قليل من السكان أن اسم الاحساء كان يطلق أيضاً على مدينة الهفوف ، لكنهم يقرون أن هذا قد تلاشى منذ عصور قديمة . والرأي المقبول عند الناس عامة أن هفوف أو الهفوف اسم صحيح واحد للمدينة العاصمة والاحساء لمنطقة الواحة كلها .

يمتد مسمى الاحساء ليشمل كل ما أصبح معروفاً باسم مقاطعة الاحساء ، بدأ فيما يحتمل خلال الحكم العثماني في القرن التاسع عشر . اذ كانت جميع المنطقة جزءاً أو سنجقا تابعاً لولاية البصرة[١] ، تحت مسمى مضلل «سنجق نجد»[٢] . وكانت الاحساء مركز إقامة الحاكم العثماني (المتصرف) ومقره الرسمي[٣] . وكان من عادة الادارة العثمانية اطلاق اسم الاحساء على كل الأراضي الواقعة تحت سلطة المتصرف بصرف النظر عن موضعها الجغرافي ، وقد اتبع ذلك فيما بعد في التنظيمات الادارية للمملكة العربية السعودية .

لم تجر حتى الآن دراسة تاريخية شاملة عن واحة الاحساء . فقد ظن البعض أن المنطقة التي سميت أتني Attene في العصور القديمة هي الاحساء نفسها في الوقت الحاضر[٤] . ومن المحتمل أن نجد شيئاً أكثر من هذا في المصادر التي لم يتم الكشف

(١) Lorimer, 1908, pp. 637-658.
(٢) Encyclopaedia of Islam, Vol. I, 1913, Article "Al-Ahsa".
(٣) Zwemer, 1900, P. 217.
(٤) Pliny, Natural History. Book VI, Chapter 32.

عنها اليوم ، والتي يمكن أن تقدم أي معلومات عن الواحة وثقافتها خلال العصور التاريخية القديمة .

توجد بعض الأدلة التي تساعد على التخمين بأن الاحساء ، وأيضا الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، كانت خلال العصور التاريخية القديمة بدءاً من الحقبة البابلية قد احتفظت بصلات سياسية وحضارية وثيقة مع وادي الرافدين . وبسبب غياب أعمال التنقيب الآثارية لايتاح حتى للتخمين المبني على بعض المعلومات إعطاء معلومات مناسبة عن الاحساء في حقب ما قبل التاريخ .

توجد بعض المعلومات عن الاحساء خلال العصور الوسطى خاصة في كتابات المؤرخين العرب ، والشاعر * الفارسي ناصر خسرو الذي تناول في رحلته أحوال المدينة التي كانت عاصمة للقرامطة . وتوحي بقايا الأواني الفخارية التي ترجع إلى العصرين الأموي والعباسي أن واحة الاحساء كانت عامرة بالفعل بكثافة سكانية كبيرة جداً في العصور الاسلامية المبكرة . ولا يبدو أن البرتغاليين في القرن السادس عشر الميلادي أو الفرس الذين احتلوا البحرين فيما بين ١٧٣٥ - ١٧٨٤م قد مدوا سلطتهم إلى الاحساء . ولاندري عما إذا كان البرتغاليون أو وسائل النقل البرتغالية أو بضائعهم التجارية قد وصلت الاحساء خلال تلك الفترات ، فالأمر يحتاج إلى إجراء بحوث اشمل من أجل البت في هذه النقطة .

أتاح الموقع الجغرافي للاحساء مميزات تجارية واستراتيجية متميزة . فقد أغرت الواحة حكام نجد والعثمانيين ، خاصة خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر ، لبسط سيطرتهم عليها ، ومن ناحية أخرى ، فإن أمراء قبيلة بني خالد تمكنوا في ذلك الوقت ، وربما لعدة سنوات قبل ذلك ، من السيطرة على الاحساء ولم يرضوا أن يفقدوا وضعهم المتميز .(١) وقد انتقل حكم الواحة بين عدة حكام . فقد حكمها السعوديون لأول مرة في سنة ١٧٩٣م ، ثم احتلها فيما بين ١٨١٨ - ١٨٢٤ جيش محمد علي باشا ، ثم تنافس على حكمها فيما بين

★ لا نعرف عن شاعرية ناصر خسرو أي شيء وكل ما نعلم أنه رحالة زار الاحساء (المترجم) .

(١) رغم زعم دي جوري De Gaury وجدله بأن بني خالد يحتمل أن يكونوا من أحفاد الكلدانيين وأنهم حكموا الاحساء خلال العصور الوسطى ، إلا أن هذا الزعم لا تسنده أي حقيقة تاريخية حتى الآن .

١٨٢٤ - ١٨٣٠ كل من السعوديين وبني خالد . وبدأت الغلبة للسعوديين أخيرا في حوالي سنة ١٨٣٠م عندما سلّم لهم بنو خالد بالسيادة على الواحة ، إلا أن السعوديين أجبروا مرة أخرى على التخلي عن حكم الواحة لمحمد علي باشا في سنة ١٨٣٨ . واحتل العثمانيون الواحة في سنة ١٨٧١م . وحاولوا لفترة وجيزة أسلوب الحكم غير المباشر من خلال بني خالد ، إلا أن هذا الأسلوب ثبت فشله . وبقى العثمانيون في الاحساء حتى تمكن الملك عبدالعزيـــز من اجلائهم منها نهائياً في سنة ١٩١٣م .



عين الخدود في الواحة الشرقية . واحدة من أكبر ينابيع الاحساء

ويبدو أن الحكم من قبل المصريين والعثمانيين والسعوديين حتى سنة ١٩١٣م لم يكن إلى حد ما مستقراً . فقد ظل بنو خالد يعتبرون أنفسهم الحكام الشرعيين للواحة وأزعجوا بغاراتهم القرى الزراعية وطرق التجارة بصفة خاصة . ولا يمكن نسيان دور العجمان وغاراتهم على المناطق المجاورة لمقطنهم . يمكن الاشارة على الأقل لغارة واحدة تمكنوا من خلالها من نهب ميناء العقير .[١] ولم يستمر بنو خالد في شن غاراتهم بعد سنة ١٩١٣م ، لكن العجمان لم يتم اخضاعهم تماما إلا في سنة ١٩٢٨م .

---

(١) Sadlier, 1866, P. 44.

ثانياً : الوصـــف الجغـــرافي :

تمتد واحة الاحساء تقريباً ، مابين خطي العرض ٢١/٢٥° - ٣٧/٢٥° شمالاً ، وبين خطي الطول ٣٣/٤٩° - ٤٦/٤٩° شرقاً . وتضم الواحة حوالي ١٨٠ كم٢ من المساحة الزراعية . وتكون تقريباً على هيئة الحرف اللاتيني "L" حيث يمتد الخط الرأسي للحرف في إتجاه مستقيم تماما من الشمال إلى الجنوب وهو المحور الأطول . وتقع مدينة الهفوف عند التقاء الخطين بينما تقع قريتا المحترقة والجشة عند النهايتين الشمالية والجنوبية على التوالي . هذا ولا تتصل كامل المساحة المزروعة ببعضها في الوقت الحاضر . اذ تنتشر البساتين بشكل متقطع حول مدينتي الهفوف والمبرز في الزاوية الجنوبية الغربية من الواحة . ويبلغ الانقطاع حداً كبيراً في مساحته ووضوحه بشكل يلمسه معظم الزوار العابرين . كما تظهر انقطاعات صغيرة أخرى تفصل تواصل الرقعة الزراعية في أجزاء عدة من الواحة . ويوضح الرسم رقم ١ مخططاً إيضاحياً عاماً لتخطيط الواحة وتقسيم المساحات المزروعة الرئيسية .

أطلق فيلبي على هذه المنطقة اسم «الواحتين التوأمين»(١) وتعد هذه التسمية من الوجهة الجغرافية صحيحة ، لكن فيلبي لم تكن لديه الفرصة اللازمة لاعداد دراسة مفصلة عن المنطقة ولم يتسن له على الاطلاق رؤية الواحة الشمالية . فعندما سافر من قرية الجشة إلى الهفوف ، واجه فيلبـــي انقطاعــاً كبيراً في استمرار الرقعة الزراعية في الأراضي المجاورة لقرى الفضول والمنيزلة والشهارين . وفي الواقع أن ذلك ليس إنقطاعاً بل هو ذراع صحراوي متوغل داخل نطاق أشجار النخيل يتراجع من هذا الموقع كلما اتجهنا شمالاً بما يقارب كيلو مترين . وقد افترض فيلبي أن المساحة ما بين قرى الجشة والفضول والمنيزلة تشكل واحة مستقلة ، والمساحة ما بين قرية الشهارين ومدينة الهفوف هي واحة أخرى ، وأطلق عليهما اسمى «الواحة الشرقية» و «الواحة الغربية» على التوالي .(٢) وهكذا فان تقسيمه غير صحيح ، رغم أن تسمية «الواحتين التوأمين» ينطبق على الاحساء . وقد سمى ماكيّ هذه الأجزاء بالواحات «الشمالية» و «الجنوبية» . لكننا نعتقد أن التسمية الأقرب إلى

---

(١) Philby, 1923, V.I., P. 26.

(٢) Philby, 1923, V.I., pp. 21-22

الصحة هي الواحات «الشمالية» و «الشرقية» لتجنب التعليل المضلل .

يتجول سكان الواحة وخاصة القبائل البدوية داخل المنطقة مخترقين كامل أرض الواحة والقرى الواقعة بين الهفوف وقرية الجشة التي يطلق عليها ككل اسم «الشرق» . ولا تختص الواحة الشمالية باسم جامع خاص وأن كانت تدعى بشكل عام «الشمال» .

يوجد في الاحساء اسمان عامان آخران فقط يشملان مساحة تضم أكثر من قرية واحدة وما يحيط بها من مزارع وبساتين . فالاسم الاول (قرى العمران) وتعني بشكل محدد قريتى العمران الشمالية والعمران الجنوبية ، وإن كان الاسم يستخدم ليشمل عدة قرى ومستوطنات صغيرة تقع عند الزواية الشمالية - الشرقية للواحات الشرقية . والاسم الثاني «العيون» وهي تتكون من واحة صغيرة تبلغ مساحتها حوالي خمسة أو ستة كيلو مترات مربعة ، وتقع عند النهاية الشمالية القصوى لواحة الاحساء . ويوجد بينها وبين كتلة الواحة الشمالية فراغ واسع في الرقعة الزراعية . وتشتمل هذه الواحة على قريتي المراح في الزواية الجنوبية ، وقرية المحترقة في الشمال الغربي . والاسم الأخير «المحترقة» لم يعد معروفاً بشكل كبير لدى سكان الاحساء ، ما عدا بالطبع سكان واحة العيون . وبما أن قرية المراح وهي نسبياً منشأة حديثة تقع بعيداً عن الطريق الرئيسي فأنها نادراً ما تزار ، لذا فان اسم العيون قد اصبح يعني للكثير من الناس قرية المحترقة . وعلى أي حال فان اسم العيون سيطلق في هذا الكتاب على هذه الواحة ككل .

إن واحة الاحساء الكبرى التي تطوق الواحتين التوأمين يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ٢٥ كم ، ويبلغ عرضها من الشرق إلى الغرب حوالي ١٦ كم وذلك إلى حدها في أقصى الجنوب . ويمكن إعتبار حافتها الغربية بمثابة خط مستقيم يمتد من جبل أم الدلاسيس في الشمال إلى جبل أبي غنيمة في الجنوب . ويمكن إعتبار الحافة الجنوبية حداً لالتقاء حافتها الغربية مع جبل الأربع . أما حدودها الشمالية والشرقية فانها ليست محددة بشكل واضح اذ تتداخل وتتلاشى في الصحراء . أن حد الاحساء في الغرب المتمثل في منطقة الغوار الواقعة في أقصى بقعة الصمان الشرقية توجد في

أراضي أبا الدلاسيس (والتي يكون جبل أبو الدلاسيس أشهر علامة حدود واضحة) . ويعد جبل خرماء حدها في الجنوب ، والبياض حدها الشمالي والشرقي ، وصحراء الجافورة حدها الجنوبي الشرقي .

يقع مناخ واحة الاحساء بأكملها ضمن الاقليم المناخي رقم ١ حسب تصنيف فون فيزمان .(١) حيث يكون حاراً ورطباً مع تغير طفيف للحرارة المرتفعة والرطوبة (المعدل السنوي ٢٧ - ٣٠ و ٧٠ - ٧٥ درجة مئوية) وغير ممطر في معظم أيام السنة أذ أن هطول المطر يحدث بشكل متقطع (٦٥٪ وهي نسبة متقلبة في الكثافة السنوية) قد تكون قابلة للزيادة في بعض المواسم . والمنطقة معتمة نسبياً (١٠/٣) مع وجود ضباب وندى مألوف . وتقدرِ نسبة كمية سقوط المطر السنوية في المنطقة بأسرها بحوالي ٤ بوصات أو أقل قليلاً . ويتكون الضباب بشكل معتاد في فصل الشتاء ويكون في بعض الأحيان كثيفاً حتى لا يتعدى مدى الرؤية ٢٠٠ ياردة ، لكن الضباب يتراكم عادة خلال ساعات الصباح المبكرة فقط .

جدول رقم (١)

الموقع والارتفاع التقريبي لبعض المرتفعات البارزة في منطقة الاحساء بشكل عـــــام

الاســـــم	خط الطول (شرق)	خط العرض (شمال)	الارتفاع بالامتار
أم غربــــــــان	٢٥° ٢٦/	٤٩° ٣٠/	٢٤٢
برقــاء الركبــــان	٢٥° ٣١/	٤٩° ٣١/	٢٦٠
جبل أبو غنيمـــــة	٢٥° ٢٤/	٤٩° ٣١/	٢٧٠
جبل البريقــــــاء	٢٥° ٣٢/	٤٩° ٣٩/	٢١٨
جبل الشعبـــــة	٢٥° ٢٨/	٤٩° ٣٩/	٢٢١
جبل القـــــارة	٢٥° ٢٥/	٤٩° ٤١/	٢٠٧
جبل دخنـــــة	٢٥° ١٨/	٤٩° ٤٢/	٢٢٠

(١) Von Wissman, n.d., [1937] P. 188.
بنيت استنتاجاته على عدد من الملاحظات غير الوافية ، وسوف تراجع على ضوء المعلومات الحالية . وفي الوقت الحالي ، على أية حال ، فان معلومات الطقس المجموعة عن هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية لم تنشر حتى الآن .

تتميز واحة الاحساء بمناخ حار ورطب في الصيف ، رغم أن نسبة الرطوبة بها أقل من المدن الساحلية ، أما طقسها في فصل الشتاء فأنه معتدل غالباً أو بالأحرى لطيف . وتبلغ كمية التبخر من مياه الصرف إلى أقل مستوى لها في منتصف فصل الشتاء ، ولذا تقل كميات المياه المتجمعة في أماكن تجمع المياه شمال الهفوف والمبرز وعلى طول سلسلة السبخات الممتدة حتى قرية العيون وربما فيما بعدها .

تعمل الرمال المحيطة بالواحة على تخفيض نسبة الرطوبة إلى حد ما . فقد سجلت البعثة الزراعية الأمريكية في شهر يوليو سنة ١٩٤٢م عند معدل إرتفاع بلغ ٦٨٠ قدماً وبواسطة قياس الحرارة الجافة درجة ١١٤ فرنهاريت وبلغت نسبة الرطوبة ١١٪ .[١] وتصل نسبة الرطوبة في الاحساء وبدون هطول أمطار ١٠٠٪ عدة مرات خلال السنة ، ولكن حدوث ذلك يكون أقل تكراراً من المناطق الساحلية .

تعد الواحة الشرقية هي الرقعة الزراعية الرئيسية والأكبر حجماً في واحة الاحساء من حيث المساحة والكثافة السكانية . اذ تبلغ مساحتها ١٠٠ كم^{٢} تقريبا ويسكنها ٣٥٫٠٠٠ نسمة . ويمتد محورها الشرقي - الغربي بما يقارب ١٦ كم . ويبلغ حجم سعة المسافة الشمالية - الجنوبية عند أعرض اتساع لها (على بعد حوالي ٣ كيلو مترات شرق الهفوف) حوالي ١٠كم . أما الواحة الشمالية (وتشمل منطقة قرية العيون) فتبلغ مساحتها ٦٠ كم^{٢} تقريبا ويسكنها أكثر من ١٥٫٠٠٠ نسمة . ويمتد طول محورها الشمالي - الجنوبي حوالي ١٧كم بينما يبلغ أوسع عرض لها بين شمالها وجنوبها حوالي ٦ كم .

وتشكل الواحتان مجتمعتان أكبر واحة زراعية في المملكة العربية السعودية ، اذ تقدر إجمالي مساحتها بأكثر من ٣٠٫٠٠٠ فدان من الأراضي المزروعة ، مع أن هذا التقدير يعد تقديراً محافظاً ، فبعض التقديرات الأخرى تقدره بما تتراوح ما بين ٢٥٫٠٠٠ إلى ٤١٫٠٠٠ فدان .[٢]

---

(١) Twitchell, 1947, PP. 15-16.

(٢) معظم التقديرات التي يستشهد بها الآن ، وبصورة كبيرة تعطي في الغالب تقديراً يبلغ ٢٧٫٠٠٠ فدان . أنظر : Crary, 1951, P. 379.

لا يوجد تباين كبير بين المصادر المكتوبة المتعددة حول الأرقام التي يمكن الاستشهاد بها حول تقدير ارتفاع أرض الواحة . فمعدل ارتفاع ٥٠٠ قدم يعد قريباً من الواقع .[١]

لا تشكل الواحة ، بالطبع ، شكلاً مستطيلاً أو حتى شبه المستطيل . فاشكال نطاق النخيل تبدو في كل مكان بارزة ومتداخلة ، وفي بعض الحالات طويلة جداً كما هو كائن غرب قرية الطرف وفيما بين قريتي المنيزلة والشهارين . ومع ذلك يوجد هنا وهناك بعض الرقع المزروعة وهي محاطة تماما بالرمال ، وبعض هذه المساحات كبيرة نسبياً مثل تلك التي في قرية العيون وقرية الشعبة . وقد سبق وأوضحنا فيما تقدم ، كما أوضحنا في الشكل رقم ٢ ، اننا تجاهلنا هذا الشذوذ الذي يعد غير قياسي من أجل التبسيط .

ويغلب على المنظر الطبيعي للأرض الواقعة خارج نطاق النخيل المتميز هيمنة زحف الرمال التي تقدر سمكها في بعض الأماكن مائة قدم . ولكن يعيق تقدمها وجود السبخات والهضاب المنخفضة ذات الجوانب المنحدرة على هيئة أفقية . ويكون الصرف السطحي للمياه على نمط الاحواض الصحراوية .

أما السبخات التي يوجد منها سلسلة تبدأ من جنوب مدينة الهفوف حتى تصل إلى واحة العيون وتتعداها باتجاه الشمال مكونة أحواضاً مجمعة للأملاح المرتفعة في مياه الاحساء حيث تتجمع منها كميات كبيرة خاصة في فصل الشتاء . وتعد أكبر السبخات وأوسعها «بركة الأصفر» الواقعة شمال شرقي الهفوف وتمتد باتجاه الشرق والجنوب الشرقي حوالي عشرة كيلو مترات ، وذلك قرب قرية الطرف ، وحوالي أحد عشر كيلو متراً شرقي الهفوف . كما تمتد حوالي عشرين كيلو متر باتجاه الجنوب إلى المنطقة الملاصقة لجبل دخنة .[٢]

---

(١) Twitchell, 1944, P. 384.

(٢) لمزيد من الوصف وسرد مفصل لحيوانات ونباتات الواحة راجع فون شيزمان (١٩٢٦م) الفصول (السابع ، والثالث عشر ، والسادس عشر ، والسابع عشر ، وخاصة الملاحق الأول والثامن) ويعد هذا الكتاب حتى الآن أشمل تقرير كامل لمظاهر البيئة في الاحساء .

تقع الواحة ، حسب تسمية الجيولوجين التابعين لشركة أرامكو ، على الأرض المنبسطة المتوسطة ، وهي منطقة منبسطة تمتد من الشمال إلى الجنوب ، وتنكمش في الشمال حيث يبلغ عرضها ٨ كيلو مترات فقط وذلك في شمال قرية العيون مباشرة ، وتتسع كلما امتدت جنوباً ، حيث يبلغ عرضها عند مدينة الهفوف ٢٥ كيلو متراً ، تحد هذه الأرض المنبسطة الوسطى من الشرق برمال صحراء الجافورة ومن الغرب بمنحدر الصمان عند حافته المرتفعة الواسعة . ويوجد هنا وهناك على هذه الارض المنبسطة عدة هضاب منخفضة وبقايا تعرية للامتداد القديم لمرتفع الصمان .

لا تتماثل الواحتان التوأمان بوقوعهما على ارتفاع متسق ضمن تكوين المنطقة الجيولوجي المنبسط . اذ تكون الواحة الشرقية أكثر إنخفاضاً حيث يبلغ إنخفاضها ما بين ٣٠ إلى ٦٠ قدماً ، ويستمر الانخفاض جهة الجنوب والجنوب الشرقي لمدينة الهفوف لمسافة حوالي ٤٠ كم . وعموما فان سطح الاحساء ينحدر باعتدال من جهة الغرب إلى الشرق رغم وجود ميل بسيط في بقعة صغيرة قرب قرية العيون نحو الشمال الغربي والغرب والجنوب الغربي .

ومن النواحي الجيولوجية فالترسبات في المنطقة تتصف بما يأتي :

- **تكوين الدهر الرابع** : حصباء وكثبان رملية .
- **التكوين الجديد** : كتل مختلطة وأحجار رملية وأحجار جيرية رملية ، وطين وطفل صفحي (صخر متكون من صلصال وطين) .
- **العصر الفجري (العصر الحديث السابق)** : أحجار جيرية بحرية وصخور صوانية غير نقية وصخور مكونة من صلصال وطين .

والمميزات الأفقية للمنطقة هي طور الهفوف في التكوين الجديد أو ما يعرف باسم تكوين الهفوف . وقد تم تشكيله في العصر الجيولوجي الحديث القريب ويتكون من :

أ - أحجار الصمان الجيرية الرملية .

ب - سلسلة من الطين وأحجار رملية وأحجار جيرية رملية .

جـ - كتل أحجـــار رمليــــة .

ترتكز قاعدة سطح الهفوف بشكل غير منسجم على الأحجار الجيرية الأساسية القارية للعصر الثلثي الأوسط . ويستخدم سكان الاحساء بشكل واسع الأحجار الجيرية التي توجد فعلاً في كل مكان في الواحة وذلك لأغراض التشييد والبناء ، سواء في صناعة الجير أو في أحكام الكتل الجيرية لبناء الجدران وتثبيتها .

لم يجر على الاطلاق احصاء لسكان الاحساء . وقد قدر عدد السكان من قبل عدة أشخاص أشير اليهم في الجدول رقم ٢ . وتجدر الاشارة إلى أن كل التخمينات وضعت على أساس ملاحظات شخصية وروايات للسكان المحليين . وقد بذلنا في هذا الكتاب محاولة للحصول على نوع من التقدير الدقيق ، والذي يمكن أن يعتمد عليه أكثر من الاعتماد على الارقام المستشهد بها في الجدول السابق .[١]

نعتقد أن الرقم ١٦٠ر٠٠٠ نسمة من المحتمل أن يكون هو الرقم المعول عليه لمجموع عدد السكان في الاحساء . وأن تقديرات كل من كراري وفون فيزمان وديكسون قريبة من الواقع تقريباً .[٢] أما الارقام التي ذكرها كل من فؤاد حمزه وحافظ وهبة ودوسون Dowson فانها تقديرات مبالغ فيها إلى حد كبير رغم أن الكثافة السكانية تزداد بشكل مضطرد وأن التقديرات المشار إليها من المحتمل الوصول إليها بعد سنوات قليلة . ويلاحظ إزدياد عدد السكان بشكل كبير خاصة في مدينتي الهفوف والمبرز . وفي الوقت الذي أصبحت فيه بعض القرى البعيدة عن المركز قليلة السكان ، ويبدو أن النزوح إلى الواحة هو السبب الأساسي في نمو عدد سكان الاحساء . ولا تعد معدلات الولادة والوفاة كما يبدو في الوقت الراهن ذات تأثير مهم حسب الاحصائيات الصحية . ومن بين التقديرات المعروضة في الجدول رقم ٢ يظهر أن تقديرات «جريدة البلاد السعودية» غير واقعية تماما .

ومن بين عدد سكان الاحساء البالغين ١٦٠ر٠٠٠ نسمة ، يبلغ سكان مدينة الهفوف

(١) انظر خاتمة الكتاب لمعرفة كيفية الوصول في هذا الكتاب لتقدير عدد السكان .

(٢) افتراض ديكسون لعدد السكان بـ ١٥ر٠٠٠ نسمة لابد أن يكون خطأ مطبعياً قد وقع بدلا من ١٥٠ر٠٠٠ نسمة .

جدول رقم (٢)

تقديرات عدد السكان في الاحساء وفقاً لمصادر مختلفة

	الواحة الشرقية	مدينة الهفوف	مدينة المبرز	القرى كلها	البـــدو	المجموع
هوغرات Hogarth ١٩٠٥م	--	٢٠ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠	--	--	--
لوريمـــر Lorimer ١٩٠٨م	--	٢٥ر٠٠٠	٨ر٥٠٠	٣٣ر٥٠٠	--	٦٧ر٠٠٠
فيلبي Philby ١٩٢٣م	٧٥ر٠٠٠					
هاريسون Harrison ١٩٢٤م		٣٠ر٠٠٠				١٠٠ر٠٠٠
ماكـــيّ Mackie ١٩٢٤م		٣٠ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠	٣٠ر٠٠٠	١٥ر٠٠٠	٩٥ر٠٠٠
فؤاد حمزة Fuad Hamzah ١٩٣٣م		١٠٠ر٠٠٠			٢٠٠ر٠٠٠	٣٠٠ر٠٠٠
حافظ وهبة Hafz Wahhab ١٩٣٥م		٦٢ر٠٠٠			١٨٧ر٥٠٠	٢٥٠ر٠٠٠
فون فايزمن Von Wissmann ١٩٣٧م		٣٠ر٠٠٠				١٥٠ر٠٠٠
ديكسون Dickson ١٩٤٩م		٢٥ر٠٠٠ أو ٣٠ر٠٠٠	١٠ر٠٠٠			•١٥ر٠٠٠
كراري Crary ١٩٥١م						١٥٠ر٠٠٠
صحيفة البلاد السعودية ديسمبر ١٩٥١م Al-Bilad Al-Saudiyah		١٥٠ر٠٠٠ أو ٢٠٠ر٠٠٠				٥٠٠ر٠٠٠
دوســـون Dowson ١٩٥٢م						٢٥٠ر٠٠٠
دليل المملكة العربية السعودية Hand Book of Arabia		٢٥ر٠٠٠	٨ر٥٠٠			
فايـــدل Vidal ١٩٥٢م		٦٠ر٠٠٠	٢٨ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠	١٥٨ر٠٠٠
التقديرات المحلية ١٩٥٢م مبالغ فيها معتدلـــة		١٧٥ر٠٠٠ ٦٠ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠ ٣٠ر٠٠٠	٥٥ر٠٠٠ ٤٠ر٠٠٠	-- ٣٠ر٠٠٠	٢٨٠ر٠٠٠ ١٦٠ر٠٠٠

حوالي ٦٠،٠٠٠ نسمة وسكان المبرز حوالي ٢٨،٠٠٠ نسمة . ويتوزع العدد المتبقي بين ٥٢ قرية ، أثنتان في واحة العيون ، وست في الواحة الشمالية ، وأربع وأربعون قرية في الواحة الشرقية ، وكذلك بعض مخيمات البدو الموسمية . واذا كانت أرقامنا لحجم المنطقة وسكانها تعد صحيحة على وجه التقريب فان الكثافة السكانية في الاحساء تبلغ - بناء على ذلك - حوالي ٢،٣٠٠ نسمة في الميل المربع .

ولم يكن الوصول إلى الاحساء أمراً صعباً حتى قبل استخدام السيارات . فهناك طرق معروفة للقوافل تربط بين الهفوف والرياض (عدة مسالك اختيارية) وبين الهفوف والقطيف ويبرين والكويت . ومن بين تلك الطرق جميعاً فأن أكثر الطرق تفضيلاً هو الطريق الواصل بين العقير والهفوف ومن ثم إلى الرياض والمناطق الغربية . كان هذا الطريق أسهل معابر الوصول إلى الاحساء ولذافقد سلكه الرحالة الاوائل ما عدا سادلير الذي أختار طريقاً أطول بدأ من القطيف .[١] وكان بيلي Pelly وشيزمان وبيركهارت Burchardt وليشمان Leachman وفيلبي والريحاني من بين عدة رحالة آخرين وصلوا الاحساء عن طريق ميناء العقير .[٢] بينما سلك رونكيير Raunkiaer وبلغريف Palgrave الاتجاه المعاكس من الاحساء إلى العقير .[٣]

تعد المسافة بين ميناء العقير وقرية الجشة بمثابة رحلة سهلة يبلغ متوسط مداها مسيرة يوم للابل ، وتتوفر في هذا الطريق مجموعة من الآبار ، مثل أم الذر وشاطر ، والتي تقع بشكل مناسب على طول الطريق بين العقير وقرية الجشة .[٤] وعادة اذا غادرت القافلة ميناء العقير عند شروق الشمس وتوقفت وقفات قصيرة عند الآبار للتزود بالمياه ، فانها تصل الجشة أو حتى قرية الجفر الواقعة على بعد مسافة ميلين إلى الغرب منها مع حلول الليل أو بعده بقليل .[٥] وقد فضل بعض المسافرين

---

(١) Sadlier, 1823 and 1866.

(٢) أنظر قائمة المراجع للاطلاع على تقارير هؤلاء الرحـــالة .

(٣) Palgrave, 1865.

(٤) الآبار الأخرى هي بريمان وخوينج . أنظـــر Mackie, 1924, P. 193 Lorimer 1908, P. 672.

(٥) Philby, 1923, Vol., 1, PP. 13-15.

بدء رحلتهم من العقير عند الظهر ثم التخييم حول أحدى الآبار طوال الليل ليصلوا إلى الجشة ظهر اليوم التالي .[1] والطريق البديل الذي سلكه رونكيير يبدو أنه مشكوك في توفر مصادر المياه فيه لكنه أقصر من سابقه بكثير[2]

تغير هذا الوضع منذ بدء عمليات البحث عن النفط في المنطقة ، ولا سيما منذ تطور حقل بقيق . اذ لم يعد العقير ★ ميناء الاحساء ، واضمحل بوضوح . اذ تصل المؤن والناس حالياً إلى الاحساء عن طريق الدمام والخبر عبر الظهران وبقيق ، ومن ثم يسلك الطريق المتجه إلى عين دار إلى أن يتفرع منه طريق باتجاه الجنوب ، عند نقطة تقع في منتصف الطريق بين بقيق وعين دار ، متجهاً إلى الجديدة[3] وعين سعد وعين المزاوي ، وجميعها تتبع واحة العيون ، ويستمر الطريق بمحاذاة قرية المطيرفي إلى الغرب ماراً بقرب السور الغربي لمدينة المبرز ثم البساتين المحيطة بعين أم خريسان ليصل إلى الهفوف . وللاستفادة من الطريق التي غطيت بطبقة من الاسفلت في مناطق حقول النفط بالمنطقة فان معظم الحركة المرورية من الكويت إلى الهفوف تتجه نحو الجنوب على طول ساحل الخليج العربي إلى الجزء الشمالي من طريق الجبيل الذي يصل طريق رأس تنورة بالظهران شمال الأوجام ، ومن هناك إلى الظهران ثم إلى الطريق السابق وصفه للوصول إلى الاحساء . وقد اختصر الوقت الذي يستغرقه المسافر من الخليج العربي إلى الهفوف من يوم ونصف إلى حوالي ساعتين ونصف .

هذا ولا تزال الطرق من الاحساء إلى يبرين والرياض والطريق الداخلي إلى الكويت تستعمل حتى الآن . وقد حلت السيارات والشاحنات إلى حد كبير مكان الجمال .

أضيف بدءاً من سنة ١٩٥٠م وسائل جديدة للنقل والمواصلات في الاحساء ،

---

(١) Rihani, 1928, P. 122.

(٢) Raunkiaer, 1916, P. 116.

(٣) لم يعد هذ الطريق مسلوكاً الآن كما زال مركز الجديدة الواقع قرب مصنع الاسمنت الحالي . (المترجم) .

★ ظل ميناء العقير يؤدي دوره النشط كميناء للمنطقة حتى ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م حينما بدأت فرضة الخبر ومن ثم ميناء الدمام يستقطبان الاقبال التجاري : لمزيد من المعلومات راجع كتابنا «اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية» . (المترجم) .

أهمها سكة حديد الحكومة السعودية . وفي وقت اعداد هذا الكتاب توجد محطة رئيسية للسكة الحديدية في مدينة الهفوف ، ومحطتا إشارة يتوقف فيهما القطار إذا أعطيت له الاشارة بذلك ، أحداهما مقابل المبرز وعين نجم والأخرى عند قرية المطيرفي وثالثة يتم بناؤها عند قرية العيون . لا يمكن الآن التنبؤ بصفة مؤكدة عما اذا كان السفر بالقطار سيحل مكان السفر بالسيارة من الاحساء إلى الخليج العربي . إلا أن فرص تحقق ذلك تبدو ضئيلة ، لا سيما مع توفر طرق جيدة وزيادة عدد السيارات ، يضاف إلى ذلك توفر وقود رخيص نسبياً مما سيجعل المنافسة حادة . وعلى أية حال ، وفيما يتعلق بالسفر من الهفوف إلى الرياض فان الخط الأطول والأكثر صعوبة لسكك الحديد يعد فعلياً خياراً مفضلاً وبديلاً لاستعمال السيارة وقد ثبت ذلك بعد افتتاح خط سكة الحديد بوقت قصير .

يوجد داخل الاحساء نفسها طريقان رئيسان يربطان مدينة الهفوف بالقرى .[١] يمتد احداهما شمالاً إلى قرية العيون ماراً بالمبرز والمطيرفي . بينما يتجه الآخر شرقاً إلى قرية الجشة عبر قريتي الفضول والجفر . ويتفرع طريق جانبي من الطريق الأول يتجه إلى قريتي الشعبة وجليجلة . ويقود فرع من الطريق الثاني إلى القرى المحيطة بجبل القارة وإلى مجموعة القرى الصغيرة التابعة لقرية العمران .

وهناك طريق ثالث يربط الهفوف بقرى الكلابية والمقدام والحليلة . ويصل طريق رابع وهو أقل أهمية الهفوف بقرية البطالية .

وعلى العموم ، فكل الطرق تتجنب البساتين المنتشرة بشكل متعرج ما أمكن ذلك . وهذه الطرق جميعاً مناسبة لحركة السيارات ، وقد عبد بالأسفلت طريقان منها . وجميع الطرق سالكة مع اختلاف ظروف الطقس على مدار أيام السنة . وتستخدم حالياً في التنقل والمواصلات حيث تنقل العربات الناس والأحمال على جميع الطرق المذكورة . وتزداد حركة النقل خاصة في أيام الأسواق الاسبوعية حيث تقوم

---

(١) لمزيد من الوصف المفصل للطرق في الاحساء أنظر :
Great Britain, Admiralty War Staff, 1917, Vol. II, PP. 98-108;
India General Staff, 1916 and 1945; and Lorimer, 1908, PP. 670-673.

سيارات الأجرة والسيارات الصغيرة والسيارات المحولة إلى شاحنات خفيفة والشاحنات برحلات متكررة من القرى إلى مواضع الأسواق . وسيارات الأجرة ملك للمواطنيين المحليين الذين يقودونها ، بشكل عام ، بأنفسهم . وأجرة سيارة الأجرة ليست محددة بشكل ملزم ، ما عدا السيارات العاملة ما بين الهفوف والمبرز ، ويعود ذلك للتنافس الناشيء عن كثرة عدد السيارات العاملة على هذا الخط وكثرة عدد المتنقلين بين المدينتين ، ولذا فقد حددت الأجرة بربع ريال للراكب . وبلغت أجرة الانتقال بين الهفوف وقرية الجشة حوالي ريالين في حالة مشاركة الراكب لخمسة أو ستة ركاب ، أما إذا أراد الشخص أن يستقل بركوب سيارة بمفرده ، فإن أجرتها بين الهفوف والمبرز تبلغ ريالين ، وأجرتها ما بين الهفوف والجشة تصل إلى حوالي ١٥ ريال . كان المتوسط التقديري لعدد السيارات العاملة في الاحساء في سنة ١٩٥١م يتراوح ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ سيارة .

أما النوع الثاني المهم من وسائل النقل فقد كان «القارى» . والقارى عبارة عن عربة مصنوعة من الخشب على هيئة صندوق يجرها حمار ، مزودة بعجلات سيارات . وكانت العجلات تحشى أحيانا بالاسمال البالية . ورغم أن بعض الناس يعتقدون أن إبتكار القارى نتج بعد استيراد شركة النفط لعدد كبير من السيارات ، غير أن الاعتقاد الراسخ الآن وهو معقول بأن إستخدام القارى في شرق المملكة انتقل إليها من البحرين التي منحت عقد امتياز النفط بأراضيها قبل المملكة بعدة سنوات . ومن ناحية أخرى ، فان من المؤكد أن زيادة شراء السيارات وتوفر عدد كبير من العجلات المستغنى عنها لقدمها ، علاوة على وجود صناعة النفط قد أعطى ذلك كله دفعة قوية لتصنيع عدد كبير من عربات القارى ومع ذلك فلا زال الحمار هو المفضل للقيام بأغراض النقل القصيرة ، وللاستخدام الشخصي ، ولا سيما في نقل التمور وسعف النخيل والحجارة خاصة داخل المنطقة . إلا أن الفعالية العظيمة للسيارات والقارى إذا ما قورنت بالنقل بواسطة الخرج ، جعلت حمير الاحساء تفقد كثيراً من أهميتها الاقتصادية السابقة .

تشارك شاحنات كويتية بين الفينة والأخرى في النقل التجاري في منطقة الاحساء . وعادة ما تفرغ هذه الشاحنات أحمالها التي قدمت بها من الكويت في

جدول رقم (٣)

المسافات بواسطة الطريق من الهفوف إلى عدة نقاط محلية في الاحساء وفي وسط وشرقي المملكة العربية السعودية (بالكليو مترات)

إلى	المسافة	
المبرز	٣ر٧	
الفضول	١ر٩	
الجفر	١٣ر٠٠	
الطرف	١٤ر٤	
الجشة	١٦ر٠٠	
الدالوه	١٠ر٣	
التهيمية	١١ر٢	
القارة	١١ر٩	
الكلابية	١٠ر٢	
الشعبة	١٢ر٧	
محاسن	٦ر٠٠	
المحطة الزراعية	١٠ر١	
المطيرفي	١١ر٨	
عين سعد	١٦ر٩	
العيون	٢٥ر٣	
الجديدة	٢٩ر١	
بقيق	٧٣ر٠٠	(تقريباً)
العقير	٦٩ر٠٠	(» » »)
حرض	١٥٠ر٠٠	(» » »)
يبرين	٢٨٠ر٠٠	(» » »)
الرياض	٣٧٠ر٠٠	(» » »)

الهفوف ومن ثم تحمّل بالتمور والأرز من سوق الاحساء وتغادر بها إلى الصحراء حيث يتم بيعها للبدو . وهناك يتم تحميلها بالحطب لتعود به إلى الهفوف حيث يتم بيعه قبل عودتها للكويت . وفي بعض الأحيان تحمل هذه الشاحنات أيضا ببضائع الهفوف إلى مناطق الساحل في طريق عودتها إلى الكويت .

يعد النقل بواسطة الجمال في الاحساء شأنا يختص به البدو لأن الاحسائيين المستقرين لا يملكون جمالاً .[١] ومنذ أن بدأ إستيراد السيارات واستخدامها في النقل ومد سكة الحديد بعد ذلك ، فقد حلت تلك الوسائل بشكل كبير مكان قوافل الجمال للنقل لمسافات طويلة خاصة بين ساحل الخليج العربي والاحساء ، وبين الاحساء والرياض . ولذا فقد تدنت أهمية النقل بواسطة الجمال في الاحساء بشكل كبير .

---

(١) لمزيد من وصف قوافل حمير الاحساء انظر : Von Cheesman, 1926, PP. 44-55.

الفصل الثاني
مجتمع الاحســــاء

أولاً : تصنيف ومميزات عامة :

يقدم هذا الكتاب لاول مرة قائمة كاملة بأسماء مواقع الاستيطان في واحة الاحساء . ذلك لان الرحالة الذين زاروا الاحساء في الماضي أما غير مهتمين بالقرى الصغيرة مثل أمين الريحاني .[١] وأما كانوا مهتمين ، ولكن لم يمضوا وقتاً كافياً في المنطقة لتسجيل ذلك مثل فيلبي .[٢] أو كانوا سيء الطالع مثل شيزمان الذي كان مهتماً بذلك ولديه متسع من الوقت . لكن لم تتسن له الفرصة لرؤية معظم أجزاء الواحة الخضراء بل وفي مناسبـات عدة ضلله دليله عن عمد .[٣] أما ماكيّ ، الذي يعد من عدة نواحي الأكثر دقة وثقة وإعتماداً في كتاباته عن الاحساء من بين من كتب عنها من الأجانب ، فقد ركز اهتمامه حول مدينة الهفوف والأجزاء الملاصقة لها .[٤] وقد أعد لوريمر قائمة وهي رغم كونها ناقصة وفيها أخطاء قليلة ، إلا أنها هي الأكثر تفصيلاً بين المنشور عن الاحساء حتى الآن .[٥]

وهكذا فان المرء عندما ما يواجه اشارات عن القرى الزراعية في الكتب المنشورة حول الاحساء يجد أن الأسماء المشار إليها هي لتلك المجتمعات الواقعة مباشرة شمال طريق الهفوف - العقير وجنوبه فقط ، وربما تضاف اشارة لقرية القارة وقرية العيون . ويجد المرء أحيانا ، قائمة بـ «المراكز المحلية الرئيسية» متضمنة مجموعة مختلطة لمدن وقرى وأحياء مدينة وينابيع وبساتين كما جاء في كتاب نالينو .[٦]

يتضح مما تقدم أن اعداد قائمة كاملة بأسماء قرى الاحساء تبدو أكثر صعوبة

---

(١) Rihani, 1928.
(٢) Philby, 1923.
(٣) Cheesman, 1926. انظر حادثة القارة ص ٨٩
(٤) Mackie, 1924.
(٥) Lorimer, 1908.
(٦) Nallino, 1939, P. 70.

مما يمكن تصوره عند البداية . فاعداد مثل تلك القائمة من أي موقع داخل الاحساء نفسها أو بعيداً عنها يعد أمراً معقداً للغاية . ويعزى ذلك ، ربما ، لأسباب أولها وجود عدد كبير من المستوطنات الصغيرة التي يصعب الوصول إليها إلى حد ما لتناثرها داخل البساتين . ثانيها بسبب نقصان التدوين المتوفر حالياً . وثالثها بسبب ضيق في أفق تفكير سكان القرى (كذا) .

يبلغ عدد القرى والمستوطنات الصغيرة في الواحة (أي كل مجتمع الاحساء ، ما عدا مدينتي الهفوف والمبرز) ٥٢ قرية ومستوطنة . غير أنه من النادر جداً أن يتمكن ساكن الهفوف من ذكر أسماء خمسة عشر منها ، والأصعب من ذلك أن يطلب منه تحديد مواقعها بالضبط . ولا يعرف العديد من السكان إلا حوالي ثمان أو عشرا من القرى الكبيرة فقط . أما فيما يتعلق بسكان القرية الواحدة فانهم يكونون عادة على معرفة بأسماء القرى المجاورة ومواقعها ، إلا أن معلوماتهم تقل فيما وراء ذلك .

إن الأسلوب الذي اتبع في اعداد القائمة الكاملة المدرجة في هذا الكتاب ، يقوم على زيارة القرية الواحدة ومنها يتم الحصول على أسماء التجمعات السكانية المجاورة ، ثم التوجه إلى تلك التجمعات وإعادة الاسلوب نفسه حتى بلوغ نهاية حافة المساحة المزروعة ، ومن ثم تكرار الشيء نفسه في الاتجاهات الأخرى .

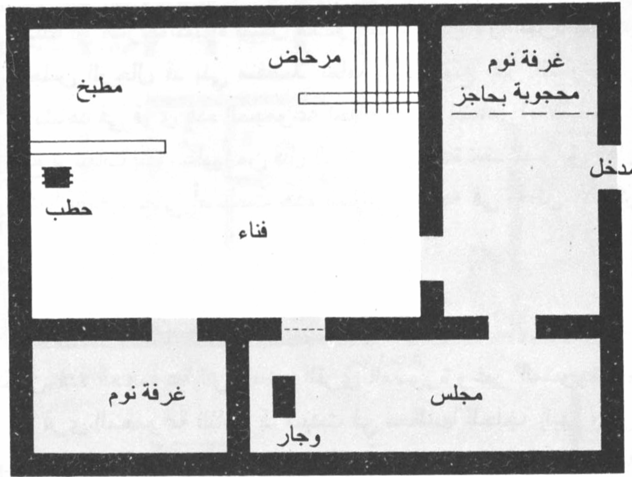
وفيما يتعلق بمجموعة التجمعات السكانية ومميزاتها في الاحساء يمكن افتراض التصنيف العام التالي :

١ - المجموعـــة الأولى :

وهي تتكون من المدن التي تتركز فيها كثافة السكان المدنيين وتقوم بها الأسواق الكبيرة ذات الدكاكين الدائمة ، وحيث اعتماد السكان في تأمين متطلباتهم المعيشية بشكل كبير على الصناعات اليدوية والخدمات والتجارة والوظائف الخاصة علاوة على وظائف الحكومة . ووفقا لهذا التصنيف لا نجد في الاحساء غير مدينتي الهفوف والمبرز فقط .

٢ - المجموعة الثانيـــة :

وهي تتكون من القرى المسورة ، سواء كان فيها حصون أو لم يكن . ويوجد هذا النمط من القرى عادة على طول الطرق الرئيسية المؤدية إلى الاحساء ، خاصة طريق العقير . وتتكون غالباً من بيوت مبنية بشكل أساسي من أحجار الجير وتطلى واجهاتها بالطين أو الجص . وتستخدم كتل اللبن في البناء أيضا .[١] وتضم هذه القرى عدداً كبيراً من بيوت ذات طابقين وقليل منها توجد بها غرفة فوق السطح مكونة جزءاً من طابق ثالث . ولا توجد في هذه القرى الخنادق بكثرة ، وإن وجدت فانها عادة ما تكون قنوات للري تحمل المياه بمحاذاة بعض الأسوار .



مقياس الرسم التقريبي ١": ٨"

ويختلف عدد البوابات ومواضعها وإن كان هناك ميل عام إلى وضعها على الجانب الأقرب المحاذي لبساتين القرية . ويسود في الوقت الحاضر الخراب أسوار القرى عموما . ونتيجة لانعدام الحاجة للتحصينات الحربية واهمال صيانتها ، هناك ثلمات عديدة في معظم الأسوار ، اما لتعمد الناس فعل ذلك أو لتفتت جدران الأسوار ذاتها ، مما أدى إلى أن تستخدم هذه الفتحات كمداخل ومخارج إضافية . يطلق على

(١) يجف اللبن دائما بأشعة الشمس ولا تستخدم النار لتجفيفه في الاحساء .

(★) فات المؤلف أن النار لا تستعمل في تجفيف اللبن ، لأنها لو استعملت لأصبح اللبن (آجرا) ولم يعد (لبنا) . (المترجم) .

هذا النوع من المداخل فريه ويوجد أيضا تفاوت كبير في أحجام المنازل (أنظر الرسم ٣ ، ٤) وفي عدد السكان وفي عدد المساجد ومساحاتها علاوة على ميزات أخرى . وتخصص عادة مساحة خالية خارج أسوار القرية لاستعمالها كمصلى العيدين .

كان شائعاً وجود ميدان واسع داخل القرى الشرقية التي تدخل ضمن تصنيف هذه المجموعة يستعمل مكاناً للرقص . ولا يستخدم هذا المكان للتجمعات الدينية أو الرقص الذي يؤدى في مناسبات الزواج للأشخاص القادرين على تحمل نفقات مثل هذه الاحتفالات . ويسمى هذا الميدان محل الرقص أو محل اللعب أو البراحة .[١] وعلى العموم فإن مثل هذه القرى هي الأكثر إزدهاراً من بين جميع قرى الواحة . وليس مردّ ذلك أن منازلها كبيرة بشكل ملائم فقط ، ولكن لأن المرء يجد في حالات كثيرة أن مجلس الرجال قد بني منفصلاً تماماً وغالباً يقع عبر الشارع من المنزل الاساسي . ويشاهد في قرى هذه المجموعة أحياناً فضاء إضافي لمتطلبات الدفاع التي تستلزم وضع ترتيبات يتفق عليها من قبل السكان . وعادة تمتد الطوابق العليا للمنازل فوق طرقات القرية ، حتى أصبحت هذه الشوارع تشبه في بعض الأماكن الأنفاق الطويلة .

٣ - المجموعة الثالثـــة :

تتكون هذه المجموعة من بعض القرى المسورة وغير المسورة . وحيث أن الاسوار في قرى المجموعة الثانية قد شيدت في معظمها للحاجة إليها ، فان الأسوار في المجموعة الثالثة تتألف أسوارها بشكل أساسي من الجدران الخلفية للمنازل المتراصة بجانب بعضها ويمكن القول بأن تشييد أسوار خاصة يعد أمراً نادراً . وفي بعض الحالات يكون السور غير كامل ، وعلى أي حال فأن قلة قليلة من هذه القرى تملك أسواراً صغيرة جداً . وفي بعض هذه القرى يكون عدد المنازل المبنية أكثر من عدد العشش وأن كان بعضها على أية حال ، يضم عدة أكواخ . ويندر وجود طابق ثان في منازل هذه المجموعة .

تقع معظم التجمعات السكانية في هذه المجموعة على الطرق الخلفية أو في

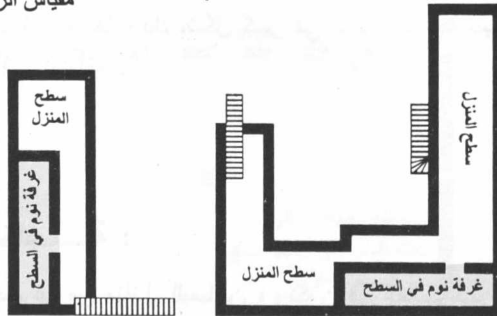
(١) مسمى البراحة يستخدم في الاحساء لتمييز مواضع الميادين سواء كانت داخل القرى أو ملاصقة لأطرافها .

داخل نطاق بساتين النخيل . ويتفاوت حجمها بشكل كبير وكذلك عدد بواباتها .

٤ - المجموعـــة الرابعـــة :

تتألف هذه المجموعة من قرى صغيرة غير مسورة ، تقع داخل المساحة المزروعة . وتتكون معظم مساكنها من الأكواخ مع عدد قليل من البيوت المبنية





رسم كروكي لمنزل أسرة ميسورة الحال تتكون من أثنى عشر فرداً في قرية «الجشة» وهذا المنزل مبني من الحجر الجيري ومطلي بالطين كما طلي معظم غرفه من الداخل بالجص وقد صنعت نوافذ مجلس الرجال من خشب منقوش يفتح بمصاريع ومزودة من الخارج بقضبان حديد من أجل الأمن . والسقوف مغطاة بأخشاب الكندل الأسود وسيقان أثل مغطاة بحصير ثم طبقة طين بينما وضعت طقوم الخيل وسرجها في المدخل الرئيسي ، بينما سقف مستودع حفظ مياه الشرب ومخزن علف الماشية جزئياً بقش وسعف نخيل وتتميز غرفة النوم الواقعة فوق مجلس الرجال بانعزالها عن بقية أجزاء السطح لاستخدامها لاستضافة الضيوف في ليالي الصيف الحارة .

بالطين التي قد لا تزيد على ثلاثة . كما أن المسجد يمكن أن يكون مبنياً بالطين .

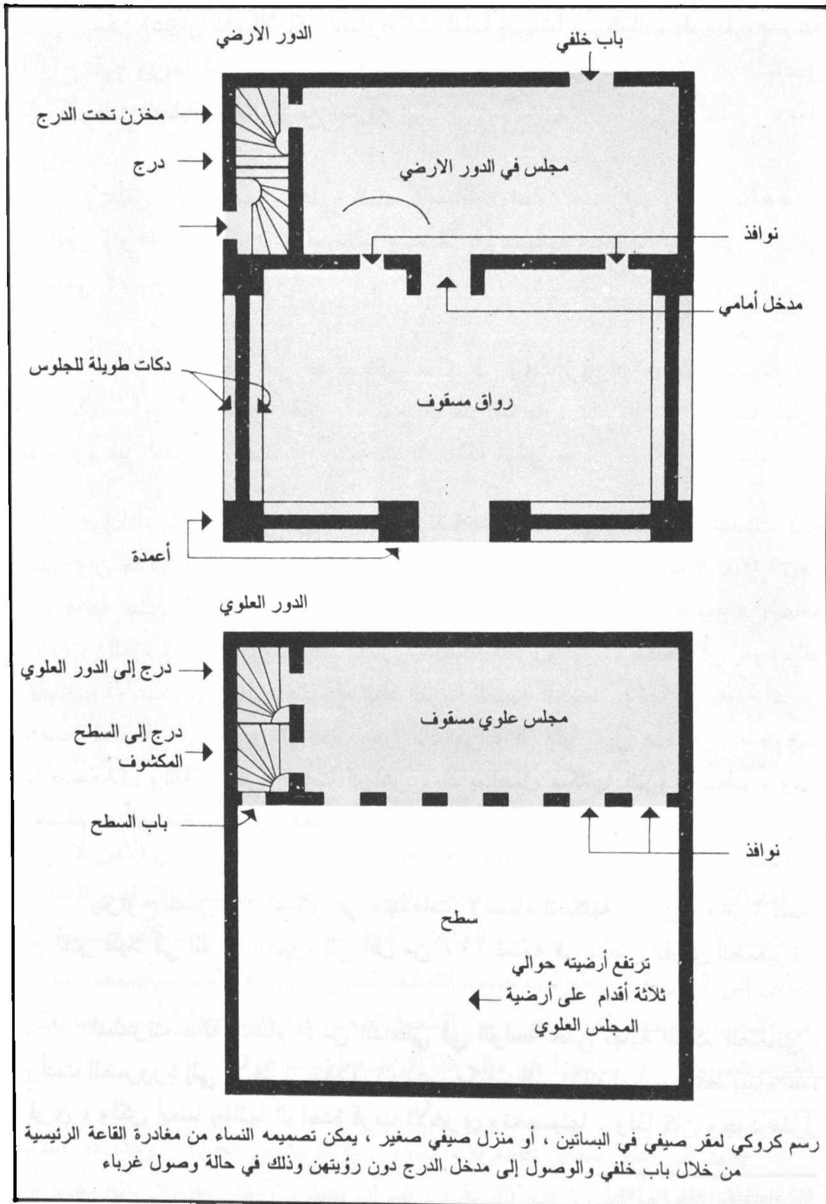
وحتى إذا بنيت المنازل الاكبر حجماً في هذه القرى الصغيرة فانها تبنى عادة بجريد النخيل وسعفها وتشيد في بعض الأحيان تقليداً للمنازل المبنية اذ يستخدم كامل جذع النخيل عموداً للبناء..

تعد هذه القرى الصغيرة في نظر السكان المحليين بأنها تخص طبقة سكانية خاصة . ولذا فبدلاً من تسميتها «بلاد» أو «قرية» أو «ديرة» فانهم يطلقون عليها اسم «فريق» (جمعها فرقان) .

وكلما بعدت القرية الصغيرة لمسافة مناسبة عن أي قرية أخرى سواء المجموعة الثانية أو الثالثة أصبح لها أمير أو عمدة مستقل . لكنها إذا لم تكن بعيدة فان أميرها عادة يتبع أمير القرية الأكبر القريبة منها . ومعظم سكان القرى الصغيرة من الفلاحين العاملين في البساتين . وبما أن هؤلاء السكان لا يملكون أية بساتين إنما يعملون نظير أجور ، فإن إنتماءهم للأرض ليس قوياً ولا يتوفر لقراهم الديمومة التي تتميز بها القرى المبنية . ونتيجة لذلك فان قريتي بني نحو واوثيلة اللتين أشير إليهما في مصنفات مطلع القرن العشرين كقريتين مسكونتين آنذاك قد أصبحتا الآن مجرد موقعين مهجورين . كان عدد من هذه القرى الصغيرة المعزولة في مواقعها معرّض لهجوم قوى الطبيعة إلا أن عددها ازداد بشكل كبير في العقود الحالية نتيجة تحسن أحوال الأمن الداخلي في المنطقة .

٥ - المجموعة الخامسة :

تتكون هذه المجموعة من منازل البساتين ، وتكون في الغالب كبيرة الحجم ، شيدتها الطبقة الغنية في الاحساء واستخدمتها مساكن لقضاء فترات قصيرة في فصل الصيف كأماكن للراحة في فترات الظهيرة خلال الشهور الحارة أو للاحتفاء بالاصدقاء .



رسم كروكي لمقر صيفي في البساتين ، أو منزل صيفي صغير ، يمكن تصميمه النساء من مغادرة القاعة الرئيسية من خلال باب خلفي والوصول إلى مدخل الدرج دون رؤيتهن وذلك في حالة وصول غرباء

يمكن اعتبار هذه الأماكن مستوطنات فعلية إذ ينشأ في الغالب بقربها مجموعة أكواخ قليلة وربما شيد بيت أو بيتان من المباني الطينية المخصصة لايواء الشخص الموكل إليه العناية بالبستان مع أسرته .

ويطلق الاحسائيون على تلـك المساكن اسم قصور . وتبنى بالحجارة والطين ، وغالباً ما يكون البناء متقناً وجميلاً . وجميعها متشابهة عادة في الطراز الهندسي العام (أنظر الصورة) .

أما ما أبداه ماكيّ من أنه لم تكن هناك في وقت زيارته مساكن منعزلة في الاحساء . فهو أمر غير دقيق .[١] مع الاعتراف بأن تلك القصور كانت نادرة الوجـود قبل هدوء الأوضاع الأمنية في المنطقة نهائياً حوالي سنة ١٩٣٠م .

وإذا أخذنا بالاعتبار كل المجمعات السكنية الداخلة في تلك المجموعات ، فانه يبدو وأن هناك نمطاً ثابتاً ومتسقاً للمستوطنات في الاحساء . وهو نمط يمكن تتبعه وإرجاعه على الاقل إلى العصور الوسطى : فالقرى تقع عموماً قريبة من حافة الأرض المزروعة ونادراً ما تقع داخل المساحة المزروعة . ويحتمل أن يعود ذلك لأسباب دفاعية ومن أجل تجنب إستنفاد التربة المنبتة الجيدة . وثمة ملاحظة أخرى تنطبق خاصة على القرى الواقعة ضمن المجموعة الرابعة ، إن هذه القرى معرضة للاضمحلال والتلاشي في الوقت الراهن ، اذ يواصل سكانها النزوح ببطء ، ومن المسلّم به أنها ستنتهي إلى الخراب .

يتراوح تقدير عدد السكان في مجمعات الاحساء السكنية ما بين ٥٠٠ر٢ نسمة أو أكثر قليلاً في القرى الكبيرة إلى أقل من ١٠٠ نسمة في بعض القرى الصغيرة .

استمرت حالة انعدام الامن الداخلي في الواحة حتى نهاية الحكم العثماني ، وأدت الضرورة إلى الأخذ باستغلال زراعي مكثف إلى الالتزام ليس فقط ببناء عدة قرى ، ولكن أيضا ببنائها الواحدة قرب الأخرى وتحصينها . ولذا كان وجود منزل

---

(١) Mackie, 1924, P. 195.



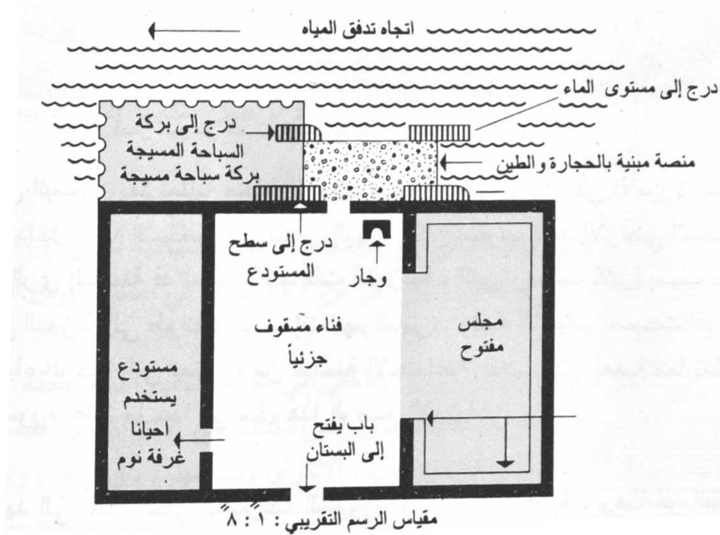
قصر كبير من قصور قضاء الصيف في بساتين الواحة الشرقية

منعزل في البساتين يعد بمثابة مخاطرة عظيمة جداً ، ونتيجة لذلك فان الأمن لا يمكن توقعه إلا داخل قرية الشخص التي ينتمي إليها . وكان أسلوب تملك الأراضي السائد ، وعادات الري المطبقة قد شجعت اتجاهات التجزئية ، التي ترسخت كثيراً بسبب ميل الناس إلى التجزئة إلى طوائف حسب إنتمائهم الديني . ولهذه الأسباب أصبحت القرية في الاحساء الوحدة التي تعتبر ، من الناحية الاجتماعية فقط ، أكثر أهمية مما يمكن للمرء تصوره عادة ما عدا في مثل هذا الوضع الاجتماعي .

يعهد إلى أمير محلي بتصريف الشؤون الادارية في القرية . وهذا هو اللقب الذي يطلق عموماً على زعيم القرية ، رغم أن بعض السكان يقرّون بأنه يجب أن



قصر أم الخيس ، ويحمل اسم النبع الشهير الذي يقع بجواره ، وهو قصر صيفي لسعد القصيبي .



رسم كروكي لقصر صيفي أو قصر بساتين يقع قرب قناة ماء متدفقة في منطقة بني نحو .

يسمى عمدة حيث لا يوجد أمير في الاحساء غير ابن جلوي . ولا توجد مشكلة بروتوكولية بين القرويين أنفسهم حيث أنهم دائما يشيرون إلى عمدة القرية باسمه الشخصي . ورغم أن منصب الأمير أو عمدة القرية متاح للجميع ، إلا أنه عموما محصور بالوراثة داخل أكبر أسر القرية نفوذاً . اذ يخلف عمدة القرية عقب وفاته كبير أسرته بصورة تلقائية ليصبح عمدة القرية الجديد ، لكن اقراره في المنصب يتطلب موافقة أمير المنطقة في الهفوف .

وبما أن القرى ، كقاعدة ، لم تكن ميالة بشكل ودي إلى الحكومة خلال الحكم العثماني للمنطقة ، فقد احتفظ معظم عمد القرى بمناصبهم بعد استعادة الملك عبدالعزيز للاحساء . وهكذا ، وكمثال ، فان أفراداً من أسرة الصائل في قرية الجشة ، والعيسى في الجفر استمروا في شغل منصب عمدة القرية لعدة سنوات .

ويعد الامام في القرى الكبيرة شخصية مهمة أيضا . وتتمثل مهمته في إمامة الناس في الصلاة وعقد الأنكحة . ويقوم بإبرام عقود الزواج في القرى التي لا يوجد فيها مأذون شرعي ، ممن تتوفر فيه شروط الالمام بالأمور الشرعية . ولا يوجد قضاة رسميون في قرى الاحساء ، ولذا تحال القضايا الشرعية إلى الهفوف .

وتتكون المباني العامة في قرى الاحساء من المساجد والمدارس ، وتوجد في قرى الشيعة الحسينيات فقط . وتحال مشاكل صيانة مباني المدارس أو أمر تشييد ملاحق لها إلى المسؤولين في الهفوف . أما أمر معالجة مشاكل الصيانة وخدمة المباني الدينية فتعالج محلياً بأسلوب غير رسمي ، إلا إذا تتطلب الأمر اعتماد مبلغ مالي كبير فحينها يرسل طلب بذلك إلى الادارة المركزية في الهفوف .

تتميز مدينة الهفوف من بين مدن وقرى الاحساء ، بكونها الوحيدة التي توجد بها بلدية . وتقتصر جل خدماتها ، على أية حال ، على مدينتي الهفوف والمبرز . أما في القرى فانا مهام البلدية مثل نظافة الشارع وإزالة الحيوانات الميتة ... ألخ ، توزع بصفة غير رسمية من قبل عمدة القرية على السكان دون أن يكون هناك تنظيم رسمي للأعمال البلدية . وفي حالة العزم على القيام بمشاريع كبيرة ، يرسل طلب

المساعدة المالية للمسؤولين في الهفوف .

ومنذ نهاية الحكم العثماني لا يوجد في قرى الاحساء مراكز للشرطة أو الجيش . وإذا ما طرأت طوارىء فان «خويا» العمدة أو أقرباءه يتدبرون الأمر وإذا اعتقل المتهم يتم إرساله إلى الهفوف لعقابه . ترسل الأوامر الادارية إلى عمدة القرية بواسطة أحد خويا أمير المنطقة وتبلغ إلى القرويين بواسطة خويّ أو قريب لعمدة القرية . يوجد مركز صغير لخفر السواحل والجمارك في عين الجديدة ، وهو نبع يقع شمال قرية العيون ويعد من قبل بعض الناس خارج حدود واحة الاحساء . هذا ويوجد مجموعة من ثلاث أو أربع عشش شرق النبع والتي لا يمكن حتى اعتبارها مستوطنة . أما مراكز الجيش في قصر الوجاج وقصر محيرس فليس لها علاقة بالشؤون الادارية للقرى .

حسب أفضل المعلومات المتوفرة الآن فان سكان الاحساء ينقسمون بشكل متساو بين السنّة والشيعة ، وربما كان الأخيرون أكثر عدداً ، ولعل النسبة ٤٥ - ٥٥٪ تعكس الوضع الفعلي ، على أن النسبة ٤٠ - ٦٠٪ يحتمل أن تكون الحد الأعلى .

توجد في المنطقة مدارس للمذاهب الدينية الأربعة بين السكان السنة في الأحساء . وتعد الاغلبية الآن من أتباع المذهب الحنبلي ، وهو المذهب الرسمي للدولة . ويأتي بعده من حيث الانتشار المذهب المالكي ، ومن أتباعه المهمين والمشهورين أفراد أسرة آل مبارك المعروفة . ويذكر أن المذهب الشافعي هو الأقدم في الاحساء ، إلا أن عدد أتباعه قليل جداً الآن وينحصر وجودهم في مدينة المبرز وفي أسر قليلة في مدينة الهفوف . أما المذهب الحنفي فيقال أنه إنتشر مع قدوم العثمانيين وأن أتباعه قلة يقطن جلهم في حي الكوت وحي الصالحية في مدينة الهفوف .

والقرى الواقعة في المساحة المزروعة عموماً تضم سكاناً من طائفة دينية واحدة . والقرى التي تضم خليطاً من السنة والشيعة حالة نادرة ، وإذا ما وجدت ، فإن الشيعة يكونون أقلية ويسكنون في طرف معين من القرية . ولا يوجد الاختلاط

المطلق إلا في مدينتي الهفوف والمبرز ، وقد حدث في الماضي أن الشيعة وجدوا أن العيش في قرية مختلطة صغيرة غير مناسب لهم مما حدا بهم إلى الانتقال إلى موقع قريب لتأسيس قرية خاصة بهم . كالذي حصل في قرية الساباط التي أنشئت وسكنت من قبل الشيعة الذين انتقلوا إليها من قرية الجفر التي أصبحت الآن خاصة بالسنة .

الشيعة طائفة تتكون من عدد من الجماعات التي تختلف إلى حد ما فيما بينها في اعتقادها وطقوسها ، ولكل منها عدد من الأئمة الذين يتبعونهم . وشيعة الاحساء جميعهم من طائفة الاثنى عشرية والتي تعترف بالأئمة الاثنى عشر بدءاً بالامام علي بن أبي طالب (رض) وانتهاء بمحمد المهدي . وتفترق هذه الطائفة نفسها إلى عدة مجموعات ، وفي الاحساء منهم المجموعات التالية : الشيخية الاثني عشرية في مدينة الهفوف ، وكل من الشيخية الأصولية Usuli الاثنى عشرية في المبرز والقرى الزراعية .[١]

يبدو أن هناك بعض الشك فيما إذا كان من الممكن أن يطلق على الشيخية شيعة بالمعنى الدقيق ولكنهم يعدون في الاحساء منهم .

بجانب وجود المساجد المعتادة لأداء الصلاة ، يختص الشيعة ببنايات دينية أخرى تسمى حسينية ، وتكون عادة من ضمن أفضل المنازل في القرية ، وإن كانت لا تبدو ذات مظاهر معمارية متميزة من الخارج ، كما هو موجود في المسجد . وتتمثل مهمة الحسينية في كونها صالة للتجمع الديني . فخلال أيام الذكرى التي يحتفل بها الشيعة يجتمع الرجال في الحسينية خاصة قبل صلاة الظهر ، وقبل صلاة المغرب وبعدها من أجل الاستماع إلى أحد مشايخهم الذي يقوم أما بقراءة بعض النصوص الدينية ويروي سيرة الامام الذي يحتفل بذكراه ، أو يلقي محاضرة يعلق فيها على الموضوع نفسه . وأحيانا ، تجرى مناقشة عامة حول الموضوع بمشاركة المستمعين . ويوجد في معظم الحسينيات وجار قهوة ، وتقدم القهوة خلال بعض الاجتماعات . يحتفل شيعة الاحساء بهذا الاسلوب بميلاد الأئمة الاثنى عشر ووفاة السبعة الأوائل منهم فقط ، وميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة ووفاتهما

(١) في جزر البحرين يتبع الشيعة مجموعة الاخبارية وفي القطيف يكون غالبية الشيعة من أتباع الأصولية .

وكذلك «عودة الرأس» وهو رأس الحسين بن علي ومعركة كربلاء . هناك خلاف فيما يتعلق بتواريخ عدد من هذه الأحداث وأسباب تفضيلها . وهذا الخلاف موجود بين مجموعات الشيعة في الواحة ، فهم يختلفون في اختيارهم لتاريخ واحد محدد أو آخر وسبب ذلك دون أن ينظر إليهم غير قويمي المعتقد من قبل الشيعة الآخرين . وبما أن كل مجموعة تذهب إلى الحسينية في التاريخ الذي تختاره ، فالنتيجة تكون في امكانية بلوغ عدد الاجتماعات الرسمية عدداً قد يبلغ خمسة أو ستة اجتماعات خلال شهر واحد . وهكذا اصبحت الحسينية في المجتمعات الشيعية ، وأيضا ضمن شيعة الاحساء في الهفوف والمبرز نوعا من المنتدى ومكانا لاجتماع عام لسكان القرية .

وبينما تتملك عائلات من أكبر الأسر الشيعية أهمية أملاكاً وأراض . فان الفريق الكبير من الشيعة ، رغم تملكهم قطعاً زراعية صغيرة ، يظل أما صناع وحرفيون أو عمال زراعيون .

لم تتطور الحرف والصناعات اليدوية تطوراً جيداً في المنطقة المسكونة من الواحة ، اذ أنها تعد من الناحية الاقتصادية غير مهمة . ولكن أهل هذه القرى يحرصون على الاستفادة من المنتج الصناعي الثانوي الذي يتخلف عن المنتجات الزراعية مثل انتاج الفحم أو قطع جذوع النخيل وتشكيلها لأغراض البناء ، غير أن ذلك النشاط الصناعي يمارسه أشخاص متخصصون في أوقات إضافية لعملهم الاساسي . وتشتهر قرى قليلة ببعض الانتاج المتخصص مثل صناعة السلال التي تشتهر بها قرية بني عودة أو حياكة الطواقي في قرية العيون . تصنع هذه الاشياء على أسس كونها حرفة منزلية ، إلا أنها أبعد ما تكون عن كونها صناعة متخصصة تشمل القرية بأكملها . وتقوم نشاطات صناعية ثانوية أخرى في جميع القرى مثل النجارة وصناعة اللبن ، وصناعة حصر الأسل «المداد» وصناعة شراك الصيد ... ألخ .[1] وتزاول جميعها في وقت الفراغ . ومن المحتمل وصف صناعة الفخار بأنها الصناعة اليدوية الكاملة الوحيدة التي توجد في القرى النائية ويزاولها أشخاص في معامل صغيرة في مغارات جبل القارة . كما أن هناك عمالاً يعملون في حرق الجص

(١) لا يزاول الاحسائيون الصيد على نطاق واسع داخل المساحة المزروعة . ووسائل الصيد التي يستخدمونها لقنص الحيوانات الصغيرة تكون من أنواع السهام أو النبال أو الأقواس التي تخبى في الأرض وتتنوع في أشكالها وأنواعها .

وفي مقالع الحجارة وذلك في المجتمعات الكبيرة .

ومن وجهة نظر عامة للتركيبة الاجتماعية ، فان مجتمعات قرى الاحساء تتميز بالبساطة . اذ يتكون سكان القرى الأصغر والقرى الصغيرة من طبقة اجتماعية واحدة تتمثل في طبقة العمال الزراعيين ، حيث أن ملاك الاراضي يعيشون في المدن الكبيرة . ويوجد في القرى الكبيرة طبقة عليا بدائية تتألف من أسر قليلة من الملاك الذين يهيمنون على القرية إقتصادياً وسياسياً ، بينما تكون بقية السكان من العمال الزراعيين أيضا .

عاد في السنوات الحالية بعض القرويين الذين سبق أن غادروا قراهم وعملوا خارجها بعقود عمل ، ليبنوا مساكن دائمة لهم في مواطنهم الأصلية ، رغم بقائهم يعملون خارج قراهم .

ومن المحتمل أن يبدأ هؤلاء الأشخاص في منافسة النفوذ الاجتماعي الذي تملكه الأسر القديمة البارزة ، ولكن الأكثر توقعاً أن يقوم الأغنياء الجدد من هؤلاء العائدين بالزواج من طبقة القرية الارستقراطية .

ثانياً : قرى واحة الاحســـــاء :

فيما يلي وصف لأهم مميزات المستوطنات في الاحساء . علماً بأن الجـدول رقم ٤ يضم قائمة كاملة بأسماء القرى .

الجشــــــة :

قرية الجشة هي أول مستوطنة تواجه المرء القادم إلى الواحة من جهة ميناء العقير ، وتقع على الجزء الجنوبي «لطريق السلطان» ، كما يدعى الطريق الرئيسي القادم من العقير . وتقع الجشة قريبة من الزاوية الجنوبية الشرقية لمنطقة نطاق النخيل ، لكنها تنفصل عن المساحة المزروعة . ولا توجد حدود مميزة وواضحة في المنطقة المجاورة مباشرة ما عدا مجموعة من روابي حصابية منخفضة تقع على بعد أقل من ميل إلى الجنوب الشرقي تسمى الدويرات .

جدول رقم (٤)

بيان بأسماء بعض قرى الاحساء وأسماء عمدها وعدد منازلها وعدد سكانهـــا

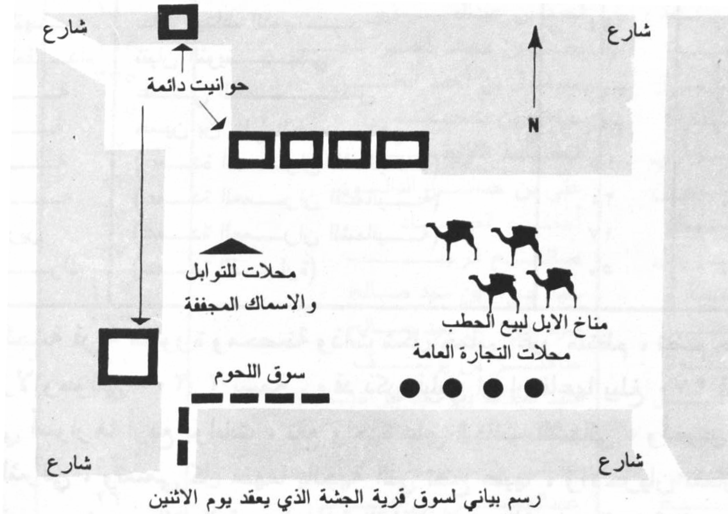
القريــــة	اسم العمـــــدة	عدد المنازل	عدد السكان
المحترقـــة	محمد بن عبدالله المهنـــا	٣٥٠	١٧٠٠
المــــراح	بخيت بن عبد الرحمن العودة	٩٠	٤٧٠
المطيرفـــي	عبدالله الخــــويتم	٣٠٠	١٤٥٠
الشقيـــق	ابـــن نويـــــران	٣٤٥	١٦٠٠
الشعبــــة	سالم بن سالــم العـــــواد	١٥٠	٧٦٠
جليجـــلة	صالح بن ضيـــــدان	٢٢٠	١٠٠٠
القــــــرن		٧٢	٣٥٠
القريـــــن		٣٤٠	١٦٠٠
الجشـــــــة	صالح بن أحمـــد الصائـــل	٤٢٠	٢٢٠٠
الجفــــــــر	عبدالرحمن بن عبدالله العيســـى	٣٨٥	٢٠٠٠
الطـــــرف	محمد بن أحمد الحبيـــــــل	٦٤٠	٣٧٠٠
السابـــــــاط	أحمد بن عبدالعــــــزيز	١١٠	٥٠٠
المركـــــــز	جاسم بن محمد الحسين العلـــي	١٩٨	٩٥٠
الفضــــــول	اسماعيل بن أحمد العلـــي	٣٧٥	٢١٠٠
المنيـــــزلة	عبدالله بن ياسيـــــــن	٢٥٧	١٢٠٠
المــــــزاوي	محمــــــد النويصـــــــر	٧٣	٣٥٠
الشهـــــارين	علي بن حســــن الدالـــوي	٨٢	٤٥٠
العقـــــــار	أحمـــــد العبـــــاد	٤٣	٢٠٠
الطـــــــريبيل	صالـــــح الرجـــــب	٥٧	٢٤٠
القـــــــارة	سيد جـواد بن سيد صـالح	٤٠٧	٢٢٠٠
التويثيــــــــر	سيد جواد بن سيد صــــالح	١٩٣	٧٠٠
الدالــــــــوة	طاهـــــــر بن يوســـــف	٢٠٠	٧٥٠
الجبيـــــــــل	سيد عبدالله بن سيد إبراهيـــــم	٢٣٧	١٢٠٠
التهيميــــــة	إبراهيـــم بن يحيـــى	٩٨	٤٥٠
غمســـــــي	علـــي بن حسيـــــن	٥٢	١٥٠
السبيـــــــخ	عبدالمحســـــن بن عيســـى	٢٦	١٢٠
الحوطـــــــة	محمد بن علي العبـــــاد	٢١٣	١٠٠٠
العمران الشمالية	عبد المحســــن بن عيســـى	٤٩٥	٢٣٧٠

القريــــة	اسم العمـــــدة	عدد المنازل	عدد السكان
العمران الجنوبية	عبد المحســـن بن حســـن	٩٨	٤٨٠
أبو الحصـــــا	(عمدة العمـــران الشماليـــة)	٥٦	٢٥٠
واســــــط	(عمدة العمـــران الشماليـــة)	١٥	٦٠
العلـــيا	(عمدة العمـــران الشماليـــة)	٣٠	١٢٠
أبـو شـــور	(عمدة العمـــران الشماليـــة)	٤٥	٢٠٠
الرميـــــلة	محمـــد بن علي العبـــاد	١٩٧	١٦٠٠
الشويكيـــة	(عمدة العمـــران الشماليـــة)	١٣	٧٥
أبو العنـــوس	(عمدة العمـــران الشماليـــة)	١٠	٥٠
الصـــويدرة	خليفـــة الصويـــغ	١٠	٤٥
السيــــايرة	خليفـــة الصـــويغ	١٥	٦٠
الصــــالحية	خليفـــة الصــــويغ	٥	٣٠
العراميـــــة	(عمـــدة العمـــران الشماليـــة)	٢٢	١٠٠
الســـديوية	(عمـــدة العمـــران الشماليـــة)	٧	٣٥
الاســــــلة	(عمـــدة العمـــران الشماليـــة)	١٥	٧٠
فريق الرمـــــل	(عمـــدة العمـــران الشماليـــة)	٢٥	١٢٠
بنـــي معـــــن		٢٥٠	١٢٠٠
كلابيـــة النهـــود	خالد عبدالله الدويـــــرج	٢٣٤	١٠٠٠
كلابيـــة المقـــدام	ثنيان الثوينـــــي	٩٣	٥٠٠٠
الحليلـــــة	علـــي الخمـــــس	٣٢٧	١٥٠٠
البطاليـــــة	حسين بن علي الحــــاجي	٣٩٠	٢١٠٠
الدرسيـــــة	(عمـــدة العمـــران الشماليـــة)	١٥	٤٠
الدويكيـــــة	(عمـــدة العمـــران الشماليـــة)	٢٠	١٠٠
الحـــــرير	(عمـــدة العمـــران الشماليـــة)	١٧	٨٠
بني عـــــواد	(عمـــدة القــــارة)	٥٠	١٦٠

والجشة قرية مسورة ومحصنة وذات شكل خماسي غير منتظم ، تضم حوالي ٤٢٠ منزلاً وحوالي ٢٠٠ر٢ نسمة . وقد ذكر فيلبي أن إرتفاعها يبلغ ٣٧٠ قدماً . ويوجد في أسوارها أربع بوابات ، تقع واحدة على الجانب الشمالي ، وأخرى على الجانب الشرقي ، وتسمى كل منهما بالجهة التي تفتح عليها ، والأخريان تقعان في السور الغربي ، تسمى الشمالية منها بوابة القبلة وتسمى الأخرى البوابة الجنوبية . ولا يوجد مدخل عبر الضلع الجنوبي للسور . وسكانها معظمهم من السنة باستثناء مجموعة صغيرة من الشيعة تقطن في حوالي ٤٠ منزلاً ، جميعهم في الزاوية

الشمالية الغربية من القرية . ويوجد بالقرية خمسة مساجد . أربعة منها هي : الجامع ، الصفافيرة ، وأثنان بناهما ابن داعج وسميا باسمه . وهذه المساجد الأربعة تخص السنة . ويخص المسجد الخامس الشيعة ويسمى مسجد عبدالله العصيب .

يعقد في القرية سوق اسبوعي صغير كل يوم اثنين في ميدان مفتوح يقع تقريبا في وسط القرية ، وليس له أي معالم معمارية خاصة (انظر الرسم) . ويذكر القرويون أنه في الأزمنة الماضية كان السوق أكثر أهمية ، وكان يعقد خارج السور من ناحية الشمال . وتتمثل السلع المعروضة فيه في الوقت الحاضر غالبا من اللحوم والتمور وحطب الوقود . وقد حضرنا سوق الجشة في مناسبتين ، كان فعاليات السوق فيهما عبارة عن : خيمة واحدة (بها توابل وبعض الأدوات المعدنية) ، وخمسة دكاكين دائمة تعرض سلعاً جافة وتبغاً وأقمشة .. ألـخ وستة أكشاك (عماريات) يعرض فيها لحوم ، وأربع أكشاك يعرض فيها بضائع عامة ، وجميع الاكشاك العشر تفرش أرضيتها بالخيش . وموقع السوق ذو شكلٍ مستطيل يمتد محوره من الشرق إلى الغرب ، كان في وسطه حوالي ٢٠ جملاً محملة بحطب الوقود .[١]



رسم بياني لسوق قرية الجشة الذي يعقد يوم الاثنين

(١) كانت رزم من حطب الصحراء ، وبالاضافة إلى ذلك فان الأسر في الاحساء تستخدم نوعين من أخشاب النخيل للوقود تسمى السعف والكرب ويعتمد ذلك على طولهما . فالسعف يقطع في أجزاء تبلغ أطوالها حوالي ٣ أقدام . ولا يزيد طول الكرب عن حوالي قدمين . ومعظم الاحسائيين لا يشترون أخشاب النخيل اذ يحصلون عليها من بساتينهم .

ويقال أن الاستخدام المنزلي المعتاد لأسرة مكونة من خمسة أفراد في قرية الجشة يحتاج إلى ما يتراوح ما بين ٤ إلى ٥ من أحمال تلك الجمال في الشهر . ويبدو أن الماشية لا تباع في هذا السوق .

يوجد في الجشة مدرسة إبتدائية جديدة بنيت في سنة ١٩٤٨م خارج بوابة القبلة مباشرة . تتكون المدرسة من أربعة صفوف دراسية وردهة واسعة تستخدم كغرفة خامسة «للصف الأول الابتدائي» . وكان بالمدرسة في عام ١٩٥١م حوالي ٦٠ تلميذاً في الصف الأول الابتدائي ، وستة تلاميذ في الصف الخامس . واذا استمرت المدرسة في النمو وبالنسبة نفسها فسوف تبني صفوف دراسية أخرى حول فناء المدرسة . وتتكون هيئة التدريس بالاضافة إلى المدير مع أربعة مدرسين يدرس كل واحد منهم صفاً دراسياً . وكان التسجيل في المدرسة كما أعطي لنا من قبل المدير كالتالي :

١٩٤٩	٤٣ تلميذاً
١٩٥٠	٧٥ تلميذاً
١٩٥١	١٢٠ تلميذاً
١٩٥٢	١٥٠ تلميذاً

وتبلغ نسبة غياب الطلاب ، خاصة خلال موسم الحصاد ما بين ٣٠٪ إلى ٥٠٪ . وتتكون الزراعة في الأراضي المحيطة بقرية الجشة في معظمها ، وبشكل مكثف من أشجار النخيل ونبات البرسيم . ومعظم المنطقة المزروعة مقسمة إلى قطع صغير يملكها أفراد من العمال الزراعيين باستثناء بستان كبير يسمى المربع يقع شمال غرب القرية يملكه تاجر من سكان حي النعاثل في مدينة الهفوف . تكون معظم مياه الري من الطوائح[1] من عين الخدود وقناة سليسل وقد ثبت عدم كفايتها مما أدى إلى حفر أربعة آبار أرتوازية في شمال وشمال شرق القرية من أجل الحصول على كميات مياه إضافية . وليـس هناك ينابيع مياه متدفقة في المناطق المجاورة مباشرة لقرية الجشة .

---

(١) مصطلح يطلق على مياه الري التي تأتي من بساتين أخرى تقع أعلى من مستوى مجرى المياه . أنظر الفصل الخاص بري السيح .

يقع مصلى العيد في شمال القرية في مواجهة البوابة الشمالية . ويوجد بالقرية ثلاث مقابر ، أثنتان للسنة تقعان في الجانب الشرقي ، وثالثة للشيعة تقع إلى الغرب .

ويقال أن سكان قرية الجشة ينحدرون من قبيلة بني خالد .[١] وفي الأزمنة القديمة عندما كان طريق العقير مستخدماً كان سكان قرية الجشة يديرون أعمال القوافل العاملة بين الهفوف والخليج العربي ، ولكن هذا لم يعد ممكناً الآن بعد أن هجر العقير كميناء للاحساء ، وبما أن المنطقة حول الجشة ليست حسنة المياه ولا وفيرة الانتاج فان القرية آخذت في الانحطاط فيما يبدو . اذ يغادرها معظم شبابها بحثاً عن وظائف في الهفوف أو في مرافق النفط . وإذا كان الشخص متزوجاً فانه يترك أسرته تقيم في القرية ويقوم بقضاء أجازاته فيها .

تستغل مقالع الصخور الجيرية المستخدمة في البناء في كل المنطقة الواقعة حول الجزء الجنوبي من القرية ، وخاصة في الجهة الجنوبية الشرقية ، رغم أنه ليس هناك أعمال بناء كثيرة في الجشة في الوقت الحاضر . ويبدو أن معظم أحمال الحمير من تلك الصخور تجلب إلى قرية الجفر .

كان عمدة الجشة (أميرها) أثنا زيارة فيلبي هو أحمد الصائل وكان مسنا ومريضا يساعده أبنه ناصر .[٢] ويتولى المنصب في الوقت الحاضر صالح بن أحمد الصائل .★

قريـــة الجفــــــر :

اذا توجه المرء غرب قرية الجشة على طريق العقير - الهفوف فأول قرية يصلها هي قرية الجفر . يعبر الطريق على بعد نصف ميل تقريباً شرق الجفر قناة ري واسعة كانت مستخدمة في الايام القديمة كأول مكان لسقاية القوافل القادمة من ميناء العقير . وقرية الجفر مستوطنة أنشئت على شكل مستطيل تقريباً . وكانت في

---

(١) يضيف لوريمر (١٩٠٨) ص ٦٤٨ ، أنهم من فرع الجبور من بني خالد . ولا نستطيع تأكيد هذا . ووجود الجبور من بني خالد في الاحساء أكده فون أوبنهايم Von Oppehheim (١٩٥٢) ص ٢٠ . وقد ورد في كتاب «تحفة المستفيد» لابن عبدالقادر ص ٤٠ ، «أن من أهلها آل دعيج وآل مسلم ينتمون إلى الجبور المعروفين من بني خالد» . (المترجم) .

(★) كان ذلك في حين اعداد المؤلف للكتاب عام ١٩٥١م . (المترجم) .

(٢) Philby, 1926, V.I., P. 17.

الماضي محاطة بالأسوار تماما ولكن الجزء الشمالي من السور خرب الآن في عدة مواضع وهو مهدم في مواضع قليلة . وهناك مجموعة مبان شيدت حديثاً خارج السور ، شمال القرية . ويوجد في أسوار قرية الجفر ثلاث بوابات تقع إلى الجنوب ، والشرق ، والغرب تحيط بحوالي ٣٨٥ منزلاً . ويبلغ سكان القرية ٢٠٠٠ نسمة تقريباً . ويوجد بالقرية مقبرتان تقعان شمال القرية وغربها .

ومعظم سكان الجفر من السنة ، رغم أن هناك أقلية كبيرة من الشيعة . وتبلغ نسبة السنة حوالي ٧٠٪ أو ٧٥٪ ونسبة الشيعة ٢٥٪ أو ٣٠٪ . ويسكن الشيعة في الجانبين الشمالي والغربي من القرية .

تقع المدرسة الابتدائية داخل أسوار القرية في الحي الجنوبي الغربي ويجري حالياً صيانة شاملة لها وبناء ملاحق للمدرسة التي بنيت سنة ١٩٥١ . وتضم المدرسة حوالي تسعين تلميذاً . ومديرها الحالي هو الاستاذ عبدالله المبارك من أسرة آل مبارك في الصالحية ، ويسكن في حي الرفعة بالهفوف وقد عهد إليه بادارة المدرسة منذ شهر سبتمبر ١٩٥١ . وقد ذكر أنه خلال السنة الدراسية ١٩٥٠ - ١٩٥١ سجل بالمدرسة حوالي ٢٥ طالباً فقط . ولهذا عقد اجتماعات مع الآباء من أجل حثهم وأثارة اهتمام أكبر فيهم من أجل الحاق أولادهم بالمدرسة وقد أعطت الاجتماعات نتيجة مثمرة .

يقع أكبر فراغ داخل أسوار قرية الجفر أمام مبنى المدرسة يستخدم لاحتفالات العيد ، ولم يقم في الجفر احتفالات كبيرة منذ عدة سنين .

يقام سوق قرية الجفر الاسبوعي كل أثنين (سوق الاثنين) . ويقع السوق على أرض مستوية خارج الاسوار بين البوابة الغربية والزاوية الشمالية الغربية . ويعد سوق الجفر أكبر من سوق الجشة لكنه أصغر بكثير من السوق الاسبوعي الذي يعقد في قرية القارة . ومعظم الأشخاص الذين يقومون بعرض سلعهم من الفلاحين القاطنين في القرى المجاورة . وهناك فرص لانتقاء السلع رغمقلتها إلا أنها متنوعة . على أية حال ، فان من الواضح أن أهمية هذا السوق قد تلاشت لبعض الوقت . ومن

المعالم المميزة لسوق الجفر المجموعة الطويلة للأكشاك الصغيرة المستطيلة المبنية جدرانها من الحجر الجيري والمسقوف بجذوع النخيل . ومن بين هذه الأكشاك «والعماريات» ، عدد منها استخدم في الماضي من قبل التجار لعرض سلعهم ، إلا أنها هجرت الآن لتستخدم أما كمرابط لحمير الأشخاص الذين يتوافدون على السوق أو أنها لا تستخدم على الاطلاق . ان هجر استخدام طريق العقير التجاري ، كطريق رئيسي وزيادة رسوم الخدمة ربما كانت من الأسباب التي جعلت الأسواق المركزية في الهفوف والمبرز أكثر سهولة في الوصول إليها بالنسبة للفلاحين مما أدت بدورها إلى تدهور سوق الجفر .

وتقع معظم بساتين الجفر إلى الغرب والشمال الغربي للقرية ، وتسقى من قناة السليسل ونبع الخدود . وكل هذه المياه من مياه الطوائح إذ لا يوجد في منطقة الجفر ينابيع متدفقة . وتوجد بساتين قليلة تسقى بالماء الحر[١] من نبع برابر . ومعظم الانتاج الزراعي الرئيسي لهذه المزارع من التمور والبرسيم وإن كان يوجد بعض حقول الأرز والخضروات التي تزرع كمحاصيل ثانوية .

يوجد في قرية الجفر بستانان كبيران جداً في حجمهما هما : عمارة الحسين والذي يتبع أملاك الدولة ، وبستان المرضية الذي كان فيما مضى من أملاك الدولة العثمانية ثم أصبح من أملاك الدولة الحالية . وقد دمجت في بستان المرضية الآن عدة قطع زراعية كانت تعد فيما مضى من بساتين قرية الفضول ، ولذا فقد يشار أحيانا إلى هذا البستان كأحد البساتين الواقعة في منطقة قرية الفضول . وتنتشر بساتين أصغر منها ضمن منطقة قرية الجفر تخص أملاك الدولة ويشار إليها مجتمعة باسم أراضي الحكومة وتدار من قبل إدارة المالية في الهفوف ممثلة لوزارة المالية ، وتعد تلك الادارة مسؤولة عن إدارة أملاك الدولة في الاحساء .

كان عمدة الجفر السابق هو خالد بن عبدالله العيسى الذي توفي سنة ١٩٥١ ، وقد خلفه عبدالرحمن بن عبدالله العيسى .

يطلق على قرية الجفر أحيانا اسم باب الجفر في الكتابات القديمة ، وكانت مقراً

(١) اصطلاح يطلق على الماء الذي يتدفق رأساً من النبع إلى البستان . انظر الفصل الخاص بري السيح .

إدارياً يسمى ناحية Nahiye خلال الحكم العثماني والتي كانت ضمن أعمالها إدارة الدائرة السنية وهي الأراضي السلطانية والتي أصبحت الان ملكاً للحكومة السعودية . وكانت الحامية العسكرية العثمانية في الجفر تتكون من كتيبة مكونة من ٥٠ فارساً وعشرة من الضبطية الراجلة .(١) وقد أمر ولي العهد الأمير سعود ، ملك المملكة العربية السعودية (الآن) ببناء إدارة للشرطة في الجفر ، وسوف تزود هذه الدائرة باتصال تليفوني مباشر مع الهفوف .(٢)

الطـــــرف* :

تقع قرية الطرف على بعد حوالي كيلو متر جنوب قرية الجفر ، وعلى بعد حوالي ١/٢ ٢ كم جنوب غرب قرية الجشة . ورغم امكانية الوصول إلى قرية الطرف مباشرة من قرية الجشة بعبور الرمال والحافة المحيطة بنطاق زراعة النخيل في الجنوب الغربي ، إلا أن الطريق الأكثر راحة والمناسب لعبور السيارات يمتد من الجفر عبر مساحة نخيل ضيقة ومنطقة سبخة واسعة تقع قرية الطرف إلى جنوبها . ويمتد ذراع ضيق طويل من المنطقة الزراعية الرئيسية الممتدة تجاه الشمال والتي تعبر إلى غرب قرية الطرف مستمرة في اتجاه الجنوب في اتجاه جبل الأربع .

وقرية الطرف محاطة بالبساتين من جهة الغرب وبسبخة مستوية السطح في الشمال وبكثبان رملية في الجنوب والشرق . وتقع مباشرة إلى الجنوب الشرقي من القرية منطقة كانت في القديم مضارب للبدو حيث يمكن نصب اعداد قليلة من الخيام خلال فصل الصيف ، يوجد بها ثلاثة أو أربعة أكواخ دائمة ومسكونة .

والطرف قرية مسورة ذات شكل مستطيل يمتد محورها الرئيسي من الشمال إلى الجنوب . وحالة السور الحالية سيئة للغاية اذ تنقصه الصيانة والترميم ، ولا يوجد سور على الاطلاق في الزاوية الشمالية الشرقية للقرية . ويوجد بسور القرية

---

(١) Lorimer, 1908, P. 647.

(٢) أعلنت التنظيمات الادارية للمنطقة الشرقية في الظهران في ٨ فبراير ١٩٥٣م .

(*) لعلها سميت الطرف لوقوعها على طرف واحة الاحساء من الناحية الجنوبية . وكان صاحب النفوذ فيها آل حبيل المنحدرون من عقيل بن عامر . (المترجم) .

أربع بوابات تواجه الجهات الأربع تسمح بالوصول إلى داخل القرية ، أما الآن ، ونتيجة لخراب السور ، فانه يمكن دخول القرية من أي منطقة . وقد اختفت البوابة الجنوبية .

تعد الطرف أكبر قرى الاحساء اذ تضم تقريباً ٦٤٠ منزلاً ويسكنها حوالي ٣ر٧٠٠ نسمة . وتكون غالبية السكان من السنة مع أقلية قد تبلغ حوالي ١٢٪ من الشيعة يسكنون على طول الحافة الشمالية للقرية ، رغم أن ليس هناك فصل واضح في السكن كما هو حاصل في قريتي الجفر والجشة . وتقع كل من مقبرتي السنة والشيعة في شمال القرية .

يوجد في الطرف خمسة مساجد واحد منها للشيعة ، بالاضافة لمصلى العيد الواقع في زاوية السبخة شمال القرية ، مزود بمنبر للخطيب . وأسماء مساجد السنة هي المسجد الجامع ومسجد الرطان ومسجد الباحسن ومسجد السهلاوي .

تقع المدرسة الابتدائية في الزاوية الشمالية الشرقية للقرية . وقد بلغ عدد الملتحقين بها في السنة الدراسية ١٩٥١ - ١٩٥٢م حوالي ١٢٠ تلميذاً . ويقع ميدان الاحتفالات في وسط القرية تقريباً وهو مزود بمصاطب للجلوس على طول جدران المنازل المحيطة به . لا يعقد بقرية الطرف سوق اسبوعي حيث أن قرية الجفر قريبة ويمكن الوصول إليها مشياً على الأقدام ، لكن هناك دكاكين دائمة تقع في غرب مبنى المدرسة .

رغم أن المحاصيل الرئيسية كما هو معتاد في الاحساء هي التمور والبرسيم ، إلا أن قرية الطرف تتميز إلى جانب ذلك بوجود عدد كبير من بساتين الخضروات التي تنتج الخضر لسد حاجات الاستهلاك المحلي . وبالنسبة لاحتياجات الري لبساتين قرية الطرف فانها تمتعت بميزة أفضل مما هو متاح لقريتي الجشة والجفر ، اذ تأتيها مياه الري مباشرة من عين برابر عبر مسقى رئيسي .[1] ولذا فان مياهها من النوع

---

(١) يطلق مسمى المسقى في الاحساء على قناة الري التي تنقل المياه من النبع مباشرة إلى البستان . انظر الفصل الخاص بري السيح .

المسمى بالماء الحر ، وتتميز تلك المياه بغزارتها مما يجعل سكان الطرف فخورين جداً بهذا التميز . رغم خراب سور القرية فان أحوال سكان القرية ومنازلها تعطي إنطباعاً بأنها أفضل من جيرانها في الشمال . اذ تتكون عديد من منازلها من طابقين ، وقليل منها به غرفة على سطح الطابق الثاني .

ويتمتع امام المسجد الجامع إبراهيم الشعيبي باحترام كبير في كل الجزء الجنوب الشرقي من الواحة الشرقية ، وكثيراً ما يستدعى لاجراء عقود الزواج في القرى المجاورة .

وعلى بعد ستة كيلو مترات جنوب وغربي قرية الطرف ، وفيما لا يزيد عن كيلو متر شمال جبل الأربع تقع مستوطنة صغيرة تعرف باسم الدليقية أو عين الدليقية أو قصر الدليقية . وهي على غرار المقر الصيفي المنتشر في بساتين الواحة . إلا أنها مزودة بسور دفاعي مبني جيداً ومزود بأبراج مراقبة ، وربما كان وجود تلك التحصينات بسبب إنعزال الموقع عن المنطقة الزراعية الرئيسية . يوجد في الدليقية بئران أرتوازيان صغيران . وتقتصر الزراعة في الدليقية على النخيل والبرسيم . وكانت الدليقية من أملاك السلطان العثماني ثم منحت للأمير عبدالله بن جلوي من قبل الملك عبدالعزيز بعد استرداده للاحساء ، وتخص الآن ابن أمير الاحساء عبدالعزيز بن سعود بن جلوي ، والذي أجريت بناء على طلبة بعض الدراسات من أجل تحويلها إلى مزرعة حديثة . وقد ذكر لوريمر وجود عشرة مساكن للبدو المستوطنين داخل الدليقية .[١]

الســـــاباط :

الساباط قرية صغيرة تدخل ضمن الفئة الرابعة في تصنيفنا . وهي تتألف من عدد كبير من العشش باستثناء مساحات قليلة مخصصة لأغراض البناء قرب البوابة الجنوبية ، أما الجزء المتبقي من السور فانه يتكون من الجدران الخلفية لمنازل السكان .

---

(١) لوريمر (١٩٠٨) ص ٦٤٦ ، وأيضا بركهارت (١٩٠٦ صورة رقم ٣٤) الذي من المؤكد أنه مر قريبا من الدليقية في طريقه إلى جبل الأربع ، إلا أنه لم يشر إلى البستان .

تقع قرية الساباط على بعد كيلو متر شمال قرية الجفر ، ويمكن الوصول إليها بالسيارة خلال معظم أيام السنة . والقرية شيدت على شكل مستطيل تقريباً يمتد محوره من الشمال إلى الجنوب . وللقرية بوابتان ، تقع كل واحدة منهما عند نهاية المستطيل ، والبوابة الجنوبية خربة الآن ، وتمكّن البوابة الشمالية من تسهيل الوصول إلى البساتين .

تضم القرية حوالي ١١٠ من المساكن وتقطنها حوالي ٥٠٠ نسمة جميعهم من الشيعة . يوجد بها مسجد وحسينية ومقبرة تقع في الجهة الشمالية الغربية من القرية .

يزرع الأرز بقاع تقع في الجهة الغربية . وكان الأرز يزرع بشكل كثيف في أرض مجاورة للقرية من جهة الشرق ، وقد هجرت الآن ، إلا أن هناك علامات للزراعة القديمة لا تزال واضحة .

لا يوجد في الساباط ينابيع مياه متدفقة ، وتزودها بالمياه قناة السليسل وعين الخدود . وجميع هذه المياه هي من مياه الطوائح .

وليس للقرية عمدة مستقل ، فعمدتها أحمد بن عبدالعزيز هو نائب عمدة الجفر . يعتقد بأن السكان الحاليين هم عموماً من أحفاد مجموعة شيعية كانت تقطن في الجفر ، ولكنها دخلت في خلاف إجتماعي مع الأغلبية السنية ، نزحت على أثره كمجموعة وأنشات قرية الساباط .

المركـــــــز* :

تقع قرية المركز على بعد أربع كيلو مترات شمال الجهة الشرقية لقرية الجفر ، ويمكن الوصول إليها بصورة عادية بالسيارة من الجفر . ولكن من الناحية

(★) يقال أنها أحدى محلات قرية الكتيب التي درست . وأن تسميتها بالمركز جاء من اتخاذها مركز للجند . وقد عد ابن الفقيه الهمذاني قرى الرملة والرميلة والكتيب من قرى بني محارب من بني عبدالقيس . ويذكر الشيخ حمد الجاسر أنه مر بالقرية في شهر جمادى سنة ١٣٩٨هـ فحدثه عمدة القرية الذي ينتسب إلى قبيلة بني علي من حرب ان جده انتقل إلى العراق ثم إلى الاحساء . وأن القرية احدى محلات قرية الكتيب وكانت مقر خفراء تلك الناحية . (المترجم) .

العملية ، لا يتسع الطريق إلا بصعوبة لسيارة صغيرة . وكان يعبر فوق عدة قنوات ري مسقوفة بجسور خشبية ضيقة مصنوعة من جذوع النخيل ، وتحتاج في عدة مواضع لحاجة ماسة للاصلاح والترميم ، ولذا فان حالة الطريق غالباً ما تجعل من غير الممكن مرور السيارات .

يسكن القرية حوالي ٩٥٠ نسمة يسكنون في حوالي ١٩٨ منزلاً وجميعهم من الشيعة . ويوجد في القرية مسجدان وحسينية ، وكذلك مقبرة تقع شمالي شرقي القرية .

والقرية مسورة ، والأسوار في الجنوب والشرق والغرب مبنية في معظمها خصيصاً لهذا الغرض . وللقرية بوابتان تقعان في الجانب الغربي ، تسميان البوابة الجنوبية والشمالية . ولا تزال كلاهما في حالة جيدة خاصة البوابة الجنوبية والتي تعد من الناحية المعمارية واحدة من أكثر البوابات الباقية في قرى الاحساء جمالاً . ومثل كل القرى الزراعية المسورة في الاحساء ، يوجد في سور قرية المركز ثلمات وخاصة في ضلعه الشرقي .

تعتبر التمور المحصول الرئيسي لهذه القرية . وتستخدم للري مياه قناة سليسل ومياه نبع الخدود . وتقع على طول الجزء الشمالي من الحافة الغربية لقرية المركز بعض البساتين المملوكة للحكومة .

تقع إلى الجنوب والشرق من قرية المركز أرض واسعة إلى حد ما ، كانت تستغل في الماضي اذ كانت تزرع قمحاً لكنها الآن بغير زراعة . كانت تسقى هذه الأرض من قناة رئيسية تأتي من جهة الحافة الشمالية للقرية ، وكانت تحمل المياه على طول السور الشرقي ، واستخدمت القناة كخندق لأغراض الدفاع عن القرية ، وعندما هجرت الارض قطعت هذه القناة عند نهايته الشمالية ، لكنها لم تطمر فأصبحت مجمعاً مستمراً للمياه الراكدة غير الصحية .

يذكر سكان قرية المركز أن حقل القمح هذا كان يزرع إلى ما قبل عشر

سنوات ، ولكن منذ أن أصبح جلب القمح إلى أسواق الجفر والهفوف من الخارج أرخص كلفة في الوقت الحاضر فان عملية زراعته محلياً لم تعد مجدية اقتصادياً . بالاضافة إلى وجود عوامل أخرى منها الجفاف التدريجي للأرض وزيادة ملوحتها مما جعل تلك الأرض غير منتجة كما كان في الماضي ، يضاف إلى ذلك كون المياه ليست قريبة من سطح الارض بدرجة كافية ولا هي مناسبة لزراعة القمح . كل هذه الاسباب لعبت دورها في ترك زراعة تلك الأرض ، لكن السكان لا يقرون بذلك .

يوجد بقرية المركز بيوت قليلة ذات طابقين ، ولكنها تتميز بكثرة عدد العشش بها والتي تتركز بشكل رئيسي في الجزء الشمالي من القرية حيث تنتشر خلف سور القرية وتحتل كامل المساحة بين السور وحدود البساتين .

ويذكر لوريمر أنه خلال فترة الحكم العثماني كان بقرية المركز حامية عسكرية تضم ٢٥ من الفرسان وعشرة من الضبطية كانوا مسؤولين عن الأمن الداخلي في تلكل الناحية .[١]

المنيزلـــــة* :

يبلغ عدد منازل قرية المنيزلة حوالي ٢٥٧ منزلاً ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٢٠٠ نسمة . تقع قرية المنيزلة على بعد كيلو متر شمال الجزء الغربي لقرية الفضول ، عند رأس كبير كونته الصحراء داخل نطاق زراعة النخيل . ويسكنها أغلبية من الشيعة وأقلية من السنة تتراوح نسبتها ما بين ١٥٪ إلى ٢٠٪ من مجموع سكانها .

ومحيط قرية المنيزلة غير منتظم ، فالضلع الغربي من السور ينحرف إلى الداخل ، ويتبع الضلع الشرقي محيط نطاق النخيل . ولقرية المنيزلة سور لكنه لم يبن خصيصاً لهذا الغرض . يوجد بالسور أربع بوابات تفتح جميعاً على الجانب

---

(١) Lorimer, 1908, P. 649.

(*) يذكر أنها أطيب نواحي الاحساء هواء وأحسنها موقعاً . وبها آثار قصر يدعى قصر أجود (أنظر صفحة ٢٣٦) ويقال أنها كانت مقر حكومة آل اجود . (المترجم) .

الشرقي من جهة البساتين . وتسمى البوابات من الشمال إلى الجنوب كالتالي : البوابة الشمالية وبوابة حمد وبوابة جهام والبوابة الجنوبية .

وتعد كمية الأرز المزروعة في المنيزلة ضئيلة ، وتتركز معظم زراعته في الضواحي* الشمالية للقرية . وتسقى بساتين المنيزلة من مياه قناة سليسل ، ولا يوجد بها ينابيع مياه باستثناء نبع أبو شافع الواقع جنوب غرب القرية والآخذ في الجفاف حالياً ، ويصل ماؤه القليل المتدفق في قناة ضيقة إلى شمال المنيزلة ، اذ لا يوجد بساتين بين النبع والقرية . ويوجد في المساحة الواسعة الواقعة قرب هذا النبع بقايا زراعة قديمة ، لكنها الآن عبارة عن أرض قاحلة .

معظم القطع الزراعية في قرية المنيزلة صغيرة في حجمها ، والبستان الوحيد الذي يوصف بكبر حجمه يسمى العوينة يملكه أحد تجار مدينة الهفوف .

المـــــزاوي :

تقع قرية المزاوي وسط بساتين النخيل ، على بعد كيلو مترين تقريباً شمال شرق قرية المنيزلة ويصلها الطريق من المنيزلة والذي يمكن أن تسلكه السيارة في معظم أوقات السنة .

تضم القرية في الوقت الحاضر ثلاثة وسبعين مسكناً مأهولاً ، ويسكنها حوالي ٣٠٠ نسمة جميعهم من الشيعة . وحتى نهاية القرن الماضي تقريبا ، كانت هذه القرية متوسطة الحجم مع وجود سور من النمط الموجود في القرى المصنفة ضمن المجموعة الثالثة . وكان لها بوابتان تقعان عند النهايتين الشمالية والجنوبية للقرية . أما اليوم فقرية المزاوي في حالة كبيرة من التدهور والخراب ، فمعظم منازلها السابقة مجرد أكوام من الحجارة والطين ولا يظهر أثر للسور واختفت البوابتان .

وكان في المزاوي فيما مضى ثلاثة مساجد لم يبق منها الآن إلا واحد ، وحتى المسجد المتبقي فهو في حالة خربة أيضاً كما هو حالة الحسينية الوحيدة . ويروي

(★) الضواحي : اصطلاح يطلق على حقول زراعة الارز . (المترجم) .

سكان قرية المزاوي أن النزوح حدث في أوائل هذا القرن وأن معظم السكان القدامى يعيشون الآن في العراق وإيران .

يزرع في القرية كل من التمور والأرز بكميات كبيرة ، وإن كان قلة قليلة من سكانها يملكون مزارع .★ واليوم يعد سكان المزاوي عمالاً زراعين يعملون نظير أجر . ومعظم ملاك البساتين هم من طبقة التجار الوسطى القاطنة في الهفوف وأغلبيتهم يسكنون في حي النعاثل .

لا يوجد بقرية المزاوي ينابيع مياه . ويعتمد في مياه الري على المياه التي تحملها قناة السليسل .

العقـــــار :

تعد قرية العقار نموذجاً لقرى الاحساء الصغيرة ، اذ تضم ٤٣ مسكناً ، ويسكنها حوالي ٢٠٠ نسمة . ويذكر أن سكانها من نسل سكان قرية المزاوي. ويرتبط عمدة العقار الحالي أحمد العباد بعمدة المزاوي .

تتكون القرية من مجموعة واسعة متناثرة من أكواخ الفلاحين المبنية جميعها بسعف النخيل ، ما عدا مجمع سكني واحد فقط هو بيت العمدة الذي استخدم في بنائه الطين والجص . ومجلس العمدة الذي يعبر إليه بواسطة ممر زراعي من منزله فهو الآخر مبني من جذوع النخيل وجريده وإن كان في طرازه المعماري يقلد المباني الحجرية في القرى الكبرى . اذ يحل سعف النخيل مكان كسارة الحجر في السقف والجدران ، وهناك جذعا نخل كبيران يماثلان الأعمدة المعتادة على الجانب المفتوح .

ويمكن الوصول إلى قرية العقار بواسطة الحمير أو مشياً على الأقدام من قرية المزاوي فقط . ولكون القرية تقع داخل البساتين فان منازلها تمتزج بشكل مثالي مع

(★) كان بها زمن العثمانيين حقول أرز تابع للدائرة السنية . ويروي مقبل الذكير أن عدد سكانها يقدر بين ٢٠٠ و ١٥٠ نسمة وحاصلاتها من التمور ٢٥٠٠ من ومن الأرز ١٨٠ موسمية ومن الحنطة ٢٣٠ قياسة وفيها بيت مال ضمانه ٢٣ منا ومن الأرز ٥٤ موسمية .ولمعرفة الأوزان وما يقابلها انظر صفحة ٢٠٨ وما بعدها (المترجم) .

الحياة النباتية المحيطة بها مما يجعلها لا ترى بشكل معتاد من الجو . ويقطن قرية العقار الشيعة الذين يعملون كعمال زراعين نظير أجر في البساتين المحيطة . وتقع القرية على مسافة خمسة عشر دقيقة مشياً على الاقدام من جنوب قرية المزاوي .

يوجد بقرية العقار مسجد واحد وليس بها حسينية . ويدفن الموتى في مقبرة قرية المزاوي . والانتاج الزراعي بها مماثل لما هو موجود بقرية المزاوي وكذلك ملاك البساتين ، ومصادر مياه الري .

الفضـــــــول :

يستمر الفرع الجنوبي من طريق السلطـان غرباً من عند قرية الجفر ، ويدخل منطقة البساتين ، ويتعرج بين مجموعة من بساتين النخيل وحقول الأرز ، عابراً فوق عدة جسور ضيقة من جذوع النخيل المقامة فوق قنوات قليلة من القناة الرئيسية المتدفقة من عين برابر . ويطلق على المنطقة التي تنتشر فيها تلك الجسور اسم «جسر برابر» . وتوجد إلى جنوب شرق الجسور أرض سبخة واسعة مغطاة بالقصب تسمى اللويفية . ومن هذه النقطة يحاذي الطريق احدى قنوات عين برابر الرئيسية ، ثم ينتهي إلى أرض قاحلة مرتفعة على بعد حوالي أربعة كيلو مترات غربي قرية الجفر .

تقع قرية الفضول على الحافة الشرقية لهذه الأرض مباشرة وإلى الغرب من المنطقة المزروعة وإلى الجنوب من الطريق ، وتحيط بالقرية أسوار بنيت معظم أجزائها خصيصاً بهذا الغرض ، إلا أنها الآن تعد خربة ، وبإستثناء الأجزاء الجنوبية المتهدمة فان بقية الأسوار لا زالت قائمة . وتضم القرية حوالي ٣٧٥ منزلاً يسكنها ٢١٠٠ نسمة تقريباً . وللقرية أربع بوابات هي : البوابة الشرقية وتسمى القرارش (نسبة لحي القرارش الذي يقع في أقصى الطرف الشرقي للقرية . والبوابة الغربية وتسمى البدء ، والبوابتان المواجهتان لجهة الجنوب ، تسمى البوابة الشرقية منها باسم البضحاح والبوابة الأخرى تسمى البوحريف ، وقرية الفضول واحدة من القرى القليلة في الاحساء التي تضم عدداً كبيراً من السنة والشيعة . والنسبة التخمينية هي ٦٠٪ من السنة و ٤٠٪ من الشيعة .

لا يوجد في الفضول سوق معتاد ، لكن قلة من التجار الصغار يتوقفون في هذه القرية ، وهم في طريق ذهابهم إلى سوق الأثنين في الجفر ، لعدة ساعات في الصباح المبكر ويقومون بنصب أكشاكهم في ميدان صغير مفتوح داخل القرية بقرب البوابة الشرقية . ويتاجرون في مواد أغلبها حطب الوقود والتوابل وسلع تباع بالبارِدة كالاقمشة ، وأمثالها من السلع الرخيصة .

وإنتاج قرية الفضول من الارز والخضروات ضئيل . وتسقى بساتينها من مياه تأتيها مباشرة من عين غصيبة ، وهي من الماء الحر . وهناك مساحة صغيرة في الجزء الشمالي تسقى بماء الوجاج والسليسل ، وقد أشار إليهما فيلبي خطأ كمصدر رئيسي لتزويد قرية الفضول بالمياه .[1]

وتظهر في أراضي قرية الفضول ميزة خاصة تتعلق بملكية الأرض في جميع أنحاء الاحساء ، وهي قاعدة عامة ، كلما أقترب المرء من الهفوف كلما كبر حجم البساتين ، وغالباً ما يجد المرء أفراداً من الطبقة الغنية العليا في الهفوف هم ملاك البساتين . ففي قرية الفضول عدد من البساتين الكبيرة والمعتنى بها عناية جيدة ، ويتميز بعضها باحاطته بأسوار مبينة بناءاً جميلاً ذات بوابات خشبية جميلة وقضبان حديدية . ومع أن سكان القرية يملكون بساتين متوسطة الحجم . إلا أن أغلب البساتين يملكها تجار أغنياء من الهفوف . ويقع «بستان أبو ليلة» المشهور ، مباشرة إلى شرق الفضول بين حافة بساتين النخيل وموقع محلي يسمى اللويفية . ويقع عبر الطريق في مواجهته «بستان الحمدانية» ، وهو بستان كبير جداً ومعروف جيداً . ★

ويبدو أن قرية الفضول لم تكن في الماضي مزدهرة فحسب بل كانت أيضا ذات أهمية سياسية أكثر مما هي عليه في الوقت الحاضر . فقد أشير إليها في كتب التاريخ كموقع معركة ، وأن سكانها كما يذكره بعض الأشخاص ينحدرون من قبيلة بدوية قديمة تحمل الاسم نفسه .[2] ويذكر سكان الفضول أنفسهم أنهم فخذ من بني خالد .

---

(١) Philby, 1923, Vol. I, PP. 21-22.

(٢) Rentz, 1947, PP 275-276.

(★) لعل الاسم تحريف لبستان النخيل المعروف باسم «مرضيـــة» الذي وهبه الملك عبدالعزيز لوزير المالية الاسبق عبدالله السليمان . (المترجم) .

ويقع على بعد كيلو متر غرب قرية الفضول مكان لبقعة زراعية هجرت منذ أربع سنوات . ويحاول المزارعون زراعة البرسيم خلال فصل الشتاء فقط على جزء من الأرض ، لكن البقية يترك بوراً ، ويحتمل أن تتوقف قريباً زراعة البراسيم فيها .

يقع في مواجهة النهاية الجنوبية الغربية للقرية ، وهى الآن في حالة خربة ، آثار باقية مرئية لبعض منازل كبيرة وبقايا لقنوات ري قديمة ومزارع . ويوجد على بعد أميال قلائل خلف هذا الموقع وفي الاتجاه نفسه موقع يسمى محلياً بو حريف ، الذي يعد واحداً من المواقع الآثارية في الاحساء . ويجاوره من الشرق موقع خرب يسمى المخوّلية Al-Mukhawwaliyyah .[١]

وفيما يلي قائمة بالبساتين الكبيرة الواقعة في قرية الفضول مع أسماء ملاكها :[٢]

أم فراج	:	يملكه محمد المنصور (موظف حكومي) .
السباخ	:	يخص الدولة ويديره عبدالله العامر (تاجر يسكن حي الصالحية) .
الخداشية	:	يملكه عبدالعزيز الجعفري (تاجر) .
الخيس	:	يملكه عبدالعزيز بن عبدالله (تاجر) .
الحمدانية	:	يملكه الأمير سعود بن جلوي ، (كانت فيما مضى ملكاً للشيخ عبدالله السليمان) يديره حمد وعبدالعزيز بن سالم . وقد اشتراه هذان الأخوان حديثاً كما يروي بعض الاشخاص .
أبو ليلة	:	يملكه أحمد الجغيمان (تاجر) .
الطفوف	:	يملكه عبدالله السالم (تاجر) .
المرّ	:	يملكه عبدالله الماجد (موظف حكومي) .
أم الحساس	:	يملكه أحمد وعبدالعزيز العرفج (تجار) .

(١) هذه المعلومة عن اسم ذلك الموقع اضافة وردت في رسالة الدكتوراه (المترجم) .

(٢) هذه القائمة ربما لا تكون شاملة ، لكنها تتضمن كل البساتين الكبيرة المملوكة من قبل أفراد «أخوين في حالة بستان أم الحساس» وبساتين أخرى في المنطقة تملك من قبل مجموعة أكبر من الناس ، كل شخص له حصة صغيرة .

الوصيلـــــة : يملكه اسماعيل بن حمد (مزارع وتاجـــر) .
العقيبـــــي : يملكه عبدالعزيز العرفج (تاجـــر) .

الشهاريـــن* :

يوجد سهل قاحل معتدل التموج يعلو قليلاً على مستوى أراضي النخيل المحيطة به يقع هذا السهل إلى الشمال والغرب والجنوب من قرية الفضول . يأخذ شكل شبه دائرة غير اعتيادية منحنية إلى الشمال تشبه لساناً من الصحراء في داخل المساحة المزروعة ، وبما أن الحافة الشمالية لهذا السهل لا ترى من قرية الفضول فانها لا تعطي المسافر القادم من قرية الجفر انطباعاً بأنه قد غادر لتوه منطقة الواحة ، وبعد عبور هذا السهل يكون قد دخل منطقة مزروعة منفصلة تماماً . وتقع على طول محيط هذا المدخل قرية الفضول والشهارين والمنيزلة (أنظر شكل رقم ٩) .

وتأخذ قرية الشهـــارين شكل مستطيـل تقريباً ، يمتد محوره الطـــويل من الشرق إلى الغرب . وكانت القرية مسورة على نمط قرى المجموعة الثالثة ، وكان يوجد بها بوابتان كل منها عند نهاية المحور الطويل . وقد سدت البوابة الغربية في الوقت الحاضر واختفت البوابة الشرقية . هذا ويوجد عدة فتحات في سور القرية تجعل دخول القرية ممكناً من أي إتجاه . يسكن القرية ٤٥٠ نسمة يعيشون في حوالي ٨٢ مسكناً ، وجميع السكان من الشيعة . ويوجد بالقرية مسجداً وحسينية . وتنتج بساتين القرية نسبة يعتد بها من جميع المحاصيل التي تنمو في واحة الاحساء وتسقى بساتينها سقاية جيدة بمياه تصلها مباشرة من عين برابر .

ويبدو أن قرية الشهارين ليست قديمة ، فقد أشار إليها لوريمر بأنها مجرد قرية صغيرة تتكون من عشرين مسكناً ، يقطنها أناس يحتمل أنهم نزحوا إليها قبل وقت قصير ، حسبما يتضح من بقاء أراضيهم الجنوبية غير مستغلة .[١] ولعل الشهارين

(★) يذكر حمد الجاسر في «المعجم الجغرافي ، المنطقة الشرقية» الجزء الثاني ، ص ٩٣٤ ، أن القرية أوشكت على الخراب ، فأحياها رجلان من أثرياء أهل الاحساء هما محمد بن عبدالعزيز العجاجي وابن طوق في عشر الخمسين من هذا القرن . وكانت مسكونة قبلهما إلا أن أهلها ضعفوا فتملك الرجلان المذكوران نخلاً ، فعمرت القرية ويضيف صاحب تحفة المستفيد أن لمحمد العجاجي فيها بيت جميل . (المترجم) .

(١) Lorimer, 1908, P. 651.

قد وصلت نورة إزدهارها في عشرينيات أو ثلاثينيات القرن العشرين ، أما الآن فأنها في تدهور .

يوجد بستانان كبيران في جنوب غرب القرية ، يسميان بستان «قراره» وبستان «قارة السودة» ، يملكهما التاجر صالح بن محمد السليم . وتوجد بالقرب من الشهارين في الاتجاه الشمالي الشرقي من القرية وقريتي الطريبيل والجبيل المجاورتين بعض بساتين النخيل الكبيرة التي تملكها أسرتا القصيبي والعجاجي . وتملك أسرة العجاجي أيضا بستاناً كبيراً يسمى «الشهارين» يقع ملاصقاً للقرية من جهة الشرق .

تدير أسرة العجاجي بعض البساتين الواقعة بين قريتي الشهارين والجبيل المملوكة للأمير سعود بن جلوي . وبتعداد أملاك أسرة العجاجي ، يذكر أنهم يديرون تسعة أو عشرة بساتين في منطقة الشهارين . وتدير إدارة مالية الاحساء كل من بستان القسيم والقريشي باعتبارهما من أملاك الدولة .

ويوجد جنوب شرق قرية الشهارين موقع آثاري صغير .[1]

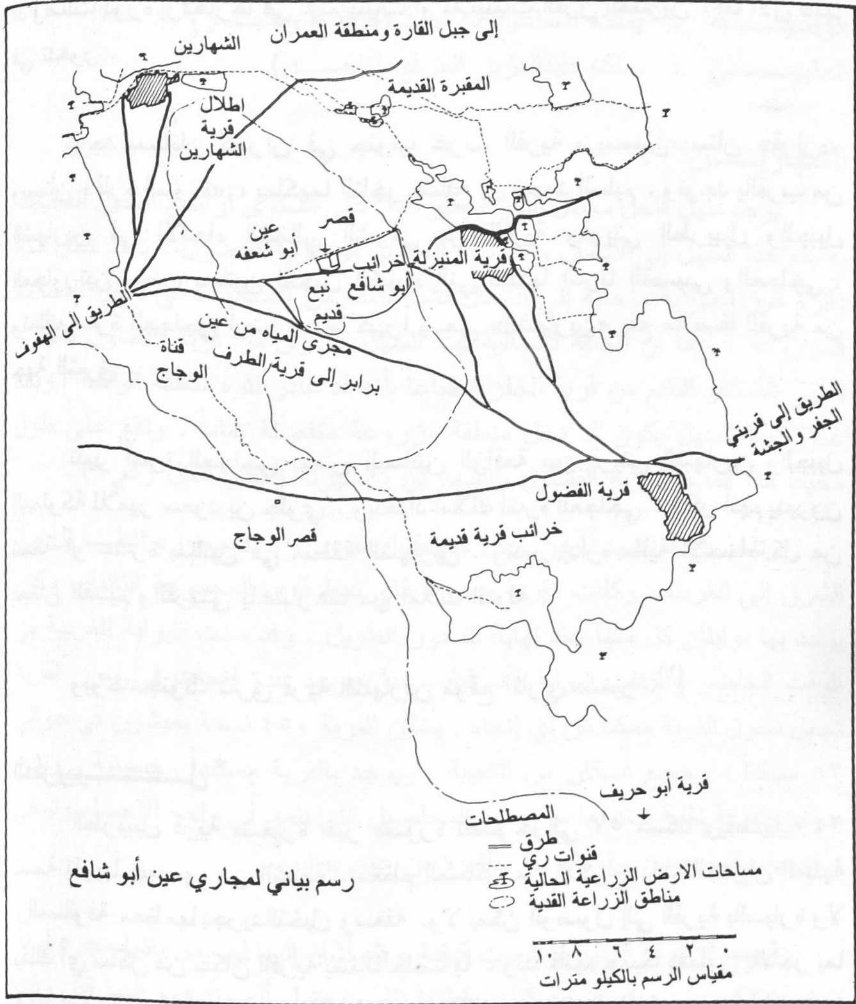
الطريبيـــــــــل* :

الطريبيل قرية صغيرة غير مسورة تضم حوالي ٥٧ مسكناً ويقطنها ٢٤٠ نسمة تقريباً جميعهم من الشيعة . معظم المساكن من الأكواخ ذات الجدران المبنية والمسقوفة معظمها بجريدالنخيل وسعفه .ولا يمكن الوصول إلى القرية بالسيارة ولا يملك أي ساكن من سكان القرية بستاناً خاصاً به ، ولذا فأنهم جميعاً يعملون بالأجر بما فيهم عمدة القرية . تسقى هذه القرية من عين الخدود وقناة السليسل . وهي واحدة من القرى التي تمثل بوضوح الحالة الراهنة لفلاحي واحة الاحساء . فبعد انحطاط أسعار التمور التي تدنت في الطريبيل خلال شتاء ١٩٥١ - ١٩٥٢ إلى حد بلغ تسعة أو عشرة ريالات لقلة الاحساء[2] من تمر الرزير مما جعل سكان القرية يعيشون في حالة

(١) هذه المعلومات اضافة وردت في رسالة الدكتوراه . (المترجم) .

(★) ورد في «معجم البلدان» : الطريبيل - مصغراً : من قرى هجر . (المترجم) .

(٢) انظــر ص ٢٢٢



فقر مدقع .

الجبيـــــــــل :

قرية الجبيل كبيرة إلى حد ما ، وهي مسورة ، تتبع المجموعة الثالثة من تصنيفنا. يسكنها حوالي ١٢٠٠ نسمة يعيشون في ٢٣٧ مسكناً . تقع الجبيل على بعد حوالي ثلاثة كيلو مترات شمال شرقي قرية الشهارين ، وتقع القرية بأكملها داخل المساحة

المزروعة ، ولا يمكن الوصول إليها بالسيارة . وجميع سكان قرية الجبيل من الشيعة .

يملك سكانها جزء من بساتينها التي تسقى بمياه الطوائح من عين الخدود وقناة السليسل . وتملك الحكومة بها بساتين قليلة .★ وتتميز قرية الجبيل بوفرة مياهها وتبدو أكثر إزدهاراً من جاراتها . ويروى أنها واحدة من أقدم مستوطنات الشيعة في الاحساء ، وكان لها قوة سياسية في الماضي . يرتبط سكانها بروابط القربى مع سكان القرى المحيطة بهضاب القارة ، وخاصة قرية القارة وايضا مع قرية الحوطة وقرية العمران التي يسكنها جميعاً الشيعة . ومن الملفت للنظر أن دراسة العينة الصغيرة التي جمعت ودرست أوضحت أن الجزء الاكبر من السكان الأطول قامة بقليل من معدل سكان واحة الاحساء والأفتح في لون البشرة والعينين والشعر جاءوا بالضبط من سكان القرى المجاورة . وسكان الجبيل وكذلك سكان القرى المشار إليها أعلاه ، الذين يتم التزاوج فيما بينهم ، يعترفون براوبطهم الوثيقة بشيعة العراق وإيران .

قرى هضبة القـــــارة :

يتكون جبل قارة على شكل اهليلجي واسع يقترب من هيئة المستطيل مع وجود زوايا تامة الاستدارة ،[1] ويمتد محوره الطويل في إتجاه شمال - جنوب . تقع عند زوايا الهضبة الأربع ، أربع قرى هي : الدالوه في الجنوب الغربي ، والقارة في الشمال الغربي ، والتهيمية[2] في الجنوب الشرقي ، والتويثير في الشمال الشرقي . يمكن الوصول إلى تلك القرى بالسيارة باستثناء قرية التويثير .

تشترك هذه القرى في ميزات مشتركة مما مكن من وصفها كمجموعة . فقد بنيت كل القرى الأربع عند قاعدة منحدر الهضبة ، اذ تقع قرية القارة قبالة هضبة كثيرة الصخور والأجراف المنحدرة المنفصلة قليلاً عن الكتلة الرئيسية لجبل القارة ، أما القرى الثلاث الأخرى فقد بنيت عند قاعدة منحدر الكتلة الرئيسية للجبل . وجميع

---

(١) قارة مصطلح يطلق كثيراً في شرق الجزيرة العربية لتمييز الهضبة أو الجبل وفصلها عما يجاوروها .

(★) لعل ذلك امتداد لأملاك «الدائرة السنية» زمن الحكم العثماني للواحة (المترجم) .

(٢) ينطبق هذا الاسم غالبا «التيمية» وكذلك يهجى .

القرى مسورة ، رغم أن أسوارها لم تبن خصيصاً لهذا الغرض ، مما جعلها توصف أحياناً بأنها غير مسورة.[١] وأفضل الأسوار بناء هي المشاهدة في القريتين الشماليتين ، وخاصة في الجوانب المواجهة للصحراء . وبما أن منحدرات الهضبة توفر حماية كافية ، فان الجهات المقابلة للهضبة تركت غير مسورة في أماكن قليلة ، وزودت فقط بأبراج مراقبة دفاعية . تقع قريتا القارة والتويثير عند حافة المنطقة المزروعة ، بينما تقع قريتا الدالوة والتهيمية داخل حدود منطقة زراعة النخيل .

ومن بين القرى الأربع ، تستحق قرية القارة إشارة خاصة أكثر من مرور عابر . فالقارة أكبر هذه القرى وأكثرها إزدهاراً ، رغم ظهور علامات للتدهور الاقتصادي عليها . وتسمى القارة أحياناً في المصادر المكتوبة باسم مركز القارة ، لكن سكان القرية يقولون أن هذه التسمية غير صحيحة . يوجد في قرية القارة ٤٠٧ من المنازل التي يسكنها حوالي ٢٢٠٠ نسمة . وتضم قريتا الدالوة والتويثير حوالي ٢٠٠ مسكن وفيها حوالي ٧٥٠ نسمة . أما قرية التهيمية ففيها أقل من ١٠٠ مسكن ويقطنها أكثر من ٤٥٠ نسمة .

يعقد في قرية القارة سوق أسبوعي كل يوم أحد يسمى سوق الاحد ، الذي يقام في شرق القرية في أرض مستوية واسعة . ولا يعقد أي سوق أسبوعي في القرى الأخرى ، إلا أن تجاراً قلائل يتوقفون في طريق ذهابهم إلى سوق الاحد في قرية الدالوة لمدة ساعة أو أكثر ويعرضون سلعهم . ويعد سوق القارة أكثر الأسواق التي تعقد في قرى الاحساء أهمية . لا تختلف الأنواع المعروضة في السوق عما يعرض في الأسواق الأخرى ، إلا في كثرة الكميات وتنوع السلع . وتعمل سيارات الأجرة بشكل معتاد في يوم السوق بين الهفوف والقارة ، وبينها وبين المبرز والقرى الشرقية .

تقع على بعد نصف ميل إلى الشمال الشرقي من قرية القارة مستوطنة صغيرة تسمى «بني عودة» تضم خمسين كوخاً ولا يزيد سكانها عن ١٥٠ نسمة . بنيت هذه المستوطنة على حافة الرمال ، وكل سكانها عمال زراعيون ، وليس لها عمدة محلي

(١) Cheesman, 1926, PP. 90-91.

اذ تعتمد في أمورها الادارية على عمدة القارة . وسكان بني عودة من الشيعة . وتشتهر هذه المستوطنة خاصة بصناعة السلال من جريد النخيل والتي عادة ما تكون على شكل صحون أو زبادي عميقة مصنوعة من سعف النخيل المجدول . واللون الأساسي هو الأصفر لجريد النخيل المجفف ، ويصنع بعضه بالألوان الحمراء والخضراء . وهذا الانتاج الخاص ببني عودة يتوفر في أماكن عدة حتي في الهفوف حيث يمكن الحصول عليه في سوق يوم الخميس .

تسقى البساتين الواقعة حول جبل القارة بشكل رئيسي من قناة السليسل وجزئياً من عين الخدود . وتحصل البساتين المحيطة بقرية التويثير على مياهها بشكل رئيسي من قناة السليسل وكذلك بساتين قرية القارة . أما قريتا الدالوة والتهيمية فتسقي بساتينها قناة أبو الثيران ، وهي فرع لقناة السليسل .

تتعرض قنوات الري بين قرية القارة وقرية بني عودة في الوقت الحاضر لخطر الانطمار بكثبان الرمال الزاحفة على المنطقة من الشمال ، ونتيجة لهذا فقد غطيت معظم القنوات . وتسمى هذه الأنواع من القنوات المغطاة ثقبة . ويعتقد سكان المنطقة أن هذا الحل أفضل من ترك قنوات الري مكشوفة تطمرها الرمال ، لكنهم يقرون بأن تغطية القنوات ليس حلاً عملياً نهائياً لأن الكثبان مستمرة في زحفها وتتراكم بكميات كثيرة مما يسبب تراكمها فوق الثقبة انهيارها بأكملها . ولا يعرف في الاحساء أسلوب الري بالقناة الأرضية في الوقت الحاضر ، رغم أن هناك دلائل آثارية كثيرة تثبت أنها أستخدمت في الماضي .

يملك السكان المحليون بساتين قليلة حول القارة والدالوة والتويثير ، إلا أن أغلب ملكية الأراضي الزراعية حول منطقة هضبة القارة تعود لملاك يقطنون في الهفوف والمبرز .

يبدو أن ظروف التدهور الاقتصادي قد أثرت على قرية التهيمية بشكل أقوى من القرى الثلاث الاخرى ، فقد أدى النزوح الجماعي للسكان من قرية التهيمية إلى

هجـر عدة منازل فصارت مع مرور الزمن عرضة للخراب التدريجي . وقد أصبح معظم تلك المنازل مجرد أطلال الآن مثلها مثل مسجدين من مساجد القرية الثلاثة .[1] ويحتاج المسجد الثالث والوحيد المستخدم في الوقت الحاضر للترميم اذ احتفظ به السكان بصعوبة رغم حالته الخطرة .

توجد ظاهرتان ذات علاقة بالاساليب الزراعية المستخدمة في منطقة القارة . الأولى وجود عدد من الغراريف التي يديرها رجل واحد ، والثانية استخدام جماجم البقر والابل كحماية سحرية للبساتين والمحاصيل توضع هذه الجماجم اما بتعليقها في نخلة أو تثبيتها على عود ينصب في وسط البستان . لم تر هذه الأساليب مستخدمة في أية أجزاء أخرى من واحة الاحساء . وأحيانا يستخدم الأسلوب نفسه ، ولكن بعظم واحد فقط ، حسبما يروى في المناطق المحيطة بالبصرة وبغداد . وهنا يبدو تساؤل يحتاج إلى اجابة رغم احتمال صحته وهو : هل يمكن أخذ هذا الأسلوب كدليل إضافي على قيام الروابط الحضارية الوثيقة بين شيعة القارة وشيعة العراق .

ويعد جبل القارة نفسه أعلا مرتفع داخل المنطقة الزراعية في الاحساء ، اذ يبلغ إرتفاعه حوالي ٦٨٠ قدماً فوق مستوى البحر. يمكن الوصول إلى قمة الجبل المسطحة بسهولة من نقاط قليلة ويستحيل الوصول إليها من أي مكان آخر . ولكونه يعد موقعاً دفاعياً جيداً يتيح أفضلية دفاعية فقد أختاره الملك **عبدالعزيـــز** موضعاً للمدفعية خلال حربه ضد العجمان ، وقد استخدم في الوقت الحالي من قبل فرق تصوير الخرائط لتحديد نقاط المسح والقياس وتقسيم الخرائط إلى مثلثات .

توجد ظواهر مختلفة على طول حافات جبل القارة سببتها عوامل التعرية ، اذ توجد فتحات وأخاديد عميقة . وقد تركت العوامل هنا وهناك بلورات مستدقة الرؤوس مستقيمة ودقيقة ، كالتي بقيت من معالم السطح في وادي جبال اريزونا ، رغم أنها أقل جمالا وإثارة مما هو موجود في جبل القارة . وقد أدت عوامل التعرية المختلفة في أماكن عدة إلى قطع مغارات طبيعية قليلة مختلفة العمق داخل الطبقة

(١) ذكر لوريمر (١٩٠٨) ص ٦٥١ أن عدد منازل قرية التويثير ٢٢٥ منزلاً .

السفلى لجوانب الجبل . يزداد عمق هذه المغارات أحيانا عندما تسقط كتلة صخرية كبيرة من الطبقة العليا الاقل تآكلا أمام الكهف تاركة مدخلا ضيقاً للعبور فقط ، وأحيانا تسقط عدة صخور أمام كهف من الكهوف . تؤدي وبسبب عمق هذه المغارات ودوران الهواء خلال المغارة إلى جعلها باردة جداً في الصيف . ولهذا السبب ، كانت مغارات جبل القارة من زمن قديم منطقة مفضلة للراحة من قبل سكان الاحساء . ولكون هذه المغارات تعد أيضا واحدة من أكبر المعالم الجغرافية المتميزة في الاحساء ، فقد أصبحت أماكن مفضلة لاطلاع الزوار والسياح عليها . ولبعض هذه المغارات أسماء خاصة بها مثل غار العيد على الجانب الغربي ، وغار النشاشب على الجانب الشرقي ، أو غار المهدي قرب قرية التوثير . وتستخدم ، كقاعدة عامة ، أماكن للنزهة خلال شهور الصيف الحارة وان كانت تستخدم أحيانا كمأوى مؤقت للنوم أيضا .[١] نحت أشخاص وفي حالات قليلة مغارات اصطناعية صغيرة واستخدموها أماكن للراحة . ففي موقع واحد على الاقل – في الجانب الغربي للجبل – سد مدخل أحدى المغارات الصغيرة ببناء حجري مزود بباب وتم تحويلها إلى منزل ، مشابه في مظهره لخرائب «بيوبيلو» الصغيرة في بعض وديان الجنوب الغربي الامريكي . وهذا المنزل ليس مأهولاً حالياً اذ حل به الخراب .

وفي داخل أحد الكهوف الصغيرة الواقعة على الجانب الغربي للجبل وعلى حافة صغيرة خالية ، تقع على بعد حوالي كيلو متر جنوب قرية القارة ، يوجد أكبر معامل الفخار في واحة الاحساء . لا يتوفر طين الفخار محلياً لكنه يجلب إلى هذا الموقع من المبرز لانها المنطقة المحلية الوحيدة التي يمكن الحصول منها على نوعية جيدة من طين الفخار . ولاتقاء خطر الكسر ، فقد عمد الفخارون في قرية القارة على توفير عدد كبير من الحمير لنقل الكتل الكبيرة من آنية المياه . وينقل خام الفخار في كتل لتصنيعها محلياً مما جعل صناعته ذات جدوى اقتصادية كبيرة . وإذا أخذنا في الاعتبار قرب معامل الفخار من سوق قرية القارة الاسبوعي وأهمية ذلك السوق فأن عملية البيع المحلية للاواني الفخارية تعد تجارة رائجة .

---

(١) عندما يحل شهر رمضان في الصيف ، فغالبا ما يقضي أفراد من أسرة آل جلوي وبعض تجار الاحساء البارزين ، الساعات الحارة خلال اليوم في المغارات . وقد صورة هذه المغارات من قبل بركهارت (١٩٠٦) انظر الصورة في ص ٣٣ في كتابه .

أن الطين الفخاري المستخدم من قبل صناع الفخار في القارة ذو لون أصفر برتقالي غامق وهو قاس إلى حد ما في تركيبه . يخلط الطين مع الماء في أحواض كبيرة ضحلة منحوتة داخل الأرض الصخرية للمغارة ، وبعدئذ يخلط مع الرمل لمعالجة درجة الصلابة ، لا ينخل الرمل المستخدم قبل إستعماله . ولذا فان قليلاً من قطع القش وليف خضروات أخرى ، وكذلك بقايا مسحوقة لنفايات آنية قديمة تظل موجودة فيه كعناصر خلط ومعالجة .

تلقى الأواني على عجلة صغيرة مزودة بمحور أفقي منحدر ، توجد عند نهايتها عجلة رأسية أخرى ، تدار مباشرة بقدمي الفخّار دون استخدام مداس ميكانيكي . يوجد في الوقت الحاضر معملان يعملان وكلاهما داخل المغارة يتبعهما فراغ فسيح للتجفيف الأول منهما لتجفيف الأواني في الظل قبل حرقها .

تصنع حاليا في القارة أنواع قليلة من الأواني : منها نوعان من زبديات صغيرة ، ونوع من أكواز الشرب ، ونوعان من جرار المياه الكبيرة ذات أحجام مختلفة مزودة أما بأربعة مقابض أو مقبض واحد ، وجرار ماء كبيرة بدون مقابض . تزيّن كل هذه الانواع أحيانا بتصاميم منقوشة متموجة على محيط الجزء العلوي للاناء ، ولا يوجد تلوين أو تزجيج أو تطعيم للأنواع المنتجة في القارة . وتفخر الأواني على نار هادئة في ثلاثة أفران (تنور) تقع في مقدمة المغارة وتستخدم بالتناوب . ويكون اللون النهائي للأواني الفخارية خليطاً بين الأخضر والرمادي .

وبملاحظة إرتفاع المنحدر المتشكل من تراكم الفلز الصخرية في مقدمة معامل الفخار فوق الصخر الصلد والأعداد الكبيرة من الكسر الفخارية وألوانها وأشكالها التي لم تعد تستخدم ، يمكن القول أن من المؤكد أن هذه الصناعة كانت نشطة في القارة منذ زمن بعيد جداً . وتمر صناعة الفخار في الاحساء الآن بتدهور ، ويحل مكانها أوان معدنية مستوردة . ويمكن الربط بين أعمال الفخار في الاحساء وبين البقايا الاثارية في المناطق المجاورة .(١)

(١) يشير شيزمان (١٩٢٦) ص ٤٩ ، إلى أنه في وقت زيارته أن هذا الفرن كان «قد هجر منذ سنوات» وهذه رواية غريبة ، ففي ضوء ملاحظات شيزمان فان «حملا من الأواني (قد) يترك كما كان عندما انطفأت النار الأخيرة» فالساحة الواقعة في واجهة معمل الفخار تكون موقعاً مفضلاً للعب أطفال القارة ، ولذا لا تبقى الأواني طويلاً تحت هذه الظروف .

يقع بالقرب من الطريق الممتد من القارة إلى الدالوة ، وان كان أقرب إلى الدالوة ، موضع كان في الماضي موقعاً للقرية الصغيرة المسماة أوثيلة وهي مثال لمجموعة أكواخ العمال الزراعين وقد كانت مسكونة أثناء زيارة شيزمان لها ، لكنها الآن مهجورة ومنذ عدة سنوات .

منطقـــة العمـــــران :

بالسفر شرقاً من هضبة القارة وبعد مسافة قليلة من مغادرة قرية التهيمية يدخل المرء منطقة العمران الممتدة على حافة الواحة وبركة الأصفر . والزراعة في هذه المنطقة غير منتظمة ، وكلما تقدم المرء أكثر باتجاه الجزء الشرقي للعمران كلما شاهد ازدياد الزراعة التي تتخللها بقع من المستنقعات والسبخات .

لا يمكن إطلاق إسم قرية من بين المستوطنات العديدة الموجودة في منطقة العمران ، إلا على الحوطة والرميلة والعمران الشمالية فقط .[١] أما بقية المستوطنات فهي عبارة عن مستوطنات صغيرة جداً ، ومن بينها أصغر المستوطنات في واحة الاحساء بأكملها . وقرى الحوطة والرميلة والعمران الشمالية قرى غير مسورة ، وتضم عدداً كبيراً من الأكواخ . وباستثناء هذه القرى فالمواقع الأخرى يشار إليها دائما من قبل السكان المحليين كمجرد أحياء (فرقان جمع فريق) . وإدراكاً لصغر حجمها وصغر أهميتها فأن أي ساكن في أي منها يكتفي عندما يكون خارج منطقة العمران بالاشارة بأنه قادم من العمران ، معتقداً (وهو على صواب) أنه لا أحد ، حتى سكان الهفوف ، وقد سمع باسم قريته . وينعكس هذا الوضع على النظام الاداري في المنطقة اذ يوجد عدد قليل من العمد ، كل واحد له سلطة إدارية على عدة قرى .

لا يوجد في منطقة العمران ينابيع أو آبار ارتوازية ولم تحفر فيها آبار حتى الآن .[٢] ومعظم مياهها تأتيها من قناة السليسل وهي من نوع مياه الطوائح التي تروي عدة بساتين قبل أن تصل إلى العمران . وتعتبر كمية المياه غير كافية فضلاً عن غناها بالأملاح بشكل عام . (أنظر الجدول ٥ ، ٦ ، ٧) . ويدرك السكان قلة

(١) أوضحت أسماء البقية وعدد منازلها وسكانها في الجدول رقم ٦ .
(٢) وصل عمق البئر التي حفرت في السبخة شمال شرقي فريق الرمل في ربيع ١٩٥٣ إلى ٨٠٠ قدم دون نجاح .

مواردهم المائية ورداءة نوعيتها فصار يطلق عليها طوائح الطوائح .

توجد على طول الحدود الشمالية والشرقية لمنطقة العمران كثبان رملية ترتفع عن مستوى أرض البساتين تمثل مشكلة معقدة للصرف في فصل الشتاء . وفي أماكن أخرى تحتفظ السبخات التي تحد المنطقة بالمياه الراكدة نتيجة لسوء التصريف . ربما كانت هذه الظروف مسؤولة جزئياً لما يشاهده المرء على طول حافات منطقة العمران اليوم ، فالبساتين تنحسر تاركة جزءاً من أراضيها للسبخات التي لا تصرف المياه ، أو لزحف الكثبان الرملية . ومن الصعب أن تجد قطعة من الأرض في كامل منطقة العمران لا تتجلى فيها آثار هذا التدهور . ولا تزال مواجهة هذه الأوضاع الصعبة ومكافحتها تعتبر بمثابة معركة خاسرة ضد عوامل الطبيعة والأساليب الزراعية غير الملائمة التي يتبعها الفلاحون . ويبدو أن سكان المنطقة لم يتحركوا بعيداً ، اذ فضلوا التقهقر لمسافة قصيرة داخل البساتين وأنشأوا فريقاً (حياً) آخر ، وبدأوا يقاومون من جديد . فمعظم القرى الصغيرة من غمسي إلى الحدود الشمالية للواحة يبدو أنها مستوطنات حديثة إلى حد ما ، حيث يوجد بالقرى الواقعة على الحدود الشرقية عدة منازل خربة . ومن المستوطنات الصغيرة والتي توفر لدينا عنها بعض معلومات مقارنة قرية السيايرة والتي أشار لوريمر إلى أنها كانت تضم ١٥٠ منزلاً ،[1] ولكنها اليوم لا تضم إلا حوالي ١٥ منزلاً فقط .

جميع سكان قرى العمران من الشيعة . وترتبط سكان قرية الحوطة وبعض سكان قرية الرميلة روابط بسكان قرية القارة . لا يوجد في معظم المستوطنات الصغيرة مساجد ويوجد في قليل منها حسينيات . يمكن الوصول بالسيارة إلى كل قرى منطقة العمران وهي غمسي والسيايرة والحوطة والعمران الجنوبية والشمالية .

بني معـــــن :

تسمى قرية «بني معن» من قبل العديد باسم «بني نعم» أيضا . . وبنيمعن قرية متوسطة الحجم ، تضم حوالي ٢٥٠ منزلاً وحوالي ١١٠٠ نسمة . وتقع على

(1) Lorimer, 1908, P. 651.

بعد مسافة قصيرة شمال الطريق الواصل بين الهفوف والجشة ، لكن الوصول إليها يكون أكثر سهولة من جهة قرية الشهارين . وأن كان لا يمكن السفر بالسيارة على كامل الطريق من الشهارين إلى قرية بني معن . وشكل قرية بني معن غير منتظم ، ورغم أنها مسورة على نمط قرى المجموعة الثالثة ، إلا أن سورها خرب الآن تماما . وسكان القرية جميعهم من الشيعة . هناك عدد من المنازل التي تبدو إلى حد ما أنها بنيت حديثاً ، من قبل أشخاص نزحوا إليها من قرية «بنو نحو» . وقرية «بنو نحو» قرية صغيرة أشار إلى وجودها معظم الرحالة الغربيين المبكرين الذين زاروا الاحساء ، لكنها الآن مجرد موقع خال يقع على بعد كيلو مترين غربي قرية بني معن . ويسهل تحديد موقع قرية بني نحو بسهولة ، وقد أشار إليها لوريمر كقرية موجودة في زمنه وأنها كانت تضم عشرين منزلاً من الشيعة وأنها بالفعل في طريقها للخراب .(١)

وتعد منطقة بني معن وبني نحو أفضل منطقة في الاحساء كلها من حيث مياه الري اذ تقع فيها أثنتان من أكبر الينابيع (الحقل والخدود) وعدد من الينابيع الصغيرة (النصيرية وأم الليف وأم الخيس وغصيبة واللويمي ومنصور ، وعيون أخرى) . ونتيجة لذلك فان بساتينها بقيت في حالة جيدة ، ويملك عدد كبير منها تجار بارزون من تجار الهفوف . فبستان أم الخيس الواقع بجوار نبع يحمل الاسم نفسه يملكه سعد القصيبي . ولا يزال سكان بني معن يملكون قطعاً صغيرة وقليلة ، لكنهم عموماً يعملون كفلاحي بساتين أو كعمال زراعيين لدى الملاك الكبار وتستقى عدد من البساتين الأصغر حجماً الواقعة في المنطقة المجاورة مباشرة لبني معن ، من نبع النصيرية .

مجموعة الكلابيــــة :

تتكون هذه المجموعة من ثلاث قرى ، تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات غرب جبل القارة ، على الحافة الشمالية للمنطقة المزروعة . والقرية الواقعة في أقصى الجنوب من تلك القرى ، هي قرية الحليلة ، وتقع قرية الكلابية والمقدام على بعد ٢/١ ٣ كم شمال الحليلة . وتقع قرية كلابية النهود على بعد نصف كيلو متر آخر

(١) Lorimer, 1908, 649.

غرب قرية المقدام . يطلق في بعض الأحيان على المقدام وكلابية النهود اسم الكلابية الغربية ، وعلى الكلابية والمقدام اسم الكلابية الشرقية ، وعلى أية حال ، يطلق في الغالب على كلابية النهود (الغربية) أو ببساطة الكلابية ، ويطلق على كلابية المقدام (أو الشرقية) المقدام . وهذه هى الاسماء التي تطلق عليها عادة ولذا ستستخدم في هذا الكتاب .

تضم الكلابية حوالي ٢٣٤ منزل يسكنها ١٠٠٠ نسمة تقريبا ، ويوجد في المقدام ٩٣ منزلاً تقريبا يقطنها حوالي ٥٠٠ نسمة . بينما تحتوي الحليلة حوالي ٣٢٧ منزلا ويسكنها ما يقارب ١٥٠٠ نسمة . وسكان قريتي الكلابية والمقدام من السنة . بينما سكان الحليلة من الشيعة .

وتعد قرية المقدام أقل القرى الثلاث إزدهاراً ، اذ تحمل مظاهر النمو من مجرد مستوطنة ، يعيش ما يقارب نصف سكانها في أكواخ أو توجد أكواخ في مساكنهم المسورة . أما قرية الحليلة فانها قرية مسورة على هيئة مربع تام . وكان لها أربع بوابات تفتح كل منها على أحدى الجهات الاربع ، لكنها زالت اليوم بعد خراب السور والتوسع الملموس في الجانبين الجنوبي والشرقي . ويبدو أن هذه القرية كانت مزدهرة جداً في الماضي وتتكونبعض مبانيهـــامن ثلاثة طوابق . وتعد قرية الكلابية الأكثر إتساعاً ، وربما تحتل مساحة أكثر من ثلاثة أضعاف مساحة الحليلة . ولا تتبع معظم منازلها أي مخطط للطرق مثل ما هو موجود في قرى أخرى . وتظهر الكلابية أفضل من مجموعتي قرى هذه المنطقة في ظل الظروف الحالية لمقاومة المواطن الاحسائي ضد العوامل البيئية . تزحف الرمال هنا من جهة الشمال وقد غطت عدداً كبيراً من المنازل في الطرف الشمالي للقرية . وتبدو بعض الأطلال واضحة جداً للعيان . وقد انتقل السكان القاطنون في الجزء الشمالي من القرية وبنوا منازل جديدة في الجنوب . وبما أن الرمال مستمرة في زحفها فقد هجرت أعداد أكثر فأكثر من المنازل الواقعة في الشمال ، بينما أضيفت مبان جديدة في الجنوب ولذا بدأ وكأن القرية نفسها تزحف إلى جهة الجنوب وأنها بصعوبة تحتفظ بوجودها أمام مطاردة الرمال . ويرى في كل المنطقة وفي مساحة واسعة ممتدة خلف القرية ، آثار زراعية قديمة باقية بين كثبان الرمال الحالية .

يأتي معظم مياه الري لهذه المنطقة من عين الحقل . ولا يعتد بكمية الأرز المزروع في هذه المنطقة . ويعتقد أنه في الأزمنة القديمة (ربما حتى خلال العصور الوسطى بلغت المساحة المزروعة حداً بعيداً جهة الشمال حيث بلغ الحد الشرقي إلى جبل البريقاء ، أو على الاقل إلى الموقع المسمى جواثا . * وجواثا اليوم موقع خرب يضم بقايا سكن كبير ، والبقايا الكبيرة الشاخصة تمثل مسجداً كبيراً . ويروي بعض سكان المنطقة أن جواثا كانت في الماضي مستوطنة كبيرة جداً ومهمة ، وأنه قبل توحيد واحة الاحساء إدارياً بوقت طويل ، كان سادة جواثا يتنافسون في النفوذ السياسي والعسكري مع سادة العيون والعقير والاحساء وهجر .[١]

ينسب سكان قريتي الكلابية والمقدام أصولهم إلى قبيلة بدوية من بني خالد . بل يذهب بعضهم إلى القول بأن أجدادهم ينتسبون إلى فرع المقدام من تلك القبيلة . ويتحدث (بلغريف) عن الكلابية قائلاً :[٢] يدل اسم هذه القرية ضمنا على أنها كانت مستوطنة لبني كلاب ، وهي قبيلة نجدية تنحدر من قيس ، استوطنت هنا في زمن مبكر جداً .

وبما أنه لا يعتمد على الاستنتاجات المبنية على تشابه الاسماء كما هي فقط ، لا سيما أن أستنتاجات (بلغريف) قد ثبتت ضعيفة في مناسبات عدة . لذلك فان هذه الرواية يجب أن توخذ بحذر كبير . فسكان هذه القرى بالتأكيد لا يعترفون بانحدارهم

(*) تستحق جواثا اشارة خاصة لم يعطها المؤلف اياها . وقد جاء عن جواثا في «معجم البلدان» أنها حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر الصديق (رض) سنة ١٢هـ عنوة . ويعود تاريخ جواثا إلى ما قبل هذه الاشارة . اذ أنها أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة بعد اسلام بني عبدالقيس حيث بنوا فيه مسجداً ورد ذكره في صحيح البخاري . ولا تزال آثار ذلك المسجد باقية حتى اليوم . وكانت منطقة زراعية وتجارية عامرة تقصدها القوافل وتعود منها محملة من بضائعها - التمر وغيره - وقد قال كثير في ذلك :

كدهم الركاب بأظعانها ... غدت من سماهيج أو من جواثا

ويعتقد أن أهمية جواثا تلاشت في القرن الرابع الهجري اذ لم يرد لها ذكر ويمكن أن يكون لزحف الرمال وطمرها لعدة قرى في المنطقة نفسها دور في ذلك . وفي المنطقة المحيطة ببقايا المسجد الآن فوهة عين ماء ، ماؤها عذب وآثار قبور وزراعة قديمة . (المترجم) .

(١) يشيردي غوية (١٨٩٥) ص ٢٦ ، إلى سادة جواثا والموقع الذي أسماه الشبعان ربما كان الشعبة ، حيث لا يبدو أن هناك موقع خرائب في المنطقة المجاورة لجبل الشبعان .

(٢) Palgrave, 1865, Vol. II, P. 183.

من قبيلة بني كلاب .★

البطاليــــــة★★ :

البطالية قرية جميع سكانها من الشيعة . تضم القرية حوالي ٣٥٧ منزلاً يسكنها ١٨٠٠ نسمة تقريبا . وتتكون القرية من مجموعة أربع حارات منفصلة لا تبعد المسافة بين الحارات في بعض الاماكن بأكثر من ٥٠٠ قدم . وتسمى هذه الحارات : الحارة الشمالية أو فريق العمدة ، والحارة الشرقية أو فريق الجنينه ، والحارة الجنوبية أو فريق المسابح ، والحارة الغربية الرابية والتي تعد أصغر الحارات . وجميع الحارات غير مسورة .

رغم الظروف التي جعلت الأرض الواقعة شرق البطالية سيئة من حيث تصريف المياه فاصبحت عالية الملوحة ، ولذا فقد هجرت بعض الأراضي فيها بالفعل ، إلا أن البساتين حول البطالية عموما تعد ضمن أحسن المزارع المعتنى بها في واحة الاحساء كلها . تسقى بساتين القرية من مياه الطوائح من نبع الحارة ، ومن الماء الحر من عين الجوهرية الواقعة بجوار القرية . ويتركز وجود الينابيع المتدفقة أكثر من أي منطقة أخرى في هذه المساحة العامة من الواحة الواقعة بين قرية البطالية شمالا إلى قرية بني معن في الجنوب ، وعلى طول الثلثين الأولين من الطريق ما بين الهفوف والكلابية ، ونتيجة لذلك يوجد فيها البساتين الأكبر مساحة والأكثر جمالاً وعناية ، وهذه هي المنطقة التي يمتلك فيها عدد من الاشخاص البارزين في مجتمع الاحساء ، ومن ضمنهم الأمير سعود بن جلوي نفسه ، بساتين نخيل كبيرة ، والتي يرى المرء فيها عدداً من قصور البساتين التقليدية في الاحساء التي تستخدم للاستراحة وقضاء فصل الصيف .

(★) ورد في «تحفة المستفيد» ص ٤٥ أن من سكان المقدام آل صقية من الوهبة من بني تميم انتقلوا إليها من نجد . وكذلك آل دايل من آل سحبان من بني خالد . أما سكان الكلابية فينسبون إلى بني كلاب ، بطن آل زريق . (المترجم) .

(★★) نسبة إلى مالك بن بطال بن مالك بن إبراهيم العيوني . وهي قريبة من مدينة الاحساء التي اختطها أبو سعيد القرمطي سنة ٣١٧هـ . ويعتقد حمد الجاسر بعد زيارته لها أنها أنشئت على أنقاض مدينة قديمة . ويجزم بأن تلك المدينة هي الاحساء «المعجم الجغرافي ، المنطقة الشرقية ، جـ ١ ، ص ٣٦» . لكننا نرى أن هذا الجزم يحتاج إلى سند قوي يدعمه . (المترجم) .

يوجد قرب البطالية قناة (ثبر) كبيرة إلى حد ما ، تسمى شرائع ، تتجمع فيها المياه المتسربة من أراضي هذه المنطقة وتحمل المياه شمالاً عبر منطقة صحراوية فسيحة باتجاه بساتين قرية الشعبة .

يعتقد بعض المثقفين في واحة الاحساء أن العاصمة القديمة للاحساء تقع مكان قرية البطالية الحالية . إلا أنه لا تتوفر أدلة كافية حتى هذا التاريخ تدعم مثل هذا الاعتقاد دعماً تاماً ، رغم أن المنطقة المجاورة تكثر فيها البقايا الآثارية وخاصة حول الموقع المسمى «البحيث» .

يوجد على إرتفاع طفيف قرب حافة المنطقة المزروعة بين المبرز والبطالية موقع يسمى الجرعاء . ويقال أن هذا هو موقع سوق الاحساء القديم والذي حمل الاسم نفسه وذاعت شهرته . ويعتقد البعض أن هذا الموقع هو موضوع السوق القديم لمدينة الجرعاء التي أشير إليها في الكتابات الاغريقية والرومانية ،[1] ويتمسك آخرون بالقول بأن العقير هو موقع الجرعاء ،[2] والعقير كان مجرد ميناء يواجه لنهاية طريق التجارة من الواحة إلى الخليج العربي ، ومع ذلك لم يدعم أي من الرأيين المختلفين حتى الآن بأي أدلة آثارية يعتمد عليها .

القرى الشماليـــــة :

تمتد الكتلة الزراعية الكبرى الثانية في واحة الاحساء والتي أطلقنا عليها اسم الواحة الشمالية ، باتجاه الشمال من موضع يقع على بعد حوالي ميلين شمال المبرز (علامته الرئيسية مرتفع يسمى الرجم الهدام ، حيث يقع قصر محيرس) إلى جوار قصر الوزية جنوب العيون .

وتتكون الواحة الشمالية من قطعة أرض غير منتظمة الشكل ، تضيق كلما

---

(١) ومن بينهم دي غويه De Goeje (١٨٩٥م) ص ص ٢٦ ، ٢٧ ، وفون أوبنهايم Von Oppenheim (١٩٥١م) ص ص ٥ - ٦ .

(٢) Philby, 1923, Vol. I, PP. 4, 306; Cheesman, 1929, PP. 28-29.
وقد اتبع شيزمان رأي سبرنقر Sprenger (١٨٧٥) .

امتدت شمالاً . ويمكن التحقق من تضاريسها من السطح ، ويمكن رؤيتها بوضوح من الجو ، فهي تعطي الدلائل على أنها ليست المنطقة الأكبر مساحة والأكثر إتساعاً في الأزمنة الماضية فحسب ، بل تمتد غير منقطعة إلى منطقة العيون وفيما وراءها إلى الشمال والشمال الشرقي . وقد أدى التدهور التدريجي للأرض الزراعية الآن إلى ترك بقع قليلة خالية وبقع زراعية غير متصلة في أقصى الشمال وحده ، وأكبر قطعة منها هي التي تحتلها قريتا المحترقة والمراح وبساتينهما. هذه البقعة تشكل المنطقة الخاصة بالعيون . رغم أن كل القطع المنعزلة الباقية ، تؤلف كقاعدة عامة نبع مياه صغير وبستان صغير محيط به (مثل القطار ، وعين سعد) .[1] وهي عموماً غير مأهولة باستمرار ، ويشار إلى أنها تابعة لمنطقة العيون .

تشمل الواحة الشمالية قرى القرن وجليجلة والمطيرفي والقرين والشقيق والشعبة .

تسقى البساتين الواقعة في الجزء الجنوبي من هذه الواحة أساساً من نبعي الحارة والجوهرية . ويحصل الجزءان الرئيسي والاوسط من هذه المنطقة على معظم مياهها من نبع أم سبعة التي تعد واحدة من أكبر ينابيع الاحساء وأشهرها . يزرع قليل من الأرز في الواحة الشمالية باستثناء الجزء الأوسط .★

ومنطقة العيون كم يفترض من اسمها تسقى من عدد وافر من ينابيع صغيرة . وتستقل بنظام مستقل لتجميع المياه واعادة توزيعها عن شبكة الري الرئيسية في الاحساء . وكانت واحدة من قنوات الري تلك تستخدم لنقل المياه حول قرية المحترقة تستخدم كخندق دفاعي .

يجد الماء المتسرب من كل الواحة الشمالية ومنطقة العيون منفذاً له ، خاصة خلال الشهور الباردة إلى بعض أحواض المستنقعات الضحلة جداً الواقعة في المنطقة الممتدة من قرب قرية المطيرفي إلى شمال قرية العيون . أما السبخات الممتدة بعيداً

---

(١) اوضحت أسماء العيون الأخرى وأماكنها في منطقة العيون في ص ص ١٥٦ - ١٥٧

(★) كان فيها مزارع للأرز تابعة لأملاك الدائرة السنية العثمانيـــة . (المترجــم) .

عن هذه المنطقة فهي سبخات واسعة جداً ، مما يجعل الوصول إلى قرية المحترقة أمراً غير ممكن بالسيارات العادية خلال معظم فصل الشتاء .

ينطبق على جميع قرى الواحة الشمالية الأنماط السائدة في «الشرق» . فقرى المطيرفي والقرين والشقيق قرى مسورة . وغالب سكان القرى الشمالية من الشيعة ولكن مع وجود أعداد كبيرة من السنة ، وربما كان السنة هم الأغلبية في قريتي جليلة والشقيق . أما القريتان الواقعتان في منطقة العيون (العيون والمراح) فجميع سكانهما من السنة . يرجع سكان قرية العيون أصلهم إلى قبيلة بني خالد★ . وقد أنشئت قرية المراح من قبل مجموعة منشقة من قرية المحترقة★★ . ويعتبر فريق كبير من سكان جليجلة أنفسهم منحدرين من قبيلة العجمان★★★ .

يبدو أن لقرية المحترقة تاريخاً طويلاً ، ومن الممكن أن يكون سكانها قد انحدروا من القرية الخربة الواقعة على بعد مسافة قصيرة إلى الشمال الغربي . وكانت المحترقة مقراً رئيساً للحكم الاداري أثناء الحكم العثماني .[١]

تعد أسرة آل إبراهيم أشهر الأسر في منطقة العيون وقد كانوا لعدة سنوات سادة العيون .[٢] واسم العيون نفسه مشهور منذ فترة قديمة في تاريخ الاحساء . فقد روى الريحاني أنه بعد انحطاط القرامطة أصبح أبن علي العيوني حاكم الاحساء ، وبعد الانتهاء من قتال شيوخ القطيف والبحرين أخضع كامل المنطقة لسيادته . وأستمرت أسرة العيونيين تحكم البحرين لمدة بلغت حوالي ٢٥٠ سنة .[٣]

(★) العيون من أقدم قرى واحة الاحساء وينسب إليها العيونيين الذين أزالوا حكم القرامطة في القرن الخامس الهجري وقد امتد حكمهم حتى منتصف القرن السابع وهم من بني عبدالقيس . ومنهم الشاعر المشهور علي ابن المقرب العيوني . وقد عد صاحب التحفة سكانها من قبيلة الدواسر ، ولا ندري عن مصدر مؤلف هذا الكتاب في قوله بارجاع سكان قرية العيون إلى بني خالد (المترجم) .

(★★) يذكر صاحب «التحفة» أن قرية المراح هي قرية آل بويت من الفضول . (المترجم) .

(★★★) من آل شيبـــان . (المترجم) .

(١) Lorimer, 1908, P. 645.

(٢) أشار إلى هذه الاسرة أيضا فون ابونهايم (١٩٥٢) ص ١٩ .

(٣) Rihani, 1930, P. 288

تمكن مؤسس دولة العيونيين (٤٦٧ -٦٢٤هـ / ١٠٧٤ - ١٢٤٤م) من القضاء على حكم القرامطة في الاحساء بمساعدة السلاجقة وبأمر الخليفة العباسي أبي جعفر القائم بأمر الله . ودامت دولتهم حسب المدة الموضحة . (المترجم) .

ثالثاً الحصـــــون :

رغم أنها لم تكن ، ومن المحتمل أنها ما كانت على الاطلاق مجتمعات سكنية طبيعية بمعنى أنها تضم وحدة عائلية أو أكثر ، إلا أن حصون الاحساء يمكن بالتأكيد اعتبارها أماكن سكن . كان غرضها المراقبة والدفاع عن الطرق الرئيسية التي توصل إلى الواحة وإلى المدينتين الرئيستين الهفوف والمبرز أيضا . وبما أن الحروب والغارات قد توقفت ، فانه لم يعد هناك حاجة ضرورية للتحصينات ، مثلها مثل الأسوار المحيطة بالمدن والقرى ، ولذا فقد تركت تلك الحصون لعوامل الخراب باستثناء البعض القليل منها التي تستخدم الآن كثكنات عسكرية للجيش .

تتألف التحصينات المنعزلة في الاحساء من نوعيين : الأول ويطلق عليه اسم «برج» ، ولا يتعدي أن يكون برجاً للمراقبة الرئيسية . والنوع الثاني يسمى «قصر» ، ويكون بمثابة بناية أكبر على هيئة مستطيل مع وجود ساحة في وسطه تحيط بها غرف واسطبلات وتحصينات في زواياه الأربع على الأقل . ويبدو أن البرج لم يجهز في أي وقت من الأوقات بأكثر من خمسة أو ستة خفراء ، بينما كانت بعض الحصون من النوع الذي يطلق عليها قصور ، كبيرة بما فيها الكفاية لاسكان سرية من الفرسان والمشاة .

فيما يلي أسماء حصون الاحساء ومواقعها :

برج الأحمــــــر :

يقع على بعد حوالي كيلو متر ونصف شمال شرق الهفوف ، عند حافة بساتين النخيل . يشرف على الطريق ما بين الهفوف ومناطق البطالية والكلابية . وقد هجر هذا البرج منذ زمن قديم ، حيث لا توجد هناك الآن حتى بقايا مرئية لأسواره كدليل على وجوده . والميزة للرابية المكونة بسبب العوامل المناخية للبناية الطينية هي كل ما تبقى من التحصين السابق .

قصر العسكــــر :

يسمى أيضا قصر الغربي ، وقصر اللويمي ، وقصر غصيبية ويقع على طريق العقير عند تقاطعه مع طريق القارة . وهو خرب الآن وغير مأهول في ظروفه الحالية .

قصر بـــــرزان :

يقع عند الطرف الشرقي لحي الصالحية ، الضاحية الجنوبية الشرقية للهفوف . وكان يستخدم لمرابطة قوات صغيرة فيه خلال الحكم العثماني . ولا يزال القصر إلى حد ما في حالة جيدة في الوقت الحاضر . وتستخدمه الآن مفرزة صغيرة من الشرطة .

برج البصيـــرة :

برج مراقبة خرب ، يعد أول مجموعة من التحصينات التي تحرس طريق العقير . ويقع على بعد حوالي كيلو متر شرقي الهفوف وشمال عين الصويدرة .

قصر الحــــزم :

يقع غرب المبرز وجنوب شرقي محاسن على الجانب الغربي لسكة الحديد . ويبدو أنه كان محاطاً بمستوطنة صغيرة . ومن المحتمل كثيراً أنه سابق في التأسيس على الضاحية البدوية الحالية في المبرز والتي تحمل الاسم نفسه . وهو الآن في حالة خربة اذ لم يبق منه قائماً إلا جزء من جداره الخارجي فقط .

قصر خــــزام :

قلعة كبيرة إلى حد ما . تقع جنوب غرب الهفوف ، جنوب بستان سمحة ، عند الطرف الشمالي للضاحية البدوية الرقيقة . وقد أعيد بناؤه بناء حسنا عدة مرات . يستخدم الآن مقراً لفرقة مشاة من الجيش العربي السعودي المرابط في الاحساء .

قصر محيــــرس :

قلعة صغيرة . تقع بين المبرز والمطيرفي على أرض مرتفعة قليلاً يتحكم في الطريق من الهفوف إلى العيون ، والطريق من المبرز إلى البطالية . ترابط فيه حاليا مفرزة صغيرة من الجيش .

قصر صاهــــود :

قلعة يبلغ حجمها نفس حجم قصر خزام تقريباً ، يقع خارج الاسوار الغربية

لمدينة المبرز ، ويواجه مدخله ضاحية الحزم البدوية . وقد أعيد بناؤه بشكل جيد ويستخدم كثكنات للجيش العربي السعودي .

برج ســــــلامة :

برج مراقبة ، يقع عند الحافة الجنوبية لنطاق زراعة النخيل ، بين قصر العسكر وطريق يقود إلى عين اللويمي . وهو خرب الآن .

برج أم البـــــوم :

برج مراقبة ، خرب الآن . يقع على الطريق الموصل إلى العقير بين برجي البصيرة وسلامة .

قصر الوجـــاج :

يقع على الطريق الموصل من الهفوف إلى ميناء العقير ، على بعد كيلو متر ونصف غرب قرية الفضول . ويدعى أيضا قصر الشرقي . ترابط فيه الآن فرقة من الجيش . ويعد أقصى التحصينات من جهة الشرق ضمن مجموعة قلاع دفاعية قرب العقير .

قصر الوزيـــــة :

يقع شرق الطريق من بقيق إلى الهفوف جنوب قرية العيون . وقد هجر في ثلاثينيات القرن العشرين . ثم أعيد بناء جزء منه في سنة ١٩٥٣م لاستخدامه كموقع لتصوير فيلم عن البلاد . ومن المحتمل أن ترابط فيه فرقة صغيرة من الشرطة في المستقبل .

رابعاً : المـــــدن :

تختلف أثنتان من المجمعات السكنية في الواحة بشكل متميز عن نموذج قرى الاحساء . وذلك من حيث المظاهر المعمارية والحجم الطبيعي وعدد السكان ، ووظائفها الادارية ونشاطاتها الصناعية والتجارية ، ولذلك فان مدينتي الهفوف والمبرز تتبوأن مرتبة متميزة خاصة بهما وتستحقان وصفاً مستقلاً . وقد رسمت خرائط توضيحية للمدينتين في الرسوم رقم ١٣ ، ٢٢ ، ٢٤ .

الهفـــــــوف* :

مدينة الهفوف هي العاصمة الادارية للاحساء وواحدة من أكبر المجمعات السكانية في شبه الجزيرة العربية . تقع عند الزاوية الجنوبية الغربية للواحة تماما ، وعلى بعد حوالي ٤٥ ميلاً من الميناء القديم العقير باتجاه الجنوب الغربي تقريبا .

ويكتب اسمهما عموما اليوم «الهفوف» ، وهو فيما يبدو اشتاق أو تحريف للاسم القديم (الهفهوف) . ولا يزال الاسم الأخير يسمع بين البدو وبعض كبار السن من سكان الاحساء ، ويذكر أنه الأكثر صواباً . ونادراً ما ترى التهجية القديمة في الكتابة الآن .[١] وسوف نستخدم في هذا الكتاب اسم «الهفوف» .

يقال أن هذا الاسم «الهفوف» مشتق من أصل كلمة «هفّ» والتي تعني يهس ، يئيز ، يهف ، يهب «الريح» .[٢] ويذهب الظن إلى أبعد من ذلك حين يذكر أن هذا الاسم أطلق أول مرة على مساحة تشغلها الآن المدينة حيث كان بعض أغنياء الواحة يملكون بساتين نخيل قليلة وبيوت ريفية يأوون إليها في الصيف أو للاحتفاء بالأصدقاء خلال فترات المساء طوال أيام السنة . ومن ثم أطلق على هذا المكان (البارد وكثير النسمات) اسم هفوف . وقد أصبح فيما بعد مسكنا دائما ، ونما حجمه وأهميته الحالية مع الزمن . يشرح بعض الرواة اشتقاق هفوف أو (الهفهوف) بأنه من

---

(١) But cf, Malhas, A.H. 1368-69, PP 28-29.

(٢) الاصطلاح المحلي لاسم المروحة هو مهفة .

(★) الهفوف بضم الهاء والفاء بعدها واو ساكنة . ويقال أن أصل الاسم (الهفهوف) بتكرار الهاء . وعلى هذا يقول الشاعر :

مهلا مهفهفة الهفـــوف من هجـــر   أنغمة العـــود ذى ام رنـــة الوتـــر

وأن الموضع سمى بذلك لطيب هوائه . لا يعرف زمن محدد لانشاء مدينة الهفوف ، وربما كان في القرن العاشر الهجري . والمعروف أن مدينة الهفوف حلت محل الاحساء التي كانت قاعدة للمنطقة وأصبحت عاصمتها حتى إتخاذ الدمام سنة ١٣٧٠هـ عاصمة للمنطقة الشرقية . (المترجم) .

هف أو هفهف التي تعبر عن فكرة تتعلق في جوهرها (بالمكان ذى النسمات العليلة) . وإذا كان الأمر كذلك ، فالاسم يمكن مقارنته بمثل كلمة كتكوت ، الذي يعني «صوص» وهو اصطلاح يعبر عن العاطفة والحب ، ويستخدم لمخاطبة صغار الاطفال . رغم كونه ، ربما ، ليس اصطلاحاً تصغيرياً شائعاً ، وقد يساير الاستعمال اصطلاحاً ذا دلالة على التعلق والعاطفة مثل مصطلح مربي الماشية "Little Old Bull" أو الاصطلاح الاسباني "Torito" ، الذي رغم أنه من الناحية الفعلية يعني التنقيص ، إلا أنه يمكن ، في حالات نادرة ، اعتباره في حد ذاته معنى حسياً عندما يقصد به الاشارة إلى حيوانات يزيد وزنها على ألف رطل . ويحتمل أيضا أن يكون هفوف «أو الهفهوف» مشتقاً من صيغة هفوف للصيغة الوصفية المؤكدة «فعَول» .[1]

بنيت الهفوف فوق هضبة صخرية مستوية من الأحجار الجيرية ، يبلغ ارتفاعها تقريبا ٤٥٠ قدما . تنحدر هذه الهضبة بشكل معتدل من الشرق إلى الغرب حتى تصل داخل مدينة الهفوف نفسها . وهكذا يرتفع الجزء الشرقي من الهفوف قليلاً عن البقية . توجد بين هذه الهضبة والبساتين جهة الشرق والشمال مساحات من أراض منخفضة تتراكم في أجزاء منها المياه خلال الشهور الباردة . ويوجد فوق التكوين الجيولوجي الذي تقع عليه الهفوف نفسها ، مقالع حجرية وخاصة في شرق المدينة وجنوبها ، يستغلها مواطنو الهفوف من أجل الحصول على الأحجار اللازمة للبناء والجص . ويجد بين المقالع الحجرية عدد من أراضي الدوس بمساحات مختلفة . ويبدو أن هناك اتفاقاً غير مكتوب على تنظيف الاراضي المخصصة للدوس «الطحن» وتحديدها بواسطة سواري توضع في الحفر الرئيسية لتحديد مسار الحمير حولها ولتبين أنها ليست مقالع للحجارة .

رغم ما يروى أن الهفوف كانت محاطة تماما ببساتين النخيل عندما زارها الرحالة الأوربيون الأوائل ، إلا أن هذا لم يعد واقعاً حقيقياً اليوم . اذ يوجد جنوب المدينة وغربها وشمالها نطاقات ضيقة من أشجار النخيل ، إلا أنها تنقطع استمرارية تواصلها في عدة أماكن . اذ توجد في الشرق من المدينة عدة أميال مربعة من الأراضي القاحلة تفصل الهفوف عن منطقة النخيل النامية . ولا تزال ترى آثار زراعة سابقة في هذه الارض .

---

(١) P.C. Speers, Personal Communication, Sept. 10, 1953.

كـان شكل مدينة الهفوف القديمة الأساسية على هيئة سداسية غير منتظمة تقريباً . تشكل ضاحية الصالحية على الجانب الجنوبي - الشرقي هيئة نمو غير اعتيادية . وتحيط بمدينة الهفوف بأكملها أسوار واسعة مختلفة الارتفاع . ففي أماكن معينة لا يزد إرتفاع الاسوار أكثر من ١٢ إلى ١٥ قدماً ، بينما في أماكن أخرى قد يصل الارتفاع ما بين ٣٠ - ٣٥ قدماً أو ربما أكثر ، وخاصة عندما تتكون الأسوار من جدران المنازل نفسها .

توجد عدة بوابات تسمح بالدخول إلى مدينة الهفوف . ففي الشمال توجد بوابة الخميس وهي البوابة الرئيسية للمدينة ، وبوابة الفتح ، والتي تعرف عموما باسم بوابة الخيل ، كما يطلق عليها أحيانا بوابة البراحة أيضا . وتسمى البوابة الغربية للمدينة بوابة البدع . بينما تعرف البوابة الجنوبية باسم بوابة القرن . وتقع في الجهة الشرقية بوابتان ، ففي أقصى الجهة الجنوبية توجد بوابة الصالحية ، أما البوابة الاخرى فهي بوابة الخباز . لا تتسع بوابة البدع لدخول السيارات ، بينما يمكن لحركة السيارات استخدام بوابة الصالحية ، مع أن الطريق المؤدي من هذه البوابة إلى وسط المدينة لا يتسع إلا لعبور سيارة واحدة ولمسافة قصيرة . ونتيجة لذلك فان هذه البوابة لا تستخدم فعليا لحركة مرور سيارات تذكر .

يقود طريق ضيق من بوابة الخبار القديمة إلى وسط مدينة الهفوف . وكان هذا الطريق يستخدم في الماضي لحركة الدخول والخروج ، والتي كان الطريق يضيق بتحملها مما حدا ببلدية الاحساء في سنة ١٩٥١م إلى بناء بوابة جديدة على بعد ياردات قليلة جنوب بوابة الخبار القديمة ، وقامت بفتح طريق جديد بعد هدم منازل قليلة ، مما مكّن لحركة السيارات أن تنساب إلى وسط المدينة . وتستخدم البوابة القديمة وطريقها حاليا للخارجين من المدينة بينما تستخدم البوابة الجديدة وطريقها للسيارات الداخلة . لم يطلق على البوابتين التوأمين أسماء خاصة بل ظل يشار إليهما مجتمعتين باسم بوابة الخباز .

تسمح بوابة الخيل بالعبور إلى جزء من المدينة يسمى حي الكوت ، المحاط بكامله بأسوار يوجد في أجزاء منها متاريس صغيرة ، كما يوجد في الاسوار

المحيطة بالأجزاء الأخرى من مدينة الهفوف أبراج محصنة قليلة ، ويعد سور حي الكوت هو الأعلى والأقوى في الاحساء ، وقد دعم بثلاثين برجاً تتباعد بشكل غير منتظم على طور السور . توجد بقايا الخندق القديم موازية له في الشمال والغرب وجزء من جنوبي سور الكوت وحالته الآن سيئة . لم يشق الخندق لاحتواء المياه ، وإنما وجد ليكون بمثابة عقبة إضافية ضد الجيوش المهاجمة . وقد ردم جزء الخندق الممتد على طول الضلع الشرقي بهدف توسعة الشارع وذلك في زمن زيارة زويمر .[١] وكان الخندق موجوداً في وقت مبكر من هذا القرن وهو يحيط بكامل سور الكوت .[٢]

يبلغ عرض السور المحيط بمدينة الهفوف ما بين ٣ إلى ٥ أقدام . بينما يبلغ عرض السور المحيط بحي الكوت في بعض الاجزاء أكثر من عشرين قدما إضافة إلى وجود ممرات للدفاع ومواضع للمدافع . لم يكن السور مبينا من الطين ولا من اللبن المجفف بأشعة الشمس كما كان معتقداً وشائعاً ، بل بنى في معظمه من حجر جير مطلي بالطين فقط . ويوجد هنا وهناك بعض اللبنات القليلة التي استخدمت حينما تمت صيانته وترميمه . أما بوابة الكـوت الرئيسية المعروفة باسم «بوابة الكوت» والتي تقود إلى قصر الامارة فموضعها في منتصف السور باتجاه الجنوب الشرقي في مواجهة الشارع الذي يقود إلى بوابة الخباز .

يبلغ طول مدينة الهفوف من الشمال إلى الجنوب ٢٫٨٠٠ ياردة (١/٢ ٢ كم) تقريبا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب يبلغ حوالي ٢٫٣٠٠ ياردة (٢ كم) . ويبلغ قياس حي الكوت من الشمال إلى الجنوب ١٣٠٠ ياردة ، وحوالي ١٥٠٠ ياردة من الشرق إلى الغرب . ويتبع نظام تشييد المنازل نمطاً معتاداً إلى حد ما في كل أحياء المدينة . وتكون مادة البناء المستخدمة هي الحجر الجيري الأبيض المحلي ، الذي يرص بعضه فوق بعض ويثبت بملاط ثم يطلى أخيراً بطبقة من الجص . وأحيانا تطلى بالطين منازل الأشخاص الأقل غنى وثروة .

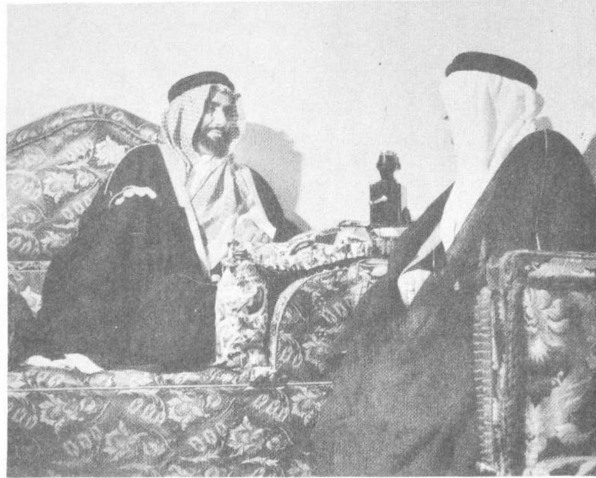
---

(١) Zwemer, 1900, PP. 113-114

(٢) في الواقع الذي راه الريحاني (١٩٢٨) ص ١٠٠ ، كان الخندق على السور الشرقي لا يزال مرئياً بشكل واضح . أنظر أيضا :
India General Staff, 1916, P. 89 and Philby, 1923, Vol. I, P. 27 and Photograph Opposite, P. 26.



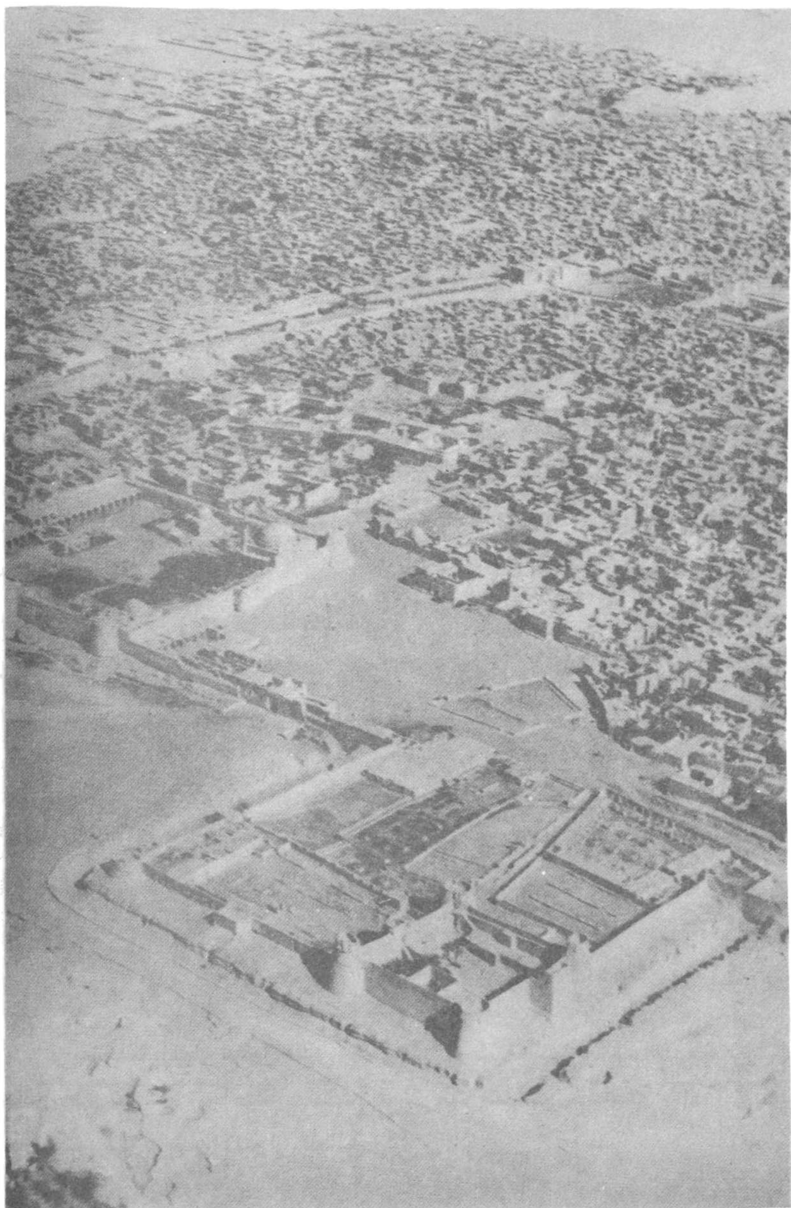
منظر جوي لمدينة الهفوف
يظهر في وسطه شارع
سوق الخميس بمحاذاة
تحصينات سور
الكوت الشرقي



الامير سعود بن جلوي
في مكتبه في إمارة
الاحساء

ويستخدما أحيان اللبن الذي يدخل في تركيبه التبن والمجفف بأشعة الشمس كأداة ربط وتماسك ، وأحيانا يستخدم في ترميم المساكن الخاصة ، إلا أنه يستخدم بشكل أكثر في ترميم الأسوار العامة .

تتكون معظم منازل مدينة الهفوف من طابقين ، وإن كان ذلك لا يعني أن وجود



منظر جوي لمدينة الهفوف ، يبدوا في الامام قصر العبيد ، وفي الوسط قصر إبراهيم مع مسجده الشهير .

ثلاثة طوابق أمر نادر بل أن قليلاً من المنازل يتكون من أربعة . ويتميز بناء المنازل جميعها بوجود سطوح مسورة تستخدم غالباً للاكل والنوم . وأحيانا يبنى فوقها غرفة صغيرة . وكقاعدة ، تبنى المنازل حول فناء في وسطها ، وقد كان هذا الفناء في الأزمنة القديمة على مايبدو رحباً وفسيحاً . ويظهر أن هذا المجال الحيوي للأسرة أصبح أخيراً أمراً نفيسا في الهفوف ، اذ أدى إنعدام الأمن الاقليمي أن يقيم الناس داخل مساحة مسورة وأجبرت المدينة أن تستوعب الزيادة السكانية دون أن تتوسع أفقياً ، اذ صار يبنى منزل آخر ، وفيما بعد أثنان أو ثلاثة ، حول الفناء نفسه لتضم أبناء مالك المنزل وعائلاتهم . وهكذا فان الأفنية أخضعت لاقتطاع كبير من مساحتها وأصبح المجال الحيوي للأسرة مزدحماً جداً . وقد كررت في الوقت الحاضر الملاحظة التي ذكرت أن باب الطريق يفضي إلى منفذ ليس لمنزل واحد فقط ولكن إلى ساحة دائرية صغيرة يجتمع حولها كامل المجمع السكني المكون من عدة منازل تتكون من ثلاثة أو أربعة طوابق . تسكن هذه المنازل من أفراد الأسرة الممتدة نفسها وتوجد عادة مداخل مشتركة على مستوى سطوح المنازل ، رغم أن لها مداخل منفصلة في الطابق الأرضي . اذا كان المنزل يحتوي على بئر ماء خاصة ، فانها تستخدم من قبل كافة أفراد مجموعة الأسرة الممتدة ومثل ذلك ينطبق في حالة وجود رحى لطحن الحبوب في الطابق الأرضي ، فأنها تستخدم من قبل الجميع .

تكون الدعامات السقفية الأساسية عادة من الكندل وسيقان الاثل وجذوع النخل . يوضع فوقها شبكة من أجزاء أصغر من الكندل والاثل ثم يعلوها طبقة من حصير القصب غالبا ، تغطى بالطين لتكون أساساً للطابق الثاني . تزود النوافذ ، النادر عادة وجودها على الجهات الخارجية ، باطار خشبي . وتصنع أبواب النوافذ ومصاريعها في الأغلب من خشب الساج والبلوط المستورد . وأحيانا تنحت تصميمات هندسية بعناية وتلون أيضا . وتزوق أحيانا طبقة الطلاء الداخلية للمنازل خاصة حول النوافذ والأبواب بتصميمات هندسية محفورة بسكين داخل اطار الجص قبل تثبيتها .

يصنع أثاث المنزل غالبا ، باستثناء المستوردات الحديثة ، من منتوجات الواحة : حصر وسجاد وفرش مطرزة وأغطية ومساند ووسائد ومتاكي ، ودواليب مخصصة لحفظ دلال القهوة والفناجين ... ألخ . تسند الأعمدة الداخلية والأقواس

البارزة في المنازل الكبيرة بجذعي نخل مائلين يربطان معا في الأعلى ، وهذه العملية ليست نادرة . ويعم وجود مواقد القهوة «الوجار» في منازل الواحة .

يوجد في معظم منازل الهفوف الكبيرة بئر ماء خاصة ، لا يزيد عمقها عادة أكثر من ٢٠ أو ٢٥ قدماً . أما بالنسبة للأشخاص الذين لا يتمتعون بمثل هذا الترف ، فتوجد لخدمتهم عدة آبار عامة في كل حي (فريق) . يبنى حولها حائط واطيء مع وجود بعض الأحواض والمسالك لتصريف الماء الفائض عند الاستعمال ، وأحيانا توجد أماكن للوضوء ..

لا تتوفر في الوقت الحاضر معلومات كافية عن الفترة المبكرة من تاريخ مدينة الهفوف . إلا أن زويمر جعلها مسكنا لقبيلة كندة وعبد القيس في سنة ٥٧٠ ميلادية .[١] لكن زويمر هذا يعتبر أن هجر والهفوف يحتلان الموقع نفسه في حين أن الدلائل الحالية تشير إلى رأي مختلف . وهناك أيضا إحتمال كون الهفوف لا تحتل الموقع الجغرافي نفسه لمدينة الاحساء العاصمة القديمة للقرامطة . ويظن على أي حال – إعتماداً على الفخار الاسلامي المبكر الموجود على السطح على بعد مئات ياردات قليلة من أسوار القرية – أن المنطقة المحيطة بالهفوف يمكن أن تكون قد سكنت خلال فترة حكم القرامطة (القرن العاشر الميلادي) .

كانت الهفوف ابان فترة الحكم العثماني مقراً للمتصرف (الحاكم الاداري) العثماني ، الذي كان مسؤولاً عن الادارة والجيش في وسط شبه الجزيرة العربية وشرقها . وقد احتفظ العثمانيون خلال هذه الفترة بحامية عسكرية مكونة من كتيبة مشاة وسريتين للفرسان وسرية مدفعية .[٢] وقد استعاد الملك عبدالعـــزيز المدينة من العثمانين سنة ١٩١٣ .[٣] وبقيت المدينة حتى شهر فبراير ١٩٥٣م عاصمة لما أطلق عليه مقاطعة الاحساء . ففي شهر فبراير سنة ١٩٥٣م نقلت عاصمة هذه

(١) Zwemer, 1900, P. 112.

يعتبر فون فيزمان (١٩٥٣) أن الهفوف هي جرهاء القديمة ، وهذا الاعتقاد يكون في أحسن الأحوال بعيد الاحتمال ، أنظر : Von Wissman, IV.

(٢) India, General Staff, 1916, P, 89.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول استرداد الملك عبدالعزيز انظر :

V. Philby, 1923, Vol. I, P. 28.

المنطقة التي أصبح يطلق عليها اسم المنطقة الشرقية إلى مدينة الدمام ، وبقيت الهفوف عاصمة لواحة الاحساء فقط .

تنقسم مدينة الهفوف إلى ثلاثة أحياء معروفة ومحددة : حي الكوت★ وحي الرفعة وحي النعاثل . ويفصل شارع السوق والشارع الرئيسي للمدينة النصف الشمالي لحي الرفعة عن حي الكوت .[1] ويطلق على الجزء الجنوبي من الشارع اسم المفيريق وهو يفصل بين النصف الجنوبي لحي الرفعة عن حي النعاثل . ويعد الضلع الجنوبي لسور حي الكوت الحد الفاصل بين الكوت وحي النعاثل (انظر الرسم رقم ١٣) .

من الوجهة الادارية ليس هناك أحياء أصغر في المدينة . ولكن بصفة غير رسمية ترسّخ لدى سكان الهفوف تقليد لاطلاق أسماء على مجموعات غير ثابتة العدد من المنازل ، أساسا من أجل تسهيل العثور على العناوين وأعطاء الوصف . أطلق على هذه التقسيمات مسمى «فريق» أشتقت أسماؤها من مواقعها الجغرافية مثل (فريق الشمالي) أو من الحرفة التي يزاولها سكانه مثل (فريق النجاجير) أو من أسم عائلة مشهورة (فريق الملحم) . وقد تكون الاسماء أحيانا هي الأسماء الأساسية للأماكن التي يصعب تتبع أصول تسميتها .

وقد دونا أسماء الفرقان (جمع فريق) التالية :

- □ **في حي الكوت** : الحـــافظ ، النجاجيـــر .
- □ **في حي الرفعة** : الرقيات ، الشكرية ، الساباط ، الفريق الشمالي ، الصفافير .
- □ **في حي النعاثل** : الشعابة ، الملحم ، القصيبي ، المهنـــا .

---

(١) وصف الريحاني (١٩٢٨) ص ٩٩ ، هذا الشارع «بانه أعرض شارع شاهدته في شبه الجزيرة العربية وأكثرها ازدحاماً ، وهو شارع عريض وجذاب ، مع ممرات مقنطرة على واجهة الدكاكين . انه ريفيــرا الاحساء» .

(★) كلمة الكوت ليست عربية الأصل ولعلها تكون برتغالية أو هندية ، وتعني القلعة أو المكان المحصن . وتطلق على المكان المعد لاقامة الجند والادارة . وأول ما عرفت في الاحساء عندما استولى العثمانيون على الاحساء فس سنة ٩٥٧هـ واتخذوه مكاناً ومقراً لجندهم وولاتهم فبنوا قلعة عرفت باسم الكوت . وبعد اختيار مكان الكوت من قبل العثمانيين وتحصينه بسور قوي منيع كثر السكان فيه وحوله . (المترجم) .

يوجد على حد علمنا ، فريقان فقط يضمان أجزاء منفصلة من أحياء المدينة . هما فريق المفيريق وفريق القرن . يضم الفريق الأول المنازل الكائنة على جانبي شارع المفيريق بدءاً من سوق اللحم إلى ميدان القرن . ويضم فريق القرن المنازل الواقعة قرب ميدان القرن مباشرة إلى شمال بوابة القرن . ويتعلق الأمر في كلتى الحالتين بحي الرفعة وحي النعاثل .

وفي الوقت الحاضر وكما كان الحال قبل عشرين أو ثلاثين عاماً ، فانه تحيط بحي الرفعة والنعاثل بساتين نخيل جيدة المساحة يبلغ مساحة بعضها عدة أفدنة .[١] ومن أجل أن تستوعب مساحة المدينة الزيادة السكانية التي لم تشهد لها مثيلاً قط ، فقد أختفت تدريجياً تلك البساتين . اذ لا يوجد في الوقت الراهن إلا بستان واحد فقط ، يقع في أقصى الجنوب لحي الرفعة . أما البستان الأكبر الذي يقع جنوب الخندق فاصلاً حي الكوت عن حي النعاثل ، ويخص حي النعاثل ، فانه الان أرض جرداء تشكل مساحة كبرى للتعمير في الهفوف . وقد شيدت بنايات سكنية هنا منذ اختفاء البساتين علاوة على تشييد بنايات أخرى . ولا تزال توجد نخلة أو ربما مجموعة من أثنتين أو ثلاث نخلات في ساحات «حوي» بعض المنازل الكبيرة .

أدت الزيادة السكانية التي لم تستطع مدينة الهفوف استيعابها داخل أسوارها إلى نشوء ضاحيتين خارج أسوار المدينة ، هما حي الصالحية وحي الرقيقة . وقد انتشر السكان خارج السور الغربي وجنوبي بوابة البدع ، وقاموا بتشييد منازل قليلة خارج السور المحاذي لحي النعاثل . وحالة السور في هذه المنطقة سيئة ويوجد به عدة مداخل «فرجات» أو ما سماها فيلبي «طرق مختصرة غير مرخص بعبورها إلى البساتين» .[٢]

لم يعد حي الكوت مهمّا الآن أو مميزاً عن بقية أحياء مدينة الهفوف ، كما كان في الماضي .[٣] ولم يكن الكوت ابان الحكم العثماني المركز الاداري فقط بل كان مقر

(١) cf. Zwemer, 1900, PP. 113 - 114.

(٢) Philby, 1923, V.I., P. 27.

(٣) يروي موزيل "Musil" (١٩٢٨) ص ٢٦١ أن الكوت – أو القلعة – في الهفوف قد بنيت من قبل سعود بن عبدالعزيز .



رسم كروكي لمدينة الهفوف
N
الطريق إلى طريق القطار بالمبرز
وإلى الواحات الشمالية
الطريق إلى القرى الشمالية
والقرى الشرقية في شمالي الواحة
مقبرة
الفريق الشمالي
سوق الخميس
حي الكوت
بساتين زراعية محدودة.
المساحة في الجنوب الغربي
وشمالى المدينة
حي الرفعة
حي النعاثل
المقيرق
حي الصالحية
القرن
حي
الطريق إلى الرقيقة
الطريق، إلى الواحات الشرقية
وإلى جبل القارة وميناء العقير
١ - قصر الامير
٢ - التكنات العسكرية
٣ - مسجد إبراهيم
٤ - قصر العبيد «سجن»
٥ - مسجد محمد بن علي
٦ - بوابة الخميس
٧ - الحميدية تستخدم الآن كمركز للشرطة ومخازن
٨ - إدارة البلدية
٩ - مدرسة الهفوف الاولى
١٠- سوق اللحوم
١١- سوق الأدوات الفخارية والسوق الجديد للتمور
١٢- بوابة الخباز «مدخلين أنجز احدهما في شهر ديسمبر ١٩٥١م وخارج البوابة سوق الحطب
١٣- بوابة الصالحية
١٤- مخزن العجاجي
١٥- بوابة القرن
١٦- بوابة البدع
١٧- مسجد الجمعة الخاص «بالشيعة»
١٨- مسجد الامام فيصل بن تركي
١٩- مسجد الجبري
٢٠- مسجد العجاجي
٢١- مناخ الابل وسوق بيع الحطب.
٢٢- حسينية أبو خمسين
٢٣- منطقة بناء حديث ، كانت في الماضي مزارع نخيل .
٢٤- بوابة الخيل
٢٥- بوابة الكوت
٢٦- مكتب التوظيف التابع لشركة ارامكو
٢٧- مسجد النعيم

الهيئة الادارية الرسمية والحامية العسكرية العثمانية أيضا . وكان يوجد داخل الكوت في ذلك الوقت عدد من الدكاكين والمخازن التي كانت بفضل وجود سور الكوت القوي تمكن الحي من الاكتفاء الذاتي خلال هجوم الأعداء أو في حالة حدوث ثورة السكان ضد حكامهم . ويزود قصر العبيد وقصر إبراهيم ، الذي يسميه بعض الناس قصر إبراهيم باشا ، الحي بحماية اضافية كتحصين دفاعي أخير في حالة اجتياح الكوت من قبل المهاجمين .

نقل في الوقت الحاضر عدد من الدكاكين القديمة من حي الكوت إلى أجزاء أخرى من المدينة ، رغم بقاء بعض دكاكين قليلة للبيع بالتجزئة وعدد قليل من صنّاع دلال القهوة والأدوات المعدنية . يعد الكوت الآن وبشكل رئيسي جزءا سكنياً ومسكناً لأمير الاحساء ، اذ لم يعد الكوت مسكنا مقصوراً في الغالب على الموظفين الحكوميين من ذوي الرتب العليا .

يقع قصر أمير واحة الاحساء في حي الكوت . وهو يتألف من مجموعة بنايات متصلة مع وجود ساحة واسعة جداً تقع إلى شماليه محاطة بسور حجري ذي تصميم جميل . يطلق على القصر من قبل سكان الهفوف اسم بيت الشيوخ أو بيت الأمير أو بيت ابن جلوي ، ونادراً ما يسمى قصر . وقد أضيف لمجمع القصر في زاويته الجنوبية الغربية بناية اضافية بنيت في أواسط عشرينيات القرن الميلادي الحالي . وقد بنيت أساساً كقصرٍ للضيوف الزوار من أفراد العائلة المالكة القادمين من الرياض ، وتستخدم الآن نزلاً لضيوف الأمير . يطلق عادة على هذا الجزء من القصر بيت السراي (السراج) .

شيدت مباني القصر حول فناء داخلي . يوجد في الطابق الأسفل بعض المكاتب والمخازن ومساكن حرس الأمير الشخصي «الخويا» . بينما يوجد في الطابق الثاني غرف مكاتب أكثر وكذلك مجلسيّ الأمير الرسمي والخاص . وقد خصص المبنى الشرقي مسكناً خاصاً للأمير ويضم في الطابق الأرضي غرف الخدم والعبيد وكذلك المطابخ . ويتكون القصر من ثلاثة طوابق وسطح مستقل مسور . ويقع عبر الشارع ، جنوبي القصر ، مسجد كبير إلى حد ما يسمى مسجد محمد بن علي . ويعد

المسجد الخاص بالأمير منذ عدة سنوات ويمكن الوصول إليه عبر ممر مغطي يصله من الطابق الثاني بالقصر دون حاجة لعبور الطريق مشياً على الاقدام .



احد ابراج التحصينات القديمة الموجود منها ثلاثون برجاً على طول سور الكوت تستخدم للدفاع عن المدينة



مسجد إبراهيم الموجود في وسط قصر يحمل الاسم نفسه ، أخذت الصورة من وسط فناء القصر

زود مجمع القصر بشبكة حديثة من أنابيب المياه ووسائل الكهرباء والتبريد . وقد تم تغذية القصر بالقوة الكهربائية من مولد وضع في جوار القصر . وتتولى حراسة القصر ثلة من الجيش العربي السعودي الذي يترك الزوار عندها أسلحتهم ومن ضمنها عصيّهم .[١]

(١) العصا أداة ركوب يستخدمها البدوي والفلاح الاحسائي أيضا أو أحد حرس «خويا» الشخصيات الرفيعة . ولها دلالة مهمة أيضا كدلالتها على الطبقة الاجتماعية مثل المخصرة (عصا قصيرة مكسوة بالجلد يحملها الضباط عادة في بعض الجيوش الأوربية) ، علاوة على ذلك يفضل البدو أن تكون في متناول اليد عند التأكيد على نقاط مهمة أثناء المحادثة أو لمجرد التسلية .

والمعلم الرئيسي الآخر للكوت يتركز حول البراحة ، وهي ميدان كبير ، وأرض مخيم سابق ، تقع جنوب بوابة الخيل مباشرة . قسّم جزء منها في الماضي لاستخدامه اسطبلاً لخيل الأمير السابق عبدالله بن جلوي . وبما أن الأمير الحالي لا يحتفظ بعدد كبير من الخيل كما كان والده ، فقد شيدت إضافة جديدة في البراحة عبارة عن كراج لسيارات الأمير . ويقع قصر العبيد ملاصقاً للبراحة في زاويتها الشمالية الغربية ، وهو مبنى محصن كبير مربع الشكل ناتىء باتجاه الشمال من سور الكوت . وكما يدل الاسم فهذه القلعة أو القصر استخدم فيما مضى سكناً لعبيد الامير وخدمه الآخرين ، وخاصة أولئك الموكل إليهم العناية بالخيل والأعمال الأخرى خارج سكن الأمير . واليوم ، ورغم ما يقال عن وجود عدد قليل من العبيد لا يزالون يسكنونه ، إلا أنه يستخدم بشكل رئيسي كسجن وخاصة للمحكوم عليهم لفترات طويلة . ويقع مسجد الجبري الكبير في نهاية الجهة الجنوبية للبراحة .

يقع قصر إبراهيم في الجانب الشرقي للبراحة . ولعله يعد أشهر المباني وأكثرها جمالاً في كل أنحاء شرقي شبه الجزيرة العربية . وهو ذو زوايا مربعة تطوقه مع وجود ساحة فسيحة جداً في وسطه . وتستخدم الغرف المشيدة على طول السور الداخلي ثكنات عسكرية . ويوجد في الجانب الغربي للساحة بستان صغير فيه أشجار نخيل قليلة . ويقع عند الزاوية الجنوبية الغربية للساحة مسجد إبراهيم المشهور . تستخدم قصر إبراهيم حالياً حامية الهفوف العسكرية . وتعد القبة الكبيرة والمنارة الطويلة للمسجد أعظم المظاهر الأخاذة في عمارة قصر إبراهيم ، وينظر إليها معمارياً كمميزات مستوردة ، اذ لم يسبق لأحد أن رأى شبيها لها في هذا الجزء من شبه جزيرة العرب . وقد استخدم المسجد ، ولفترة قصيرة بعد استرداد الملك عبدالعزيز للاحساء ، مستودعاً للجيش لكنه الآن أعيد استخدامه مسجداً وقد تمت صيانته وترميمه في سنة ١٩٥٢م . يشار إلى المسجد بشكل شائع في الكتب باسم مسجد إبراهيم باشا ، وينسب بناؤه إلى قائد الجيش المصري الذي قاد الجيش العثماني عندما احتل الاحساء في القرن الميلادي الماضي . ويبدو أن هناك بعض الشك في صحة هذه النسبة . فقد قيل أن أسم المسجد هو مسجد إبراهيم ، وأنه فيما بعد ، بسبب الخلط ألحقت كلمة باشا إلى الاسم . ويعتقد الريحاني أن المسجد بني في زمن الحكم العثماني الأول للاحساء .[1] وفي الوقت الراهن وحتى تظهر أدلة أكثر تدل سواء

(١) Rihani, 1928, P. 99.

أكان الاسم الصحيح هو مسجد إبراهيم أو مسجد إبراهيم باشا ، يبقى الأمر عرضة للتخمين ، وان كان سكان الاحساء يسمونه بكلتى التسميتين .

تتجلى الاضافة الحالية لحي الكوت في ادخال مزيد من الاشياء الحديثة كمركز ومحطة البرقيات التي تقع في الطابق الثاني من بوابة الكوت★ والذي يبدو أنها أدخلت كتعديل لأعمال الدفاع السابقة .(١)

افتتح ابان الحكم العثماني مستشفى عسكري وزاول مهمته في حي الكوت وكان فيه طبيب وجراح .(٢) لكنه نادراً ما عولج فيه مرضى خارجيين . استمر هذا المستشفى في العمل حتى منتصف الثلاثينيات من القرن الحالي حين نقل إلى حي الرفعة . وحدث نوع من التطور الحسن في الفترة الأخيرة وبدأ في علاج المرضى غير العسكريين بعد استرداد الملك **عبدالعـــزيز** للاحساء .

توجد المنازل الكبيرة والأجزاء غير المكتظة بالسكان بشكل عام في حي الكوت في زاويته الشمالية الغربية ويحتمل أن تكون تلك الأجزاء هي المسكن السابق للفئة العليا من الاداريين العثمانيين . ولا يزال عدد قليل من الطبقة العليا من موظفي الحكومة الحالية يعيشون هناك .

يعد حي الرفعة ، إلى حد كبير ، أكبر أحياء مدينة الهفوف . اذ يحتل حوالي نصف إجمالي مساحة الهفوف ، ويقطنه حوالي نصف إجمالي سكان المدينة . ويمتد على طول الطريق من السور الشمالي إلى السور الجنوبي . ويكون حده الشرقي سور المدينة نفسها وحده الغربي شارع السوق وشارع المفيريق . يوجد داخل حي الرفعة أهم شارعين في المدينة يستخدمان لتوجيه الحركة المرورية من بوابة الخباز وإليها ، بدءاً من نهايتي مباني السوق الرئيسية .

---

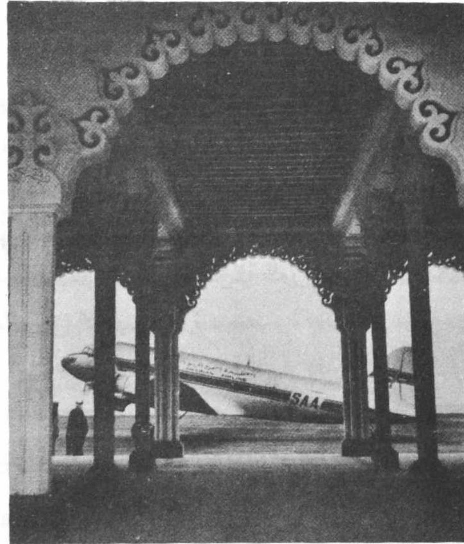
(١) ابرم عقد انشاء محطة البرق اللاسلكي في الاحساء مع شركة ماركوني في شهر أكتوبر ١٩٣٠م . انظر : Nallino, 1939, P. 49.

(★) يطلق عليها اسم بوابة العليمي . (المترجم)

(٢) Zwemer, 1900, P. 166.



مدرسة الهفوف الابتدائية والثانوية ، وهي أول مدرسة حكومية تفتتح في الاحساء في العهد السعودي تقع قرب ميدان الحميدية وقد أخذت الصورة وقت إنصراف التلاميذ .



طائرة الخطوط السعودية دي . سي ٣
جاثمة في مطار الهفوف

تقع أعظم المباني حجماً في حي الرفعة في منطقة السوق . ففي النهاية الشمالية توجد مباني حكومية قليلة من ضمنها المبنى الجديد والكبير لادارة المالية . توجد جنوبي هذه المباني محلات قليلة لصناع دلال القهوة محتلة الزاوية التي يشار إليها بشكل شائع باسم سوق الصفافير ، والمستشفى الحكومي . شيد مبنى المستشفى الحكومي في أوائل عشرينيات القرن العشرين من قبل عائلة القصيبي التجارية لاستخدامه مكتب مركزي لأعمالهم .[١] إلا انهم أهدوه أخيراً للحكومة لاستخدامه كمستشفى . صمم المبنى حول فناء ، ويتكون من ثلاثة طوابق مع وجود جزء من طابق رابع . ضم الطابق الأرضي عيادات الأطباء وغرفة المدير ومخزنين وصيدلية . وجاءت أجنحة المرضى في الطوابق العلوية .

وتقع جنوب المستشفى مباني السوق التي تضم دكاكين دائمة ويطلق عليها اسم القيصيرية . وجنوب هذه المباني يقع مبنى الحميدية ، الذي استخدم ابان الحكم العثماني داراً للبلدية ، واستخدم أخيراً وبشكل رئيسي مستودعاً حكومياً ، ويستخدم الآن مقراً رئيسياً للشرطة . ويقع بجوار مبنى الحميدية من جهة الشرق والشمال سوق التمور القديم وقد نقل الآن إلى جوار بوابة الخباز . وتقع جنوبي مبنى الحميدية عدة دكاكين تبيع الدهون . ويركز معظم حاكة المدينة أعمالهم في حي الرفعة لا سيما في فريق الشمالي وجنوب ميدان الحميدية . ويقع مسجد الجمعة الخاص بالشيعة على بعد حوالي مائة وخمسين ياردة شرقي الحميدية .

روى زويمر وفيلبي أن أجمل المنازل المشيدة خارج حي الكوت توجد في حي الرفعة ، وأن حي النعاثل يعد حي الفقراء - إذا كان ذلك صحيحاً في زمن زويمر وفيلبي فان الوضع قد تغير بشكل كبير منذ ذلك الوقت . فبقدر ما وصل إليه فن العمارة في المنطقة اليوم لم يعد هناك فرق واضح بين منازل الرفعة والنعاثل ، ولا وجود لمجموعات اجتماعية مختلفة تسكن في أحياء مختلفة . فمثلاً ، عائلات بارزة ، مثل الشيخ صالح اسلام (وهو ليس احسائياً) وعائلة النافع التجارية يقطنون حي الرفعة ، بينما عائلات بارزة مساوية مثل القصيبي والملحم يسكنون النعاثل .

---

(١) Cheesman, 1926, Plate 15.

تظهر الاختلافات بين هذين الحيين فقط بعد الفة طويلة للمنطقة ، وكون نلك أمراً شائعاً أكثر من اختلافات واضحة المعالم . تميل بعض أجزاء حي الرفعة إلى الازدحام أكثر مما هو موجود في النعاثل ، ويميل الشيعة إلى تفضيل حي الرفعة لغرض السكن والعمل . وتكثر نسبياً المنازل الكبيرة كثيرة الزخرفة في حي النعـائل أكثر مما هو موجود في الرفعة .[1]

والحي الثالث من أحياء مدينة الهفوف هو حي النعاثل ، ويعد نسبياً أصغر من حي الكوت . ويحتل المنطقة الجنوبية الغربية من المدينة . ومن المباني التي تستحق الاشارة من بين مباني حي النعاثل مبنى مسجدان في الحي الشمالي ، أحدهما هو مسجد الامام فيصل ، الذي يعد أكبر مسجد في شرق شبه الجزيرة العربية ، وربما كان حقا واحداً من أكبر المساجد في المملكة . ويعد هذا المسجد الآن أهم المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة . وقبل بناء مسجد الامام فيصل كان الجامع الذي تؤدي فيه صلاة الجمعة هو مسجد النعيم (الذي يسمى أيضا مسجد الشطيب) . ويقع قرب مسجد الامام فيصل من جهته الشمالية الشرقية . ومن المهم أن نشير إلى أنه على الأقل في واحد من مساجد حي النعاثل تقدم دروساً ومواعظ للنساء بعد الظهر يومياً . وقد دعمت أسرة العجاجي بناء مسجد آخر قرب الحدود الجنوبية للحي والذي سمي مسجد العجاجي .

يوجد بجانب بعض أكثر مساكن الهفوف أناقة مثل بيوت العجاجي والقصيبي والمهنا ، مخازن خاصة بهم وهي أحيانا فسيحة جداً . ويمتاز حي النعاثل أنه أكثر أحياء المدينة من حيث كثرة المباني العامة الموجودة فيه . ويعد أعظم تلك المباني أهمية سوق اللحم «سوق المقصب» ومبنى البلدية ، ومبنى المدرسة . تكوّن تلك المباني مجموعة تقع على الحافة الغربية لميدان الحميدية ، بين الحد الشمالي لحي النعاثل والزاوية الجنوبية الشرقية لحي الكوت . وتقع المدرسة جنوبي مبنى البلدية ، بينما يقع سوق اللحم شرقي البلدية . وتقع على محاذاة الحائط الجنوبي لسوق اللحم ، أكشاك قليلة للحدادين . توجد معظم محلات صاغة الذهب والفضة في حي النعاثل .

---

(١) لم يكن بمقدرونا أن نثبت رواية لوريمر بأن أحفاد ما يقارب خمسين أسرة من الجعفر من شمر يسكنون في حي الرفعة انظر : Lorimer, 1908, P. 746.

والجدير بالذكر أن إنشاء ضاحية الصالحية قد بدأ قرب نهاية القرن التاسع عشر خاصة من قبل المسؤولين العثمانيين وأفراد من القوة الحربية العثمانية الذين لم يجدوا لهم سكناً في حي الكوت المزدحم .★ وتتميز الصالحية بافتقادها لسور دفاعي وبتخطيط قطع أراضيها المستطيلة بشكل مطرد ، وبشوارعها الفسيحة . يعد قصر برزان التحصين الوحيد في الصالحية والذي يضم الآن مفرزة للشرطة . ويعد أكثر مساجدها أهمية مسجد آل مبارك .

قامت في الوقت الحاضر ضاحية أخرى للهفوف مكونة من أجزاء كبيرة . هذه الضاحية هي الرقيقة التي كانت فيما سبق مضارب للبدو . تقع الرقيقة خارج الزاوية الجنوبية الغربية لسور الهفوف مباشرة . وتعتبر ضاحية اعتيادية ، وربما كان بدء التشييد فيها لا يتعدى أكثر من خمسة عشر سنة مضت رغم وجود أكواخ متناثرة تعود إلى وقت أقدم من ذلك .(١) أما حدودها الشمالية والشرقية فهي الأرض المستوية الواقعة حول قصر خزام والطريق الممتد من بوابة القرن إلى المطار على التوالي . أما حدودها الجنوبية الغربية فانها غير معينة . ويبدو واضحا أن هذه الضاحية نمت تقريبا وفقاً لأسلوب المركز المتحد ، بدءاً من النقطة القريبة لبئر الماء . والمرء الذي يقترب من الرقيقة من جهة الجنوب أو الغرب يواجه أولاً بصفوف من الخيام المنصوبة على الحافتين للمساحة المسكونة . واذا استمر في الاتجاه الوسط يرى المرء سلسلة من مساكن مشيدة أسوارها من الطين أو المواد الصلبة تحيط بساحة يقوم فيها عدد مختلف من العشش والأكواخ . ونجد في معظم أجزاء القسم الأوسط للتجمع السكاني أن هذه الأكواخ قد استبدلت بمنازل دائمة من الطين أو مواد البناء المعتادة في الواحة . ويبدو أن العائلات البدوية تنصب في البداية سكنا شبه دائم عبارة عن خيمة داخل حدود الضاحية بينما يحاول خلالها واحد أو أكثر من أفراد

---

(١) Saldier, 1823, P. 465.

(★) اختطت أسرة آل مبارك الصالحية سنة ١٣٢٤هـ . وأول من عمرها من أعضاء الأسرة هم المشائخ إبراهيم ورأشد أبناء الشيخ عبداللطيف بن مبارك . ويؤكد الشيخ يوسف بن راشد أن أول بيت شيد في الصالحية هو المنزل الذي يقيم فيه حالياً . وأن تسمية الحي الجديد باسم الصالحية كل على اسم صالحية الشام موطن العلماء بالشام ، وأنه ليس هناك أي علاقة لها برغبة المسؤولين العثمانيين في السكن بها . ويضيف الشيخ يوسف أن أسرته حصلت على موافقة السلطان عبدالحميد على سكناها . وكانت رغبة آل مبارك تميل إلى الابتعاد قليلاً عن سور المدينة القديم وقد تم لها ذلك . وقد اصبحت الآن الصالحية ضمن نطاق مدينة الهفوف القديم . (المترجم)

الأسرة العثور على عمل في الهفوف أو في واحدة من منشآت النفط بين العثمانية وبقيق . واذا ما تحقق ذلك أو لأي أسباب أخرى جعلت الأسرة تقرر أن المناخ الاقتصادي يبرر بقاء أبنائها هناك أو أنهم راغبون في تغيير نمط حياتهم من البداوة إلى الاستيطان ، فأن أول ما تقوم به الأسرة البدوية ، كقاعدة متبعة ، هو أقامة سور حول بقعة من الأرض تنصب خيامها داخلها ، وفي الوقت نفسه أو ربما بعد ذلك بقليل تقوم ببناء عشة أو عشتين . ثم يضاف أخيراً مبنى من الطين . ان هذا هو النمط العام لاستيطان البدو في شرقي شبه الجزيرة العربية .

تنتشر هنا وهناك في منطقة الرقيقة بساتين نخل قليلة وبعض حقول الخضروات . وبين تلك الأراضي المزروعة ترتفع مجموعة من المنازل التي تشير بنمو البناء في مختلف الاتجاهات . وهكذا فلو استمر هذا الاتجاه ، وازداد نمو سكان الرقيقة كما حدث وخاصة خلال الأربع أو الخمس سنوات الماضية ، فمن الممكن التنبوء بأنه في المستقبل القريب ستشكل ضاحية الرقيقة ككل سلسلة متصلة ، ومن المحتمل أن يصل نموها إلى الحافة الجنوبية الغربية لحدود مدينة الهفوف . لم يكتمل بناء مسجد العتبان ، مسجد الجمعة في الرقيقة ، رغم أنه يستخدم منذ فترة وقد خطط له أن يكتمل قريبا ، علما بأن هناك خططاً تحت التنفيذ لتشييد مسجد آخر لخدمة مجتمع الرقيقة . يوجد في الأرض المستوية المحيطة بقصر خزام مجموعة من مخازن جديدة بنيت منذ سنة ١٩٥١م ، وقد بنى كبير أسرة العجاجي التجارية (إبراهيم) بيتاً هناك وأقام فيه منذ تلك السنة نفسها .

يزعم بعض السكان أن مدينة الهفوف تتألف فقط من الأحياء الثلاثة التي وصفت في بداية الحديث عن أحياء المدينة ، وأنه لا يمكن اعتبار الصالحية أو الرقيقة خاصة أجزاء من مدينة الهفوف . ورغم أن هذا القول يمكن أن يجد بعض السند لا سيما من وجهة النظر التاريخية ، إلا أننا نعتقد أن المسألة تبقى أساساً قضية نظرية . فمن حيث الأغراض والأهداف تعد كل من الصالحية والرقيقة إدارياً وجغرافياً وكذلك مشاعر سكانهما ، جزء غير مستقل عن مدينة الهفوف بل ضاحيتين من ضواحي المدينة .

وعلاوة على ذلك هناك معالم أخرى خارج أسوار المدينة تستحق الاشارة .

ففي الغرب والشمال والجنوب من المدينة ، توجد بساتين نخيل قليلة يملكها أشخاص أثرياء تستخدم للراحة والاستجمام أكثر من جدواها الاقتصادية . ومن بين تلك البساتين بستان الكبينية والبحيرية ، وبنوع متميز بستان سمحة . وكان البستان الأخير يدار لوقت طويل من قبل أسرة النافع التجارية . ويستخدم القصر الكبير الموجود في بستان سمحة كقصر اضافي لضيوف الحكومة في حال اكتظاظ بيت السراي بنزلائه . وقد عين حسين البدوي حديثاً مديراً للبستان والقصر . وقد أمر بهدم القصر القديم وبناء قصر جديد سوف يزود بأنابيب مياه حديثة ووسائل تبريد . والمدير الجديد خبير زراعي مصري ، وقد بدأ بالفعل في إعادة تنظيم الحديقة والتي كانت من قبل في حالة سيئة . * وقد كان لقصر سمحة القديم سلم خارجي كان عبارة عن درج مقنطر متعرج الدوائر ، ويعد واحداً من أكثر التصاميم المعمارية إثارة وفخامة في شرق شبه الجزيرة العربية .

تقع مقابر المدينة قرب الزاوية الشمالية الغربية للسور (المقبرة الجديدة ومقبرة العثمانيين القديمة) ، وجنوبي وجنوب شرقي ضاحية الصالحية (مقبرة الصالحية وجنوبي الرفعة) وشرقي المدينة (مقبرة الشيعة) .

وتستخدم الأرض الواقعة خارج سور المدينة قرب بوابة الخميس أماكن لأسواق متخصصة وتوجد حول المدينة مجموعة من محطات وقود السيارات أقيمت في السنوات القلائل الماضية . وتقع معظم تلك المحطات شمال بوابة الخميس وشرقي ضاحية الصالحية . وتعمل واحدة من تلك المحطات الآن غربي بوابة البدع . يتوفر في معظم المحطات حفر لتغيير الزيوت وتشحيم السيارات ، وفي بعضها أماكن للاصلاحات البسيطة .

شهدت الأيام الأخيرة حركة عمران نشطة ، فقد أنشئت مبان كبيرة أمام بوابة الخميس . ويوجد الآن حول الميدان شمالي البوابة مساكن خاصة قليلة ، ومبنى فندق الهفوف الأهلي ومقهيين ومصنع للثلج . ويعد الفندق الأهلي ، والذي يتخذ كمحطة أتوبيس ، مبنى كبيراً يتكون من طابقين وسطح مسور . ومن المواقع التي تستحق

(*) هذه المعلومات اضافة من رسالة الدكتوراه . (المترجم)

الاشارة في ضواحي الهفوف محطة الوقود الحكومية التي تزود سيارات الحكومة المغادرة إلى الرياض بالوقود والزيوت ، وتقع في ضاحية الرقيقة . ويقع المطار جنوبي المدينة . كما توجد محطة سكة حديد الحكومة العربية السعودية .

يصعب تقدير عدد السكان من الطائفتين السنية والشيعية ، وأيهما يشكل الأغلبية في مدينة الهفوف . اذ يعطي الرواة السنة الأغلبية الساحقة لعدد السكان للسنة ، بينما يعتبر الشيعة أن عددهم مساو للسنة . وفي رأينا أن أغلبية سكان الهفوف هم السنة ولكنها بالتأكيد ليست أغلبية ساحقة ، اذ قد يشكل السنة نسبة تبلغ حوالي ٦٠٪ وهذه الاغلبية السنية تشهد حاليا زيادة كبيرة وستزداد أكثر كلما استوطن مزيد من البدو ضاحية الرقيقة .

يعيش عدد كبير من الناس من الطائفتين في مدينة الهفوف ، ويعملون بشكل أساسي في مجال الصناعة والتجارة . وقد جعلت الظروف من مدينة الهفوف التي كانت لوقت طويل مركزاً إدارياً مهماً ، وربما كان للعوامل التاريخية أيضا دوراً لاعطاء المدينة درجة كبيرة من التحرر من الأحقاد المحلية . ولعل الصحيح أن هذه الاسباب مجتمعة جعلت الهفوف أكبر مدينة في شبه الجزيرة العربية حيث يعيش السنة والشيعة سوية . ولعل الاستثناء الوحيد يكمن في تركز كثافة كبرى من الشيعة في فريق الشمالي في حي الرفعة ، وما عداه فليس هناك فصل بني الطائفتين القاطنتين في المدينة القديمة . وتظهر الاختلافات الدينية في الحياة اليومية بشكل أساسي في تقسيم نوع العمل (فمعظم التجار من السنة ، ومعظم الحرفيين من الشيعة) ، وفي التعليم ، فرغم أن بإمكان أطفال الشيعة الالتحاق بالمدارس الحكومية ، وقد تم ذلك ، إلا أن أولياء أمورهم يفضلون ارسالهم لتلقي نوع أقل من التعليم الرسمي في واحدة من المدارس غير الرسمية والتي يديرها رجال الدين الشيعة في الحسينيات . وتقع أعظم تلك المدارس أهمية في حسينية أبو خمسين في حي الرفعة . وكانت تعيش في منتصف عشرينيات القرن الميلادي الحالي أسر يهودية قليلة في الهفوف لكن لا يوجد أي يهودي يعيش الآن في الاحساء .★

(★) جاء بعض التجار اليهود إلى الاحساء من البحرين مع مجيء العثمانيين لكنهم جلوا من الاحساء اثر استرداد الملك عبدالعزيز لها سنة ١٩١٣م وكان آخرهم حسب ما يروى تاجر رحل إلى البحرين . (المترجم)

إن رئيس الادارة في الهفوف وكذلك الاحساء بأكملها (والتي كانت حتى شهر فبراير ١٩٥٣ تسمى مقاطعة الاحساء) هو الأمير ، اللقب الذي منح منذ سنة ١٩١٣م لأسرة آل جلوي من آل سعود (انظر رسم شجرة الاسرة) وكان أفرادها مساندون بحماس للملك عبدالعــــزيز . وقد شارك عبدالله بن جلوي في فتح الرياض سنة ١٩٠٢م وقد تمكن من قتل حاكم الرياض أثناء مباغتته في قلعته . وقد أصبح عبدالله بن جلوي أول أمير للاحساء منذ استرداد الملك عبدالعــــزيز لها سنة ١٩١٣م ، وخلفه أبنه سعود في سنة ١٩٣٨م .[١] وقد أنتقل مقر إقامة سعود بن جلوي من الهفوف إلى مدينة الدمام على ساحل الخليج العربي سنة ١٩٥٣م ، وعندها نقل شقيقه الأمير عبدالمحسن ، والذي كان حتى ذلك التاريخ أميراً لمنطقة الدمام ، إلى إمارة الاحساء وأصبح أميراً لها ومسؤولاً عن تصريف شؤونها الادارية .

تخضع إدارة الشرطة والبلدية للاشراف المباشر وتحت المسؤولية الشاملة للأمير وإداراته . وكانت رسوم الجمارك في الاحساء يعهد بها حتى منتصف عشرينيات القرن الميلادي الحالي إلى متعهدين يحصلون على حق الجباية ويعملون كمحصلين . أما الآن فيتم تقدير الرسوم وجمعها من قبل الموظفين الحكوميين مباشرة . تقع مكاتب محصلي الرسوم في البوابات الرئيسية للمنافذ المؤدية إلى الهفوف ، ويجبون رسوم البيع للبلدية على السلع الداخلة إلى السوق ، كما تكون من مهمتهم أيضا جباية رسوم الايجار السنوية من الاشخاص الذين يبنون أكشاكاً للبيع ، ومن الأشخاص الذين يعرضون سلعهم بصفة دائمة في منطقة السوق . ويطلق على رسوم البيع والايجار هذه اسم «ارضية» . وفي حالة الحرب كان الشيعة★ يدفعون رسوم اعفاء سنوية من الخدمة العسكرية .[٢]

وبعد استرداد الملك عبدالعــــزيز للاحساء تخلف بعض المسؤولين العثمانيين

(★) اتبع هذا النظام أثناء الحكم العثماني . انظر عبدالفتاح حسن أبو علية ، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز ، ص ٤٢ . (المترجم)

(١) حول امارة آل جلوي في الاحساء طالع ما جاء في كتاب هاريسون (١٩٢٤) ص ١٣٤ وما بعدها ، كما أن هناك معلومات أخرى حول آل جلوي موجودة في كتاب فيلبي (١٩٢٣) وكتاب شيزمان (١٩٢٦) وكتاب دي غوريه (١٩٤٦) .

(٢) حافظ وهبة (١٩٣٥) ص ١٥٩ ، وأنظر أيضا : Nallino, 1939, P. 103, ft. 1.

في الهفوف . واستمروا هم أو أبناؤهم أو أحفادهم يعملون في الادارة في ظل الحكم الجديد . ومن هؤلاء العثمانيين المدربان محمد أفندي وخليل أفندي اللذان يبدو حسب روايات فيلبي والريحاني وآخرين أنهما كانا مستخدمين إداريين في المنطقة .

وعلاوة على إدارة الشرطة ، يساعد الأمير في أداء مهماته مكتب للبلدية وهو عبارة عن إدارة استحدثت في خلال الجزء المبكر من ثلاثينات القرن العشرين★ . وتكون عادة مسؤولياتها في المقام الأول ، مراقبة النظافة والصحة العامة في المدينة مثل تنظيف الشوارع ورشها بالماء وإزالة الحيوانات الميتة والتخطيط والتوجيه والاشراف على توسعة الشوارع وتثمين قيمة المنازل التي يقرر إزالتها والتخطيط لمباني المدينة الرسمية . ومنذ سنة ١٩٥١م عهد لها بانارة الشوارع . يدير البلدية حالياً خليفة الملحم . وقد نظمت على أساس أن عمد الاحياء يكونون مندوبين لمراقبة أعمال البلدية في الأحياء المختلفة من المدينة . وفي وقت كتابة هذا الكتاب ، كان عمد الهفوف كالتالي :

في الرقيقة : حمد بن شقحة
في الرفعة : ابن جعفر
في النعاثل : عبدالرحمن بن عيسى
في الكوت : سليمان النصيف
في الصالحية : ابن ماجد (كمناوب لابن جعفر باعتبار الصالحية مخططاً خارجياً) .

يجتمع عمد هذه المحلات في مبنى البلدية بشكل معتاد ، غالبا في كل يوم ، لتقديم التقارير واستلام التعليمات ولتبادل وجهات النظر حول مهمتهم . ليس هناك منصب إداري رسمي أقل من مستوى عمدة الحي . ولكن يوجد لكل حي متحدث واحد باسمه على الاقل ، لا يعين المتحدث رسمياً ، لكن المنصب رسخ وفقاً للتقاليد ، وعادة ما يورث . يكون هؤلاء المتحدثون من أفراد الأسر البارزة في أحيائهم الخاصة . يقدمون تصوراتهم إلى عمد الاحياء ويبلغون تعليماته إلى عامة سكان الحي

★ تعد بلدية الاحساء من أقدم البلديات في الجزيرة العربية اذ انشئت أثناء فترة الحكم العثماني الثاني للمنطقة . انظر كتابنا : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية . (المترجم) .

وكل هذا يتم تنفيذه بصورة غير رسمية تماما . وليس لضاحية الرقيقة متحدث باسم الحي لكونه يمثل مجموعة القبائل المستوطنة هناك .

يرأس مديرية التعليم في الاحساء وكل المنطقة الشرقية الشيخ عبدالعزيز ابن منصور التركي . وتشرف المديرية ، بالاضافة إلى المدارس الثمان في القرى ، على المدارس الابتدائية الكبرى في الهفوف والمبرز[1] والمدرسة الثانوية في الهفوف ، وست مدارس ليلية ، أثنتان في المبرز . ويبلغ عدد بقية المدارس الواقعة خارج واحة الاحساء أثنتين وعشرين مدرسة . وقد بلغ عدد الطلبة الملتحقين بالمدارس الابتدائية في الهفوف والمبرز في سنة ١٩٥٢م عدداً يقارب ستمائة تلميذاً ، وعدد الطلاب المسجلين في المدرسة الثانوية في الهفوف حوالي أربعين تلميذاً . تتكون هيئة التدريس من مجموعة من السعوديين والمصريين وقلة من الفلسطينين . يتعرض وضع التعليم في الاحساء عامة إلى نمو سريع جداً . وقد أثمرت الجهود الرسمية لتوسيع قاعدة التعليم ونشره بين السكان وبان أثرها في كثرة عدد الملتحقين بالمدارس .

يساعد أمير الاحساء في أداء مهماته الادارية هيئة إدارية يراسها حالياً الشيخ زكوان أدهم وتضم موظفين وكتبة . يستعين الأمير أيضا بمجلس استشاري غير رسمي يتألف من عدد غير قليل من الشخصيات الاحسائية البارزة الذين يرتادون مجلس الأمير بصفة دائمة ، ويمكن للأمير أن يناقش معهم الامور السياسية والادارية . ومن المهم أن يلاحظ التغير الحاصل في تكوين المجلس الاستشاري منذ استرداد الاحساء من قبل الأسرة الحاكمة الحالية . اذ يبدو أن الأمير عبدالله بن جلوي قد وجه قدراته الدبلوماسية تجاه ضبط البدو الذين لا يزالون صعبي المراس والانضباط والعمل على كبح جماحهم واخضاعهم للسلطة . ولذا كان معظم أعضاء مجلسه الاستشاري من كبار رجال القبائل البدوية . ولكن منذ أواخر سنوات حكم عبدالله بن جلوي ثم بصفة خاصة منذ تولى ابنه سعود بن جلوي الامارة بدأت شخصيات من الأسر التجارية البارزة تبرز أكثر فأكثر ، لتصبح بمثابة مستشارين سياسيين ، فخلال السنوات الخمس أو الست الماضية أصبح آل القصيبي وآل

(١) واحدة في النعاثل ، وواحدة في الكوت ، وواحدة في الرقيقة .

فرع آل جلوي من آل سعود

تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود
«أمير الدولة السعودية خلال الفترة ١٨٢١م - ١٨٣٤م»

○	أمير حائل
★	أمير القصيم
□	أمير المنطقة الشرقية
■	أمير الاحساء
✚	أكبر أبناؤه قتله العجمان
△	أصغر أبناؤه

- عبدالله
  - تركي + سارة
    - خالد
    - محمد
      - فهد
    - مشاري
- بنت المطروي «أم عبدالله» + جلوي
  - منصور
  - سعد
  - مساعد
    - أحمد
    - عبدالعزيز
      - مساعد
      - عبدالله
    - عبدالله
  - فهد
  - عبدالله + منيرة بنت ناصر آل سعود
    - تركي △
    - سعود □
      - عبدالعزيز
        - عبدالله
    - محمد
      - عبدالعزيز
    - محمد
      - خالد
      - عبدالله
    - عبدالعزيز
    - منصور
    - عبدالمحسن ■
    - سعد
    - فهد ✚
      - خالد
      - محمد
      - فيصل
    - مشاري
    - ○ (♀)
      - جوهرة
    - جوهرة
  - محمد
  - عبدالمحسن
    - جلوي
      - سعود
  - عبدالعزيز
    - سعود
  - سعود
    - مشاري +
      - محمد
      - فهد
        - خالد
        - فيصل
        - محمد
      - جلوي
- فيصل
  أمير الدولة السعودية
  خلال الفترة ١٨٣٤م - ١٨٣٧م - ١٨٤٢م - ١٨٦٧م
  - عبدالرحمن
    «أمير الدولة السعودية»
    «خلال جزء من عام ١٨٩٠م»
    - الملك عبدالعزيز
      «ملك المملكة العربية السعودية»
      «خلال الفترة ١٩٠٢ - ١٩٥٣م»

جوهرة + فيصل
- سعد
- خالد

العجاجي وتجار آخرون مستشاريين مألوفين للأمير .[1] ويبدو في رأينا أن سبب هذا التغيير يعود للتغير المتوقع في الاوضاع التاريخية والاقتصادية والتطورات السياسية للبلاد . فالتطورات الصناعية الحالية والتطور التجاري في المنطقة الشرقية التي ينبغي على آل جلوي مراقبتها والاشراف عليها ، جعلت من الضروري أن يعتمدوا إلى أقصى حد ممكن على نصيحة الشخص الخبير ما أمكن . وكان منطقياً أن تكون الأسر التجارية البارزة فقط في المنطقة المؤهلة أن تدعى لتقديم هذه النصيحة ، وخاصة آل القصيبي الذين كانوا بالفعل وكلاء للملك الراحل عبدالعـــزيز في البحرين خلال بداية عشرينيات القرن الميلادي الحالي ، والذين كانوا لهم علاقات حميمة وصلات عمل وخبرات في مناطق الشرق الأوسط والهند وكذلك شرق أفريقيا . ومن ناحية أخرى ، اكتشف دارسو التاريخ طبيعة ذلك الاسلوب ، فعندما يتحول المجتمع من نظام لا مركزي أو إقطاعي زراعي إلى مجتمع تحكمه سلطة مركزية قوية ، تحل الارستوقراطية الحاكمة فيه بدلاً من الارستوقراطية الاقطاعية . ووفقاً لهذا فان رؤساء القبائل البدوية يتحولون بشكل بطيء من زعماء قبائل إلى رجال الخاصة الملكية . وبعد أن كان لهم نفوذ وهيبة ملازمة لهم لانهم كانوا مستقلين فقد اصبحوا ضمن الخاصة وأصحاب معونات نقدية ووظائف رسمية الخ .. ، مما يتيح للعائلة الحاكمة التمكن من سيطرة مثلى على نشاطاتهم . ونتيجة لهذه الأسباب فقد نزح عدد من زعماء القبائل البدوية من الاحساء إلى منطقة الرياض .

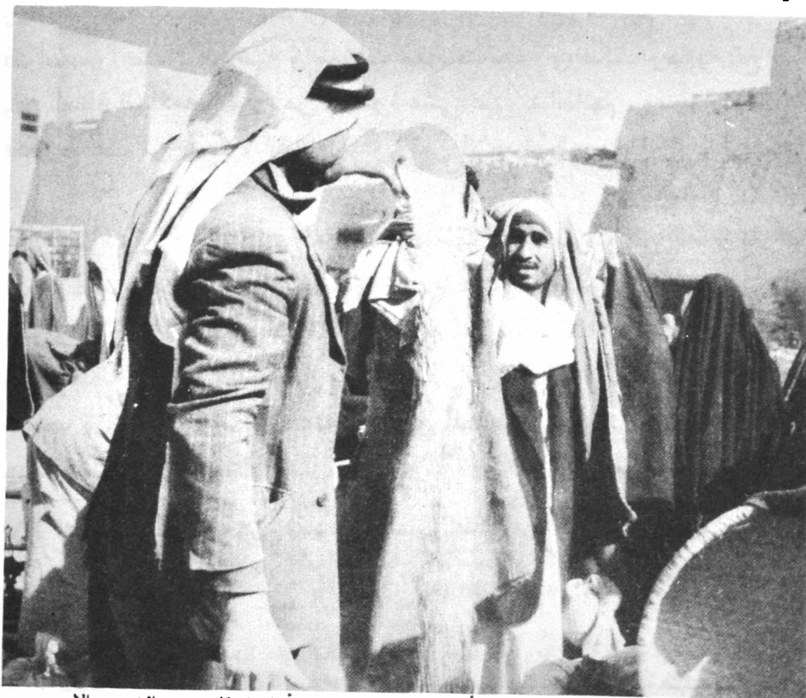
سيؤدي النقل الحديث لعاصمة المنطقة من الهفوف إلى الدمام بالتأكيد إلى حدوث بعض التأثير على إدارة شؤون الواحة . ففي الماضي كانت شؤون المنطقة وشؤون الاقليم الشرقي مركزة في الهفوف ، ومنذ أن كان الأمير في الوقت نفسه يمثل السلطة المحلية والاقليمية .[2] ولذا فان دراسة الادارة المحلية ستكون إلى حد ما محيرة . اذ يبدو أن نشاطات الأميرين عبدالله بن جلوي وابنه سعود وأعمالهما حينما كانا مقيمين في الهفوف كانت مركزة بشكل أكثر على مستوى التعامل مع

(١) أثناء اعداد هذا الكتاب كان وجهاء أسرة القصيبي خمسة أخوان هم : حسن ، عبدالرحمن ، عبدالعزيز ، عبدالله وسعد . توجد بعض المعلومات عن أسرة القصيبي في الكتب التالية :
Cheesman. 1926 and in De Gaury, 1946, PP. 33 ff.

(٢) هذا صحيح وينطبق أيضا على النظام الذي كان مطبقاً في زمن العثمانيين حين كانت كل من السلطتين العسكرية والمدنية المحلية والاقليمية أيضا منوطة بالمتصرف . وكانت الهفوف عندئذ مقر لادارة النواحي .

الأمور الادارية للمنطقة ككل ، وأن إهتمام مستشاريهما وبطانتهما تجاوزت أيضا المستوى المحلي . وبانتقال ديوان الامارة إلى الدمام الآن ، فان تجار الهفوف رغم احتفاظهم بمقر اقامتهم في الهفوف إلا أنهم نقلوا جزءاً كبيراً من أعمالهم إلى العاصمة الجديدة ، مما نتج عنه متابعة واتصال أقل بسمات الحكم المحلي البحتة . واذا استمر الوضع الادارة الحالي لبعض الوقت فانه يتوقع أن تنقل قريباً كل المهام الادارية للمنطقة إلى الدمام . وسيكون حينها من السهل دراسة المهام المحلية وإدارة الواحة دون السماح بالتداخل مع شؤون المنطقة .

إن منطقة السوق ليست مجرد مكان جغرافي ، لكنها أيضا مركز نشاط اقتصادي واجتماعي في الهفوف . يوجد نوعان من المؤسسات التجارية في الهفوف : نوع دائم ونوع مؤقت . تتركز الدكاكين الدائمة على جانبي الشارع الرئيسي من بوابة الخميس إلى سوق المقصب (سوق اللحم) . ويعرف المجمع الرئيسي للدكاكين الدائمة بالقيصرية ، المكونة من شبكة معقدة من ممرات مقنطرة



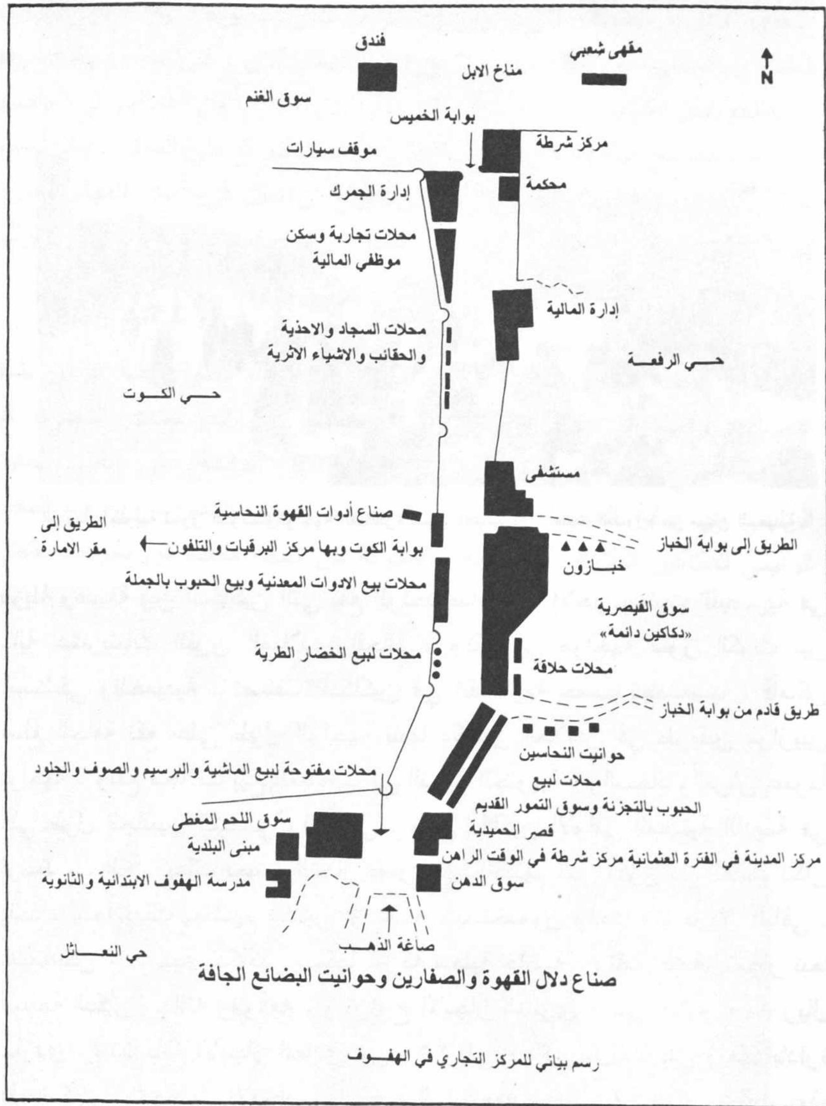
تاجر يعرض بضاعته من الشعير خارج أسوار مدينة الهفوف ، أثناء انعقاد سوق الخميس الاسبوعي .



الزاوية الجنوبية لسور الكوت والواجهة المقنطرة لسوق القيصرية . أخذت الصورة من ميدان الحميدية .

طويلة وضيقة بين الدكاكين التي يقع الواحد منه جنب الآخر . بنيت القيصرية في بداية عشرينيات القرن الميلادي الحالي ، وتقع في مواجهة سور الكوت بين المستشفى والحميدية . تصنف الدكاكين في القيصرية حسب تخصصها ، فأماكن السلع الجافة تقع على طول الواجهة تليها دكاكين الملابس في طريقين موازيين للواجهة . وتقع محلات بيع العباءات في النهاية الجنوبية ، والسجاد والفرش عموماً على طول الجانبين الشمالي والشرقي . وتقع دكاكين الأواني المعدنية القديمة في الوسط ... ألخ . يملك بعض التجار بمفردهم دكاكينهم التي تكون في الغالب دكان واحد . بينما يملك بعضهم دكانين أو ثلاثة ، يستخدمون واحداً ويؤجرون الباقي . ومهما يكن ، فاغلبية الدكاكين تملكها شركة محلية خاصة . وتقدر قيمة الايجار تبعاً لمساحة الدكان وحالته وموقعه . ويتراوح الايجار السنوي ما بين ٦٠ و ٨٠٠ ريال سعودي . بينما يبلغ الايجار العادي بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ ريال سنوياً . ويعهد بادارة هذه الدكاكين وتحصيل الايجار ... الخ ، إلى متعهد سبق له في الماضي القيام بهذه الوظيفة لمدة سنتين أو ثلاثة سنوات .

لا يعرف بالضبط تاريخ تجديد بناء القيصرية ولا تسوية شارع الهفوف



رسم بياني للمركز التجاري في الهفــوف

الرئيسي أو ردم الخندق المحاذي لسور الكوت الشرقي ، إلا أنه من المؤكد أنها تمت في الفترة ما بين ١٩١٧ - ١٩٢٣م . فعندما أخذ فيلبي صورة لسوق الخميس سنة ١٩١٧م كانت القيصرية حينها لم تجدد أو يعدل بناؤها بعد ، لكن المبنى الجديد تم

الفراغ منه في سنة ١٩٢٣م عندما صوّره شيزمان .[١] وقد حافظت القيصرية على واجهتها المتمثلة في صفوف من أقواس ترتكز على أعمدة تم بناؤها خلال فترة الحكم العثماني .

توجد بجانب القيصرية أماكن ثابتة للتسوق في مدينة الهوف منها : سوق اللحم وسوق الدهن جنوبي مبنى الحميدية وسوق الأبواب والنوافذ الجاهزة شمال مبنى المستشفى وبقالات تقع على طول شارع المفيريق وسوق التمور والذي كان سابقاً بجوار مبنى الحميدية ثم نقل إلى مبنى جديد يجاور بوابة الخباز ، بقالات ومخابز تقع على الشارع المؤدي إلى بوابة الخباز ، ومحلات تجار الجملة ، وكذلك محلات بيع الأدوات المعدنية الواقعة على جانب سور الكوت في شارع السوق جنوبي بوابة الكوت . وتوجد مجموعة من الدكاكين التي رغم تشييدها من قوائم خشبية وحصر ، إلا أنها تبدو وقد اكتسبت صفة الديمومة ، تقع هذه الدكاكين شمالي بوابة الكوت مواجهة مبنى المستشفى . ويعد هذا مركز الهفوف للسلع التقليدية حيث يباع السجاد ، دلال القهوة ، أنواع الهاون ، صناديق الكويت ، سرج الابل والخيام المستعملة .... الخ .

تفتح محلات الأسواق الدائمة غالبا أبوابها لمدة ثلاث ساعات في الصباح قبل صلاة الظهر . وتظل مغلقة خلال فترة الصلاة ولا تعاود العمل إلا بعد صلاة العصر وحتى وقت الغروب . وتزداد ساعات العمل في فصل الشتاء إلى حد ما وإن بقي توزيع ساعات العمل خلال اليوم كما هو .

ينشغل بعض التجار أثناء ساعات العمل باجراء مزاد علني على عدد قليل من سلعهم وذلك بارسالها مع واحد من موظيفهم للتجوال في أنحاء السوق ، حاملاً السلعة وينادي معلناً بصوت مرتفع آخر سعر عرض لها . تقع جنوب بائعي الأدوات المعدنية والخردوات أكشاك قليلة تفتح غالبا في فترة ما بعد العصر فقط وتبيع الخضروات الطرية .

---

(١) Philby, 1923, Vol. I, Photograph Opposite P. 26, Cheesman. 1926, Plate XVI.

أما المحلات المؤقتة فانها تقام خلال سوق يوم الخميس الاسبوعي . ويبدو أن معظم أكشاك البيع تلك كانت تنصب في وسط شارع السوق وذلك قبل قدوم السيارات ، أما الآن ومع كثافة الحركة المرورية فلم يعد ممكنا بقاؤها وسط السوق . تنصب أعداد من الأكشاك على طول جانبي الطريق الرئيسي ومعظم أصحابها من باعة الطواقي والأحذية البلدية (الصندل) والأقمشة والسلع التي تنسج وتباع بالقطعة أو بأطوال محددة والأدوات الزراعية والخبز . تنصب بعض النساء البدويات أكشاكاً قليلة في ميدان الحميدية لبيع الصوف والمنسوجات الصوفية . ويتركز باعة الحطب بجوار بوابة الخباز ، خارج البوابة ، وفي ميدان بوابة القرن . وتباع الماشية خارج بوابتي الخباز والخميس . أما الأواني الفخارية التي أعتيد على بيعها في نفس المكان الذي يشغله الآن باعة الأواني المعدنية والقديمة فيمكن شراؤها الآن داخل الأسوار شمالي بوابة الخباز قرب سوق التمور الحالي . وتباع الابل والأغنام في ميدان الخميس خارج البوابة وكذلك الحصر والسلال .

بينما تكون المنتجات المباعة في أكشاك سوق الخميس في غالبها من انتاج محلي مثل الدواجن والصوف والملابس المخاطة والمحاكة والأواني الفخارية والسلال ... الخ . والتي كانت تعرض في الهفوف ربما لعدة قرون مضت ، فان معظم الأنواع المختلفة من السلع التي تعرض في الدكاكين الدائمة مستوردة ، ومن الصعوبة وجود ما يماثلها في أي مكان آخر في المملكة العربية السعودية مع إستثناء محتمل لمدينة جدة . حيث تعرض سلع متنوعة يجد المرء فيها : إبتداء من قدوم محلي إلى عدد حديثة مصنوعة من الصلب في مدينة بتسبرج الأمريكية ، وأدوات سيارات من مدينة ديترويت الأمريكية ، إلى أباريق شاي مطلية بالمينا من صنع يوغوسلافيا ، ومرطبات وخزائن معدنية من البحرين ، إلى علب لحم بقري من الأرجنتين ، وعصير برتقال معلب من استراليا ، وخشب من زنجبار ، وأقفال ييل Yale ، وعطور فرنسية ، وأقلام حبر كندية ، وآنية خزفية انجليزية ، وأرز من بومبي ، وعلب حليب دانمركية ، وسجاد ياباني للصلاة ، وبسكويت هنتلي وبالمر الشهير Huntly & Palmer ، ومكابس مضخات تصنع محلياً من مخلفات علب الوقود ، وساعات سويسرية ، وعلب زجاجية مستعملة ، وسمك مجفف من شط العرب ، وجراد مجفف (اذا كان متوفراً في وقته) ومعجون طماطم إيطالي ، وأوراق



منظر لشارع سوق الخميس اثناء انعقاد سوق الخميس الاسبوعي

مراحيض فنلندية ، وأعواد ثقاب سويدية وأجهزة راديو هولندية ، ومخللات الشبت والكوشر وأصباغ I.G. Farben المشهورة .

ليس هناك أرقام متيسرة في الوقت الحاضر توضح حجم التجارة في سوق الهفوف ، ولكنه كان على الدوام عظيماً . فهناك ما بين ٢٠٠ - ٣٠٠ جمل محملة بالبضائع تغادر ميناء العقير إسبوعياً إلى الداخل في بداية هذا القرن الميلادي والتي يتم توزيعها عبر الهفوف .(١)

تتفاوت أسعار السوق كما هو معروف ، وتعد المساومة قاعدة متبعة . خلال

(١) Lorimer, 1908, P. 1454.

فترة دراستنا كان معدل الاسعار الذي سجل لبعض السلع الثابتة كما يلي :[1]

السمك المجفف	:	٣/١	ريال
الربيان المجفف	:	٢/١	ريال
٤/١ ١ ربعة من لحم الابل	:	١	ريال
لحم عجل	:	١	ريال
لحم الضأن	:	٤/١ ١	ريال
٢/١ ٢ ربعة سكر	:	١	ريال
هيل	:	١٢	ريال
بن	:	٣	ريالات
شاي	:	٢/١ ٢	ريال

أما الخدمات التي عملت حتى الآن في مدينة الهفوف لتتكيف مع الاوضاع الصناعية الجديدة ،فتنحصر بشكل كبير في مجال الخدمات الشخصية والنفع العام . وهناك زيادة تقدر في خدمات النقل والمواصلات ، أولاً إلى العقير ونجد ، وثانياً إلى نجد والدمام ، والتي تجهز الآن بعدد كبير من السيارات والشاحنات من جميع الأصناف . ولم يعد السفر بالسيارة إلى نجد من الأمور المحتكرة . ويرتبط بهذه الخدمة زيادة كبيرة في عدد المحلات التي يمكن أن يشترى منها قطع غيار السيارات وكذلك مشاغل الاصلاح ومحطات الوقود .[2]

---

(١) الأسعار المذكور تختلف وفقاً للنوعية ، وتكون حسب وزن ربعة واحدة من ربعة الاحساء ، ما عدا ما أشير إليه . ويجب أن يذكر للمقارنة أن ربعة البحرين «التي استخدمت في منطقة الظهران» تساوي ٢/١ ٥ من ربعة الاحساء . فثلاث ربعات بحرينية تعادل تقريبا صاعين حساويين وربعة احسائية واحدة تعادل حوالي ٧٠ر٠ رطلاً . انظر ص ٢١٠

(٢) من المذهل التكيف السريع لتجار الهفوف مع المتغيرات الصناعية الجديدة وسرعة ادراكهم للاحتياجات الطارئة للسكان وكذلك مقدرتهم على تنظيم مخازنهم ومستودعاتهم لتخدم تلك الاحتياجات . وقد اتضح لي ذلك من تجربتي الشخصية التالية : قادني جهلي التام بظروف الطريق المحلي خلال اسبوعي الأول في الاحساء إلى ما يشبه أرض لم أختر قصدها . وقد عدت آخر الأمر إلى الهفوف في سيارة غير صالحة مقتنعاً بأنني سأبقى بدون وسيلة نقل حتى يرسل لي قطعة الغيار المطلوبة بعد عدة أيام من مخزن الشركة . دخلت أول محل شاهدته للعدد والأدوات في السوق وسألت عن القطعة المعينة معطياً نوع واسم وسنة صنع السيارة . وكانت القطعة متوفرة في المخزن وخلال ساعة قام فني محلي بتركيب القطعة .

إن التطور الحالي الذي يمكن اعتباره مهماً لمستقبل مدينة الهفوف ، فإن بقدر ما يفتح آفاق محتملة لانتاج صناعـي » ، يتمثل في تأسيس شركة كهرباء الاحساء الأهلية برأس مال قدره ٢٥٠٠٠٠ر١ ريال وبقراءة أسماء مجلس الادارة كأنما تقرأ جدولاً باسم العائلات التجارية البارزة في الاحساء : سليمان بالغنيم (رئيساً) ، إبراهيم المهنا (نائب للرئيس) ، إبراهيم العجاجي ، خليفة الملحم ، محمد الموسى ، عبدالرحمن السلطان ، عبدالعزيز التركي ، وإبراهيم الجغيمان . تخطط شركة كهرباء الاحساء الأهلية لانارة مدينتي الهفوف والمبرز خلال المستقبل القريب وأن تمد الدوائر الحكومية والمصانع والمنازل بالطاقة الكهربائية . ان هذه الكهربة يمكن أن تبرهن على دورها في دعم التطور الصناعي في المنطقة .

المبـــــرز :

تقع مدينة المبرز على بعد ميلين شمال الهفوف ، وتعد ثاني أكبر تجمع سكاني في واحة الاحساء . ترتبط بالعاصمة بواسطة عدة طرق . يبدأ أحد الطرق من الرقيقة ويمر حول بساتين سمحة والبحيرية مروراً بجوار محطة سكة الحديد الجديدة ليصل في النهاية إلى المبرز عند زوايتها الجنوبية الغربية . ويمتد طريق آخر من بوابة الخميس ماراً شرقاً بالبساتين المحيطة بعين أم خريسان وعندها يستقيم شمالاً ليصل المبرز عبر البوابة الجنوبية . وهناك طريق ثالث يتبع مسار الطريق السابق مسافة تبلغ حوالي ثلثي الميل ثم ينحرف بعدها باتجاه الغرب ملتفاً حول البساتين شرقي محطة سكة الحديد ثم يميل شمالاً مواصلاً مساره حتى يصل المبرز من الجهة الجنوبية الغربية . تعبر جميع هذه الطرق سبخة تتسع في جزء أو في آخر . وقد سبب السفر المستمر فوق سطح هذه السبخة تراص أرضيتها وصلابتها ، ولذا أصبح سطح الطريق صلباً ومريحاً نسبياً للسفر عليه .

إن اسم المبرز وفقاً لما يرويه بعض الأشخاص مشتق من أصل الاسم لكلمة «تبرز» .[١] وهو اصطلاح يستخدم من قبل البدو ويطبق على البداية الخادعة التي تقوم بها معظم القوافل في اليوم الأول لرحلتها .* ففي أيام سفر القوافل الكثيرة كانت

(١) Philby, 1923, Vol. I, P. 38.

(*) يخالف هذا ما قاله صاحب التحفة اذ قال «سميت المبرز لبروز الحاج إليها واجتماعهم فيها في الزمن الأول» ونميل إلى رأي المؤلف . (المترجم) .

العادة البدوية أن يبدأ تحرك القافلة في وقت متأخر من اليوم وأن يخيم على بعد لا يتجاوز ثلاثة أو أربعة أميال من نقطة البدء . إن متطلبات حياة المخيم خلال توقف الليلة الأولى سوف تكشف مباشرة أي نقص في مؤونة الطعام أو المعدات والتجهيزات وستمكن من تلافيه بسهولة في الصباح التالي بخلاف لو أن القافلة سارت مسيرة أكثر من يوم عادي من المدينة التي انطلقت منها . هذا الاشتقاق للكلمة والمسافة القصيرة بين الهفوف والمبرز وكذلك موقع المبرز على الطريق المؤدي إلى القطيف وطريق نجد الشمالي تسند القول بأن المبرز كانت أساساً مجرد أرض واسعة لنصب مخيمات القوافل العاملة في نقل التجارة مع الواحة .

والمبرز حاليا محاطة بكاملها بالصحراء باستثناء بقع زراعية صغيرة قليلة فقط بقيت في الغرب والزاوية الجنوبية الشرقية القريبة من حدود المدينة . وكانت المبرز ولسنوات ليست ببعيدة محاطة بالكامل ببساتين مزروعة .[١] يبلغ طول المدينة ١٠٠ر١ ياردة تقريباً في أطول مدى لها على طول النهاية الجنوبية ، ويبلغ عرضها حوالي ٨٥٠ ياردة من الشمال إلى الجنوب . ويشبه شكلها تقريباً هيئة شبه المنحرف (انظر الرسم) . ويقدّر مجموع عدد سكانها بحوالي ٠٠٠ر٢٨ نسمة . ويحيط بالمدينة سور مدعم ببعض القلاع المحصنة على طراز سور الهفوف نفسه ، إلا أنه منخفض بشكل ملحوظ وأقل سماكة ولا يحيط به خندق . توجد بالسور ثماني بوابات تسمح بالعبور إلى داخل المدينة . وهذه البوابات هي : بوابة العتبان في الشمال الغربي ، وبوابة الحارة في الشمال ، وبوابة القديمات وبوابة المقابل وبوابة الشعبة في الشرق (تقع من الشمال إلى الجنوب) وبوابة المقصب في الجنوب والتي تعد أكثر البوابات أهمية ، وبوابة عين نجم في الجنوب الشرقي ، وبوابة الحزم في الغرب .

تتألف مدينة المبرز من ستة أحياء هي : حي العتبان في الزاوية الشمالية الغربية ، وحي القديمات في الشمال الشرقي ، وحي الشعبة في الجنوب الشرقي ، وحي المقابل بين القديمات والشعبة ، وحي السياسب في الجنوب الغربي ، وأخيراً حي العيوني الذي يحتل وسط المدينة ويعد أكبر أحياء المدينة . لا يوجد اختلاف بين

---

(١) Lorimer, 1908, P. 1244.

الأحياء سواء في المظهر أو الطراز المعماري أو في تخطيط المدينة ما عدا أن المنازل الكبيرة والمباني العامة وكذلك السوق توجد جميعها في حي العيوني .

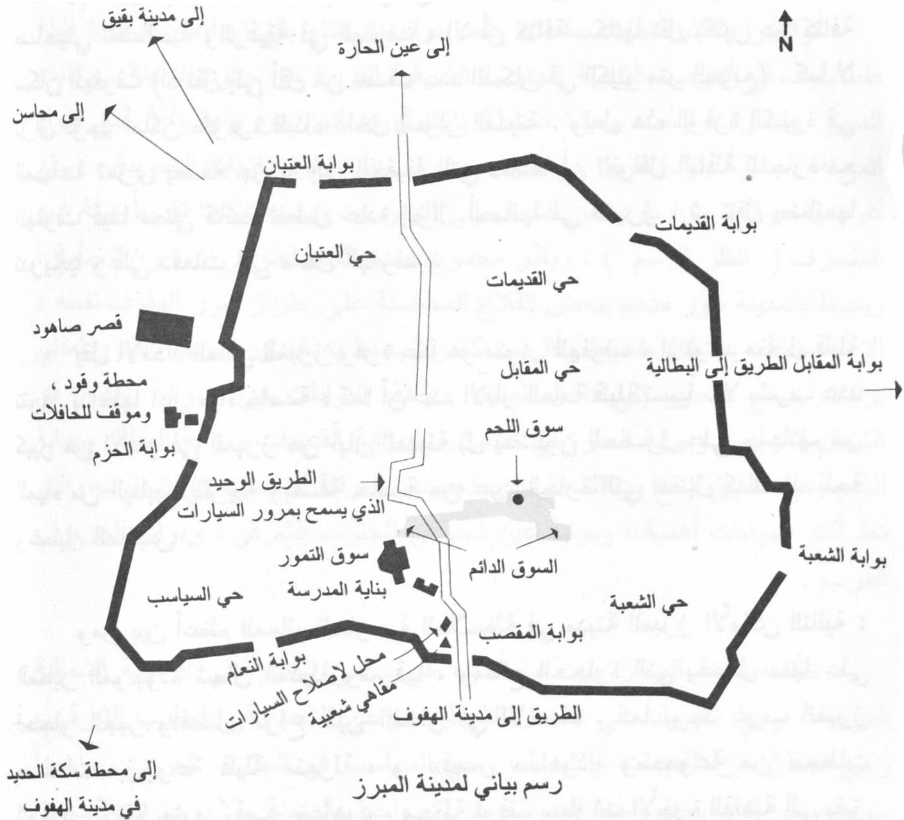
تشبه منازل المبرز مثيلاتها في الهفوف ، فمعظمها مبني من الحجر الجيري والطين أو مطلية بطبقة من الجص . ان نسبة المنازل المكونة من طابقين أو ثلاثة أقل بكثير في المبرز منها في الهفوف ، ولكن من ناحية أخرى تكون مساحات المنازل الداخلية أكبر وأكثر . رغم وجود عدد كبير من المساجد في المدينة ، إلا أنه لا يوجد بينها ما يضاهي مساجد عديدة في الهفوف من ناحية كبر الحجم وجمال التصميم . ورغم أن مساحة المبرز هي في الغالب مساوية لمساحة الهفوف ، باستثناء ضاحيتي الصالحية والرقيقة في الهفوف ، إلا أن كثافة سكانها تقل بكثير عن كثافة سكان الهفوف (اذ تقل إلى أقل من نصف عدد السكان في الكيلو متر المربع) . كما لا تزال توجد أماكن متوفرة للبناء داخل أسوار المدينة . ولعل هذه الوفرة الكبيرة في المساحة تعزى بصفة جزئية إلى الحقيقة التي مفادها أن القوافل الناقلة للتجارة مع الهفوف فيما مضى كانت تفضل عادة إنزال أحمالها في المبرز ، ثم تنقل بضائعها تدريجياً وعلى دفعات إلى داخل الهفوف .

يقل الامداد المائي للمبرز وفرة عما هو متوفر للهفوف ، اذ توجد منازل قليلة تتوفر بداخلها آبار مياه خاصة ، كما أن عدد الآبار العامة قليلة نسبياً . لا يشرب عدد كبير من الأسر في المبرز من آبار المدينة بل يفضلون الحصول على حاجاتهم من المياه من الينابيع القريبة وبصفة خاصة من عين الحارة التي تفضل كذلك للسباحة وغسيل الملابس .

ومن بين أعظم المعالم الخارجية الملاحظة في مدينة المبرز الأماكن التالية : المقابر الموجودة شمال المدينة وشرقها ، ومقالع الحجارة التي يحصل منها على أحجار الجير وأفضل أنواع طين الفخار في الاحساء . كما يوجد غرب المبرز مساحات مزروعة قليلة منعزلة ، و «قصر صاهود» ومجموعة من محطات الوقود . وتقع جنوبي قصر صاهود ، محطة توقف سيارات الأجرة الذاهبة إلى بقيق أو القرى الشمالية في الواحة . أما السيارات العاملة على طريق الهفوف – المبرز

فانها تذهب بشكل عام إلى بوابة المقصب . توجد إلى الجنوب الغربي من بوابة المقصب وعلى طول سور المدينة أرض مستوية صغيرة تقدر مساحتها ببضعة آلاف من الأقدام المربعة يعقد فيها السوق الاسبوعي حيث يعرض الفلاحون منتوجات مزراعهم وبعض الأواني الفخارية والحصر★ .

توجد غربي قصر صاهود ، بين القصر والطريق بين الهفوف وبقيق أرض منبسطة مرتفعة تسمى الحزم . كانت أرض مخيم للبدو وتحولت الآن بشكل سريع إلى ضاحية مسكونة دائمة ينطبق عليها الاسلوب الاستيطاني نفسه الذي مرت به ضاحية الرقيقة . يبدو أن موقع هذا المخيم قد تنقل على مر السنين . اذ يقال أنه كان



رسم بياني لمدينة المبرز

(★) يطلق على السوق اسم «سوق الأربعاء» لانعقاده ذلك اليوم . ويأتي في الأهمية بعد سوق الخميس الاسبوعي في مدينة الهفوف . (المترجم)

في الماضي على الجانب الغربي لخط سكة الحديد الحالي على حافة بقعة مستوية تعرف باسم حدبات المحاسن ، جنوب شرقي مخيم محاسن التابع لشركة النفط . ولا تزال ترى بوضوح حاليا خرائب قلعة سميت قصر محاسن فيما كان موقعاً قديماً لمخيم البدو .

تعامل الأحياء المختلفة في مدينة المبرز إدارياً كأحياء «فرقان» منفصلة ، فليس للمدينة بأكملها أمير أو عمدة ، رغم إنه يتفق على أن محمد الموسى عمدة حي (فريق) العيوني ، يتمتع بوضع بارز بين عمد الأحياء الأخرى . وبالاضافة إلى عائلة الموسى ، فأسر مدينة المبرز البارزة هي : الجبر والعفالق والخليفة والسعدون . ويروى أن حي السياسب قد أوجدته عائلة بارزة تحمل الاسم نفسه جاءت أساساً من مدينة الهفوف . ويعيش السنة والشيعة في المبرز سوية . ونسبتهم متساوية أكثر مما هي عليه في الهفوف ، مع إحتمال أن يكون عدد الشيعة أكثر قليلاً .

يعقد السوق الاسبوعي للمبرز يوم الأربعاء «سوق الأربعاء» . ويعد أقل أهمية من سوق الخميس في الهفوف ، ويقام قرب بوابة المقصب وفي الميدان المحيط بسوق اللحم الحالي فقط (انظر الرسم) . لا يوجد اختلاف ملموس في نوعية سلعه المعروضة وتنوعها عما هو موجود في سوق الخميس . يقع سوق التمور في المبرز جنوب غرب القيصرية وهو أصغر بكثير من سوق الهفوف . ويذكر سكان الاحساء أن صناعة سرج الركوب في المبرز أفضل من تلك التي تصنع في الهفوف ، ويضيفون أن الزخرفة والتلوين وأعمال صيانة البنادق في المبرز هي الافضل في الاحساء قاطبة . تقع القيصرية أو السوق الدائم بين سوق اللحم وسوق التمور وتتألف القيصرية من شبكة معقدة من ممرات مقنطرة ينطبق عليها كثير من وصف قيصرية الهفوف ، رغم أنها دونها أناقة في واجهتها المقنطرة وأعمدتها . وتكون الدكاكين الفردية أصغر ، كما أن التقسيم وفقاً لنوع البضاعة غير متبع بها كما هو متبع في العاصمة .

ومن المعالم البارزة والمهمة الأخرى في مدينة المبرز ، المدرسة الابتدائية الكبيرة الواقعة جنوب شرقي سوق التمور ، والمشاغل والمقهيان الواقعان عند بوابة

المقصب . وقد زود المقهيان حاليا بالتيار الكهربائي من مولّد متنقل يعمل بوَقود البنزين .

لا يوجد في المبرز من الشوارع القادرة على استيعاب حركة السيارات إلا شارع واحد فقط . يمتد هذا الشارع من بوابة الحارة إلى بوابة المقصب ، وهو عبارة عن خط مستقيم تقريبا من الشمال إلى الجنوب . وهناك شارع آخر يمتد من بوابة المقصب والمنطقة المجاروة لسوق اللحم ، يمكن أن تسلكه السيارات الصغيرة فقط .

وإجمالاً ، فالمبرز أقل بكثير في مظهرها ، غير المحلي ، مما تتمتع به مدينة الهفوف ، فرغم أن كثيراً من سكانها ينخرطون في التجارة والحرف ، إلا أن السكان عموما مزارعون . ويبدو أنه كان هناك نوع معين من منافسة سياسية بين الهفوف والمبرز في القرن الميلادي الماضي ، فبينما وقف سكان العاصمة إلى جانب السعوديين مال سكان المبرز إلى تفضيل العثمانيين .

يقع إلى شمال المبرز وعين الحارة سهل فسيح مرتفع تخترقه الطرق التي تقود من المبرز إلى قريتي المطيرفي والشعبة ، ومن الهفوف إلى المطيرفي ومن المطيرفي إلى الشعبة ، وكذلك الطريق الشمالي إلى الكلابية والبطالية . ويحرس هذا السهل حصن قصر محيرس . وقد دارت جنوبي هذا الحصن معركة مشهورة خلال تمرد العجمان انتصرت فيها قوات الملك ، وكانت معركة حاسمة في قمع ذلك التمرد .(١)

(١)Cf, De Gaury, 1946, P. 44.

الفصل الثالـــث
إقتصــــــاد الاحســــــــاء

أولاً : ينابيـــع الاحســـــاء :

رغم كثرة كمية المعلومات التي جمعت على مر السنين عن ينابيع الاحساء من قبل الرحالة الذين زاروا المنطقة ، إلا أن إعداد قائمة بهذه الينابيع في الوقت الحاضر أبعد ما يكون عن الكمال . فالعدد الاجمالي غير معروف ، والتقدير يترواح بين عدد يبلغ أقله عشرين أو ثلاثين نبعاً في كامل الواحة ، بينما يبلغ أعلا تقدير له أربعمائة نبع في منطقة العيون وحدها . ونعتقد أن الرقم الاجمالي يقع ما بين ستين وسبعين نبعاً (وربما أكثر) بينها أربعة ينابيع كبيرة جداً .

تتدفق هذه الينابيع منفردة أحياناً وأحياناً في مجموعات ، وهي تشبه في تدفقها التدفق الارتوازي . ويقدر إجمالي الماء المتدفق أكثر من ١٥٠ر٠٠٠ جالون في الدقيقة . توجد آبار ارتوازية قليلة في الواحة لكن الأغلبية العظمى من مصادر المياه الرئيسية تكون ينابيع طبيعية متدفقة . ويختلف عمق الينابيع بشكل ملحوظ ، اذ يتراوح ما بين ٥٠٠ – ٦٠٠ قدم .[١] أما فيما يختص بالآبار المحفورة آلياً فيتروواح عمقها ما بين عشرين إلى ثلاثين قدماً ، ويذكر أن هذا هو عمق معظم ينابيع الاحساء . ولا يبعد عمق بعض الينابيع الكبيرة عن سطح الأرض إلا قليلا جداً . تحاط معظم الينابيع بسور مبني ولو جزئياً على الأقل وذلك من أجل توجيه التدفق إلى الجهة المرغوبة . وعملياً تغطى فوهات نبع كل ينبوع بوضع جذع نخل عبر فوهته داخل حوض الماء ، مما يمكن الناس من الوصول سيراً إلى مركز التدفق وملء أوعيتهم بالماء النقي الصالح للشرب .

ينابيع مياه الاحساء دافئة وتتراوح درجة حرارتها عموماً ما بين ٨٥° إلى ٩٠° فرنهايت . وإن كان هناك عدد منها ينابيع ساخنة تبلغ درجة حرارتها ٩٠°

(١) هذا هو عمق الطبقة الحاملة للمياه ، أما الضغط الارتوازي فيدفع بالماء في العادة ضمن نطاق يبلغ ٤٠ قدماً من السطح ، والذي من هذا المستوى يتم فيما بعد ضخ الماء آلياً أو رفعه يدوياً .

فرنهايت وأكثر . وتعد عين نجم واحدة من تلك الينابيع الساخنة وأيضا تمتاز بكون مياهها كبريتية . لا يبدو أن هناك ما يبرر الاعتقاد المحلي بأن هذه الينابيع تتفجر بقوة شعاع كثيف وساخن جداً . ويستخدم الاصطلاح المحلي (بالقوة) لوصف ذلك .

مكّنت غزارة المياه ووفرتها من إيجاد زراعة كثيفة ، ولم يقتصر تأثيرها على أنها أعطت طبيعة خاصة للبيئة ووسائل العيش ، لكنها ساهمت كثيراً في تكوين حضارة الاحساء بأكملها . فعلى سبيل المثال فانه من المحتمل حقاً أنه بسبب وفرة هذه الينابيع وغزارتها ، كان السكان غير متأثرين بتقلبات هطول الأمطار وكثافتها . أن الأهمية الزراعية هي بالتاكيد العامل الأعظم أهمية في تبيان الدور الذي أدته ينابيع الاحساء ، بل بالاضافة إلى ذلك أدت الينابيع وجداول الري الرئيسية وظائف صحية وإجتماعية أساسية . اذ يقصدها الاحسائيون للاستحمام وغسيل ملابسهم وغسيل حميرهم ، وذلك بقيادتها إلى داخل الماء وغسلها بينما يغمر الماء نصفها . وفي الوقت الحاضر يعمد الأشخاص الذين يملكون سيارات إلى أخذها إلى قناة ري لغسلها . يتم الاستحمام وغسيل الملابس عادة يوم الجمعة حيث يحتشد عدد من الناس عند الينابيع الكبيرة مثل أم سبعة والحقل والخدود ، وبصفة خاصة عين الحارة في المبرز حيث يوجد حولها بركة واسعة تتجمع فيها مياه نقية صافية تنبع من ثلاث فوهات منفصلة للنبع (انظر الصورة) . وتعمل ترتيبات خاصة عند الينابيع لتمكين النساء من غسل ملابسهن والاستحمام في اليوم نفسه دون الاخلال بمباديء الأخلاق وتعاليم الدين التي تحرم الاختلاط . بنى في عين الحارة سور ارتفاعه سبعة أقدام إلى داخل الماء يبدأ من حافة البركة . وتتخلل هذا السور عدة فتحات على مستوى الماء عملت من أجل السماح للمياه بالتدفق بحرية من جانب إلى آخر (انظر الصورة) . وقد خصص الجانب الأصغر للنساء . لا يوجد في البرك الصغرى أسوار فاصلة لكن يوجد حظائر مسيجَة صغيرة بنيت داخل الماء مثل برك السباحة المغطاة تقع على بعد مسافة قصيرة وعلى قناة الري الرئيسية التي تحمل المياه من النبع ، يستمر جريان المياه خلال تلك الحظائر من نهاية إلى أخرى . وتستطيع النساء الاستحمام والغسيل خلف أسوارها الحاجبة دون أن يراهن الرجال البتة .

يعد التجمع للاستحمام يوم الجمعة في أحواض العيون مناسبة إجتماعية مهمة

سواء للرجال أو النساء أو الطبقة الاجتماعية الفقيرة . اذ تتيح فرصة اللقاء لمن لا تسمح ظروفه بدعوة أصدقائه إلى مقره الخاص في البساتين . وكان من المألوف رؤية مجموعات صغيرة من مرتادي العيون يتحادثون ويتناقشون في أمور العمل أو الأمور الاجتماعية سواء قبل الاستحمام أو بعده . كما يخرج بعضهم في نزهات إلى ضفاف العيون وإلى حافة البساتين المحيطة بها يتخللها قيامهم باعداد وجبات غذائية . وتمثل عين الحارة خاصة ، حيث يتوفر في مكان واحد معظم عناصر متميزة مجتمعة تتجلى في حياة الاحسائي ، الماء الوفير والحوض الكبير ، واستحمام يوم الجمعة ، وبساتين النخيل ، والحمير وجذب الماء ، وحشود الناس الكبيرة ، والأسوار التي تفصل حمام النساء عن الرجال .

وفيما يلي قائمة بعيون الاحساء وينابيعه شاملة بعض الآبار وأحواض السبخات الموجودة في منطقة الواحة مع وصف موجز .[1] ★

عين العمـــــارة :

نبع صغير يقع شمال الطريق المؤدي إلى عين أم الخيس ، وعلى مقربة من عين غصيبة .

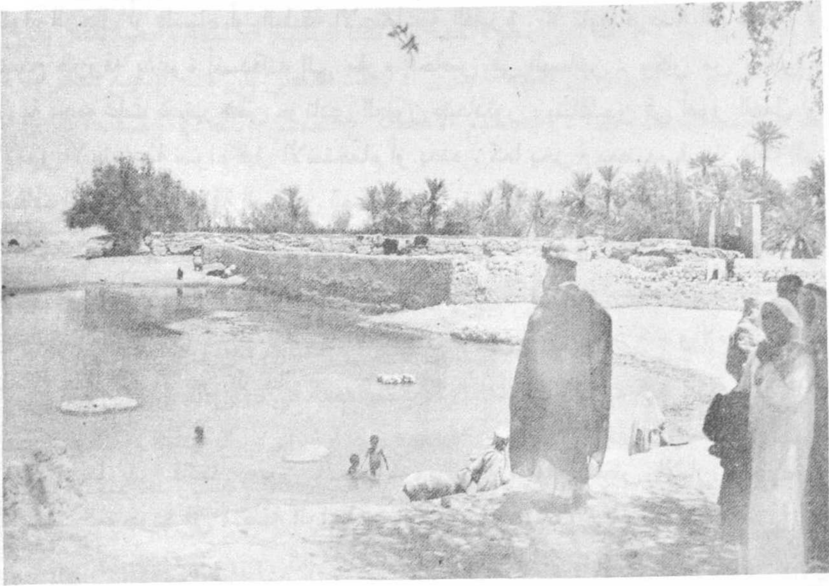
بركة الأصفــــــر :

مساحة كبيرة من الأرض تبلغ مساحتها حوالي تسعة عشر كيلو متراً ، تقع شرقي وشمال شرقي مدينة الهفوف ، وشمال الجشة ، حيث تتجمع المياه الجارية فوق السطح من شرقي الواحة . وتكون عموماً جافة أو شبه جافة خلال فصل الصيف وحينها يتحول الحوض بكامله إلى سبخة واسعة . ويعتقد انه بايجاد نظام صرف ملائم يمكن جعل هذه الأرض منتجة مرة أخرى .

---

(١) الأرقام المقتبسة لكمية المياه المتدفقة من الينابيع من تقديرات توتيشل وواثن .
انظـــر : Twitchell and Wathen. Twitchell, 1944, P. 384.

★ لم ترد كثير من العيون والآبار الواردة في هذا الكتاب «في معجم المنطقة الشرقية» تأليف حمد الجاسر ، أو كتاب محمد بن عبدالله آل عبدالقادر «تحفة المستفيد» . (المترجم) .



عين الحــارة . شمال مدينة المبرز



الحافة الجنوبيــة لعين الحــارة

عين باهـــــلة :

نبع صغير مزود بالسانية التي تحركها الحمير ، ولم تعد تستخدم الآن . تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات ونصف جنوب شرق المبرز قرب الحافة للمنطقة المزروعة . تسقي بقعتين زراعيتين كبيرتين تسميان العمار والشهيبي تقعان شمال النبع . وهي مملوكة الآن في شكل حيازات صغيرة من قبل عدد كبير من السكان الذين يعيش معظمهم في مدينة المبرز . يقع إلى شمالي نبع باهله بستان كبير يسمى السبخة تملكه أسرة الموسى من المبرز ويسقى مباشرة من نبع الحقل .

عين برابــــــر :

تعد واحداً من أعظم ينابيع الاحساء المشهورة . يرى بعض سكان الواحة أنها تتميز بكون مائها هو الأفضل والأحلى . وهي نبع كبير جداً يضخ الماء المتدفق إلى مسافة حوالي كيلو متر ونصف شرقي الهفوف ، قرب القرية الصغيرة المهجورة المعروفة باسم بني نحو . وتعد قناتها واحدة من أعظم الأجزاء أهمية في شبكة الري في الناحية الشرقية من الواحة ، وتمد منطقة بني معن والشهارين والمنيزلة والفضول باحتياجها من المياه . وتصل في النهاية قرية الطرف التي تعتمد بشكل أساسي في سقي بساتينها على مياه عين برابر .

عين بيـــــلاه (أو ابــلاه) :

نبع صغير جداً . يقع قريباً من الهفوف ، في الجهة الجنوبية الشرقية .

عين البحيرية وعين البحيرة :

نبعان يقعان متقاربان جداً في ضاحية الرقيقة ، أحد أحياء الهفوف ، يقعان شمالي قصر خزام وبستان سمحة . وتسقيان المنطقة الواقعة بين سمحة والمقبرة العثمانية القديمة ، الواقعة عند الزاوية الشمالية الغربية لسور الهفوف ، وهي منطقة كانت تغطيها حقول الأرز فيما مضى .

عين الدليقيـــــــة :

نبع صغير يقع قرب جبل الأربع . تسقي بستان يحمل الاسم نفسه .

عين الدوينـــــي :

نبع صغير يقع شمال شرقي قرية العيون قريبا إلى النهاية الشمالية للسبخة .

عين فاضـــــل :

نبع صغير يقع شمال شرقي العيون ويعد من الينابيع التابعة لمنطقة العيون .

عين الفاخـــــرية :

يطلق هذا الاسم على نبع يقع شرق الهفوف على الطريق إلى الكلابية ، وعلى البستان المحيط به . يستقى هذا البستان من كل من نبع الفاخرية ونبع الحقل . وتعود ملكيته للأمير سعود بن جلوي .

عين فريحـــــة :

نبع صغير يقع قرب الحافة الشرقية للمنطقة المزروعة في الهفوف .

الغويجيـــــة :

بئران متجاوران يقعان على بعد خمسة وعشرين كيلو متراً شمال شرقي الهفوف وشمال آبار كنزان على طريق البدو القديم من الهفوف إلى القطيف . لا توجد بساتين بجوارهما ولكن رغم ذلك هناك أشخاص قليلون يذكرون أن هذين البئرين يتبعان منطقة العيون . وهذه الرواية موضوع تساؤل .

عين أم الغربـــــان :

نبع صغير يقع قرب الهفوف بين النبعين الكبيرين عين الحقل وعين الخدود . يسقي بستاناً صغيراً يسمى البصيرة يقع إلى الشمال الغربي منه .

عيـــن حمـــــــد :

واحدة من مجموعة ينابيع صغيرة جداً تتبع منطقة العيون . تقع شمال الرقعة الزراعية الرئيسية بمنطقة العيون .

سبخـــة بالحمـــــام :

سبخة واسعة تمتد شمال شرقي الغويجيـــــة .

عين هملـــــــة :

نبع يقع قرب قرية الشقيق من جهة الغرب . كان سكان القرية يحصلون على مياه الشرب منه قبل حفر الآبار الارتوازية .

عين الحقـــــــل :

تعد واحدة من أكبر ينابيع المياه في واحة الاحساء . وتعتبر العين الثانية في الاحساء من حيث وفرة المياه وقوتها . تقع على بعد حوالي ٤٥٠ ياردة شمال عين الخدود . ويعتبر تدفق مياهها الأعظم بين ينابيع الواحة ، اذ يقدر بحوالي ٢٢ر٥٠٠ جالون في الدقيقة .

يقع هذا النبع قرب الحافة المزروعة على بعد كيلو متر شرقي الهفوف وشمال الموقع القديم لبني نحو . تسقي مياهها جزءاً كبيراً من البساتين المحيطة بها ثم تصب جداولها أخيراً في قناة السليسل .

تعد القناة التي تحمل ماء عين الحقل إلى الشمال الشرقي من أعمق قنوات المياه وأوسعها في الواحة . ويقع عليها عدة حمامات مبنية متميزة للنساء في عدة نقاط على طول مجراها .

تشكل عين الحقل بحيرة كبيرة جداً عند منبعها وعند بداية جريانها تتفرع مساراتها إلى عدد كبير من قنوات توزيع المياه . فهناك ست قنوات رئيسية يطلق عليها اسم العقاقير تسقي منطقة بساتين النخيل وحقول الأرز . وأسماء القنوات الست

هي : المازني ، السقوفي ، وعند حقول المحرمة يتوزع مياه عين الحقل إلى أربعة جداول منفصلة يطلق على أثنين منها اسم نهر البدن الذي يتدفق شرقاً ومن ثم ينقسم ثانية إلى عديد من قنوات الري . والجدولان الرئيسيان الآخران يسميان نهر الحريثي ونهر الدباغي .

عين الحـــــارة :

تقع هذه العين شمال المبرز قرب البوابة التي تحمل أسمها . وتعد واحدة من أكبر الينابيع في الاحساء . يقدر دفقها بـ ٢٠ر٠٠٠ جالون في الدقيقة . ماؤها دافي بعض الشيء يصل سطح الارض خلال ثلاث فوهات مكوناً بحيرة كبيرة جداً (انظر الصورة) . يبلغ أبعاد البحيرة حوالي ٤٠٠ × ١٠٠ ياردة . ينقسم مجرى مياهها إلى قسمين غير متكافئين بسبب فاصل يمتد على كامل عرضها ومزود بعدة قناطر على مستوى الماء ينساب خلالها تدفق المياه . يستخدم الجزء الغربي من البحيرة كحمام للرجال ومكان لغسل الملابس والحمير ، ويخصص الجزء الشرقي للنساء . وحيث أن مستوى بساتين النخيل المحيطة مباشرة بالعين يرتفع عن مستوى تدفق المياه فلذلك تستخدم الحمير لرفع المياه بواسطة الغرف في المناطق المجاورة للعين مباشرة . لا يقتصر ري الحارة على البساتين المحيطة بها بل يصل إلى قرية البطالية وإلى البساتين المسماة الشريعة قرب المبرز وإلى قرية الشعبة . وتعد هذه العين ، بدون شك ، واحداً من أماكن المتعة في الواحة .

يتدفق ماء الحارة في قناة واحدة باتجاه الشرق حتى يصل موضعاً يسمى المفترق فتنقسم إلى قسمين يسميان :

(أ) نهر الشمال والذي يأخذ ثلاثة أخماس الماء وينقسم بدوره إلى خمسة فروع . ويتكون نهر المعبر ونهر القريبة في النهاية من الماء المتدفق من نهر الشمال وفروعه .

(ب) نهر مغيصب والذي يأخذ الماء المتبقي ويتفرق إلى سبعة فروع . تتكون منها خمسة أنهار من تدفق مغيصب وفروعه هي : البريكي والجنوبي والثبير والقنطرة والمساخ . ويتكون نهر الدباغ من تدفق مياه القنطرة والمساخ .

تسقي كل فروع نهر الحارة أراضي العيوني والمقابل وشريعة الشعبة وقسماً من نخيل طرف الشهيبي .

عين الاحســـــاء :

واحدة من الينابيع الصغيرة الواقعة في منطقة العيون .

عين حـــــائك :

نبع صغير يقع في منطقة العيون . يقع شرقي المراح ، بين السبخه والبريقـــاء .

عين الحميـــدي :

نبع صغير يقع على بعد حوالي ٢٠٠ ياردة شمالي عين برابر .

الحميديـــــــة :

بئر تقع جنوب غربي الرقيقة قرب خرائب قلعة قديمة تحمل الاسم نفسه .

أم الحميـــــر :

نبع صغير ونخل بستان . يقع جنوب الهفوف شرق طريق المطار قريباً من المدينة .[١]

عين ابن حسيـــــن :

نبع صغير يقع جنوب قصر الوزيـــــة .

عين الحويـــــرة :

نبع متوسط الحجم ، ماؤه حار . يقع غرب قرية المطيرفي على بعد مائة ياردة من أسوار القرية .

---

(١) يقصد بالمطار القديم الذي اندثر موقعه وهو يقع ضمن حرم جامعة الملك فيصل حالياً . (المترجم) .

ابن عيســـــى :

بئر تقع جنوب غرب الرقيقة بين بئري الحميدية والثقبـــة .

عين الجابريـــــة :

نبع صغير . يقع غرب قريـة بني معـــن وقريباً منها .

عين الجديــــدة :

نبع صغير . يقع على الطريق من الاحساء إلى بقيق . ويقع بجوارها الآن مركز لخفر السواحل . وتكون الجديدة أول بقعة زراعية تقابل القادم إلى الأحساء عن طريق أبا الدلاسيس .

عين أم الجمـــــل :

نبع صغير . يقع قرب عين الحقِل وعين الخدود ، غربي الخدود . ويقال أن الاسم مشتق من حقيقة مفادها أن جملاً غرق فيها ذات مرة .

عين ابن جـــروان :

نبع صغير . يقع قرب الطرف الشرقي للواحة الشمالية بين البريقاء وجبل الشعبة .

عين الجوهـــرية :

نبع متوسط الحجم . يقدر دفقه بـ ٣٠٠٠ جالون في الدقيقة . يقع قرب قرية البطالية . تسقي مياهها قسماً من بساتين تلك المنطقة والمنطقة المحيطة بقرية الشعبة .

تتفرع أقسام عين الجوهرية إلى عدة قنوات :

١ - نهـــر الشمـــــال .

٢ - نهر المقاصب الذي يقع مع نهر الشمال على الجانب الشرقي للعين .

٣ - نهـــر البابــــــة .
٤ - نهـــر أبو معمـــــــر .
٥ - نهـــر الغالبــــــي .
٦ - نهر الجنيبية والذي يقع مع الأنهار الثلاثة المذكورة قبلها على الجانب الغربي للعين .
٧ - قناتا الفديوبية والضاحية واللتان تكونان جافتان معظم الوقت باستثناء فترة ري البستانين اللذين يحملان الاسمين نفسيهما .
٨ - نهر الحسى يسقى بعض نخيل غربي قريتي البطالية والكلابيـــة .
٩ - نهر الرقطانية يسقي بعض النخيل في قرية الكلابية .
١٠- نهر أبو غصيبة يسقي بعض النخيل في قرية الكلابية . وتكون فضلاته نهر المسيح الذي يسقي قسماً من نخيل قرية الشعبة ثم يتدفق مخترقاً الأوجام(★) ليتبع مساراً يصب في قناة الاسود . تتجه قناة الاسود شمالاً لتسقي نخيل العيون وهناك يعرف باسم أبو جناب ومن ثم ينضم إلى قناة معروفة باسم الوجاج التي تسقي الأوجام وعندها تميل تجاه الجانب الشمالي الشرقي للعيون إلى بقعة تعرف باسم شق راداها (؟) .

عين الجزيـــــرة :

نبع صغير وبستان يحمل الاسم نفسه . يقع شمال شرقي الرقيقة قرب سور الهفـوف .

عين جليجلـــــــة :

نبع صغير . يقع قرب القرية المشهورة التي تحمل الاسم نفسه . ويحصل سكان القرية على مياه الشرب من هذا النبع . يندمج تدفقها مع جريان مياه ينابيع أخرى في منطقة المطيرفي حيث تتكون قناة أبي الرمل . وبعد أن تسقي قناة أبو الرمل عدداً من بساتين قرب جليجلة ، تتحد مع المياه المتدفقة على سطح الأرض من عين أم سبعة وعين منصور حيث تتكون قناة اليسور التي يتفرع منها فرعان هما الخليفة وأبو جنيب ثم تميل لسقيا بساتين في العيون .

(★) جمع اجمة ، وتطلق على منبت القصب المتلف . (المترجم)

كنـــــزان :

بئر صغير وأرض مخيم للبدو تقع على الطريق من الهفوف إلى القطيف عند حافة الواحة . كانت مسرحاً لمعركة مشهورة بين الملك **عبدالعــزيز** والعجمـان سنة ١٩١٦م ، والتي أنتصر فيها الملك **عبدالعـزيز** ، إلا أنه جرح جرحاً بليغاً وقتل فيها أخوه سعـــد .

صرات الكشـــط :

سبخة واسعة تقع بين الهفوف والمبرز . تتراكم فيها المياه خلال فصل الشتاء اذا كان هطول الأمطار كثيفاً . وغالباً ما تبقى جافة لأكثر من سنة كاملة .

عين أم خنـــور :

نبع صغير يقع جنوبي قرية بني معن عند طريق القرية في جزئها الاوســط .

عين أم الخيـــس :

نبع صغير يقع جنوب قرية بني نحو وقرية بني معن . كان يوجد حولها قصر كبير من نوع قصور الاقامة الصيفية في البساتين . وقد زارها شيزمان ووصفها ، ولم يجر تعديل عليها منذ تاريخ تلك الزيارة .[١] (انظر الصورة) .

عين الخـــدود[٢] :

تعد واحدة من أكبر ينابيع الاحساء . يقدر دفقها بـ ٠٠٠ر٢٠ جالون في الدقيقة . تقع في منطقة بني نحو جنوب عين الحقل . وتعتبر واحدة من أعظم مصادر المياه للناحية الشرقية من الاحساء . يساهم ماؤها بحوالي نصف كمية المياه التي تجري في قناة السليسل . يوجد عدد كبير جداً من الينابيع بجوار الخدود ولكنها عموماً غير مميزة من قبل أغلبية سكان الاحساء والتي يشيرون إليها جميعاً على أنها الخدود . وفيما يلي أسماء الينابيع المنفصلة التي دونت في المنطقة المجاورة

---

(١) Cheesman, 1926, P. 137.

كما وصفها توتيشل (١٩٤٧) ص ص ٦٨ – ٦٩ .

(٢) الاسم اصلاً ، ربما ، الخدد ، (قناة محفورة في الأرض) .

مباشرة : عين ثعالب وعين بهجة وعين قطوة وعين السباخ وعين البدع وعين السواقط وعين المنسفية وعين أم سيف وعين البطيني وعين شبيب وعين الجنوبية وعين الظليمي وعين الهملة وعين أم حريول وعين الصباحية وعين الوطية وعين أم والي وعين البستان وعين أبو لوزة وعين أخت أمية وعين النصيرية وعين أبو العيون .



عين الحارة ، وقد ظهر في وسط الصورة غرافة من الغرافات التي ترفع المياه فيها بواسطة الحمير

ينطلق من عين الخدود ثلاثة قنوات رئيسية تنقل الماء الحر إلى بساتين النخيل . وتسمى : نهر الخدود ، نهر النقبة ، نهر المنخر .

عين أم خريســـــان :

نبع متوسط الحجم ماؤه دافيء .[1] يوجد حولها بركة كبيرة . تقع شمال الهفوف مباشرة . ومياهها عادة وسخة بسبب قيام عمال النسيج في الهفوف باستخدامها للغسيل المطلوب في عملية صبغ المنسوجات . ويعتقد الحاكة أنفسهم بأن

(١) يذكر أن حرارتها تبلغ ٨٨° فرنهايت ، انظر : Cheesman, 1926, P. 201.



حافة البركة الموجودة حول نبع عين الخدود .

مياه هذه العين هي الأفضل لتحقيق أغراضهم . والعين مزودة بحمام مبني للنساء على النمط المعتاد في الاحساء .

عين الكبينيـــــــة :

نبع صغير تسقي البستان الذي يحمل الاسم نفسه والذي تعود ملكيته لأسرة المهنا من سكان الهفوف . تقع قرب سور الهفوف الجنوبي غرب بوابة القرن .

عين اللقيـــط :

نبع صغير من ينابيع منطقة العيون . يقع جنوب شرقي الجديدة .

عين اللويمـــــي :

نبع متوسط الحجم يسقي الأراضي الواقعة غربي قرية الشهارين . تقع قرب عين برابر . ويقع إلى جنوبها موقع لقلعة عثمانية قديمة ، وهي خربة الآن .

عين أم الليـــف :

نبع صغير . ينبثق على بعد مئات ياردات قليلة جنوب غربي عين برابر .

بركات أم المحـــص :

حوض تتجمع فيه مياه الأمطار . يقع شرق قرية المحترقة وشمال شرقي قرية المراح . تتدفق إليه فضلات المياه من منطقة العيون ، وعموماً فهي تضم مياه على مدار السنة إلا أن مساحتها تتعاظم خلال فصل الشتاء . ويقع إلى جنوبه بئر ماء للبدو تحمل الاسم نفسه .

عيـن منـــاه :

نبع صغير يقع على بعد مائة ياردة شرقي عين أم الليـــف .

عين منصـــــور :

نبع متوسط الحجم يقدر دفقه بحوالي ٤ر٠٠٠ جالون في الدقيقة . يقع على بعد حوالي كيلو مترين شرقي الهفوف في منطقة بنو نحو . كما أن هناك نبعاً آخر يسمى «عين منصور» ماؤها حار جداً تقع على مقربة من عين أم سبعة من جهة الشرق . وهذا ما دون عن تشابه عينين في حمل الاسم نفسه في الاحساء . تجري مياه منصور في أربعة جداول تسقي بساتين السحيمية والميرزي . وتصل جداولها إلى بساتين قريتي القرين والشعبة . ويصل قليل من مائة إلى قرية جليجلة والفائض من هذه القرى يجري تباعاً إلى قناة الويسد .

يقع بين النبع الثاني وقرية المطيرفي عدة عيون صغيرة . فيما يلي الأسماء التي دونت (مع أنها ليتس قائمة شاملة) وهي :

عين لشا وعين عبدو وعين غرير وعين عكاس وعين غريب وعين أم زنبور وعين أم أدهم وعين الساحرة وعين أم الدجاج وعين ابو ناصر وعين فضالة وعين الحقيقة وعين أم خديجة .

عين المنيسفـــــــات :

نبع صغير يقع في منطقة العيون شرقي رقعة الواحة الرئيسية ، شمال غربي عين القطار .

عين المرجـــــــان :

نبع صغير يقع مواجهاً للزاوية الجنوبية الغربية للمبرز ، تسقى مياهها منطقة الغراريف .

عيـــن موســـــى :

نبع قديم يقع جنوب شرقي الصالحية . وهو جاف الآن تماما .

عين الميشيطيـــــة :

نبع صغير جداً يقع غرب قرية بني نحـــو .

عين المطيرفـــي :

نبع صغير يقع قرب القرية التي تحمل الاسم نفســـه .

عين المطـــوع :

نبع صغير يقع في منطقة العيون شرق عين حمـــد .

عين نضــــارة :

نبع صغير يقع قرب مدينة المبرز وعين مرجان . يوجد إلى الشمال منه موقع آثاري يروى أنه كان موقعاً لقرية تحمل الاسم نفسه .

عين نجـــم :

نبع متوسط الحجم (انظر الصورة) ماؤها حار كبريتي . تقع على بعد حوالي كيلو مترين غرب المبرز قرب جبل أبو غنيمة . كان النبع خلال الحكم العثماني مفضل جداً لفعاليته العلاجية . وقد قام السعوديون بهدم قبته في سنة ١٨٦٢م . وقد أعيد هدم القبة التي أعيد بناؤها وذلك في سنة ١٩١٣م . عندما استرد الملك عبدالعزيز الاحساء.ما لبث أن عادت للعين شهرتها بعد أن زال كثير من اعتقاد العامة فيها وأصبحت تقصد ممن يعانون من أمراض الروماتيزم أو أمراض تصلب الاعصاب نظراً لارتفاع حرارة مياهها.تتبع العين والبستان الصغير المحيط بها أملاك الدولة وقد أعيد بناء القبة ومجلس خارجي من أجل الاحتفاء بضيوف الدولة من زوارها . ويبدو أنه أصبح عادة عامة أن يحتفى بضيوف الحكومة الكبار والموظفين الكبار في الدولة بتضمين برنامج زيارتهم للمنطقة زيارة عين نجم كمعلم من معالم الاحساء .

روى موزل Musil أن مندوبين عن سكان الاحساء استسلموا في سنة ١٧٩٢م للامام سعود بن عبدالعزيز عند عين نجم .[١]

يروي فيلبي أن هناك اعتقاداً شائعاً ينسب وجود هذا النبع لموضع سقوط

(١) Musil, 1928, P. 261.

نيزك .[1] ويروى حاليا أن معظم ينابيع الاحساء أوجدت فعلاً نتيجة لهذه الطريقة .

عين غصيبـــــة :

نبع كبير يقع قرب عين اللويمي جنوب عين الحقل . يسقي عدة أفدنة من حقول أرز عديدة مقسمة إلى عدة حيازات صغيرة مستقلة كل منها مملوكة ملكية مستقلة . كما تسقي بعض بساتين النخيل قرب قرية الفضول .

عين القطـــــــار :

نبع صغير يقع على مسافة عشرة كيلو مترات شمالي وشمال شرقي العيون . وهي محاطة ببساتين صغيرة تعد واحدة من عدة قطع أراض منفصلة من المناطق الزراعية التي تؤلف منطقة العيون الزراعية .

عين بنت قنيـــص :

نبع يقع قرب قرية الكلابية . ويقع بجواره نبعان صغيران يسميان عين الكويكب وعين القربة . وكان هناك عدداً من الينابيع في هذه المنطقة طمرتها الرمال الزاحفة .

عين الرفيعـــــة :

نبع صغير يقع في منطقة العيون . يقع شمالي عين حمد وجنوبي عين الاحساء .

عين أم سبعـــــة :

نبع كبير بقدر دفقها بـ ٢٠ر٠٠٠ جالون في الدقيقة . يقع على بعد حوالي كيلو متر ونصف جنوب شرق قرية المطيرفي . ماؤها حار ، وقد بلغت حرارة المياه التي قيست في أطراف بحيرتها ١٠١° فرنهايت ويقدر أن تبلغ ١٠٣° أو ١٠٤° فرنهايت في وسط البحيرة فوق فوهات العين .[2] يجري ماؤها إلى البساتين من خلال مجموعة

(١) Philby, 1926, V.I., P. 33.

(٢) Cheesman, 1929, PP. 154, 201.

جداول رئيسية كان عددها سبعة ومنها أخذت اسمها . ولا يوجد منها الآن إلا خمسة جداول رغم أن واحداً منها له مخرجان . وجداولها هي : نهر الحار ونهر نهيضة ونهر مروان ونهر مرويان ونهر الغديد . والبحيرة الموجودة فوق فوهة انبثاق الماء ليست كبيرة جداً (انظر الصورة) حيث حد من ذلك ببناء سور مرتفع جداً للمساعدة في تحويل المياه إلى جهة الجنوب . يسقي ماؤها معظم الأجزاء الوسطى من الواحة الشمالية . يعد موقع عين أم سبعة واحداً من أجمل الاماكن في الاحساء مما يجعله مكاناً مفضلاً يقصده السكان والزوار .

عين سعـــــد :

نبع صغير يحيط به بستان صغير . يقع على الطريق من الهفوف إلى بقيق جنوبي عين الجديدة وشمالي قرية العيون . ويعد أيضا واحداً من البقع الزراعية التي تتبع منطقة العيون . وقد ترك النبع دون صيانة ، إلا أنه أعيد حفرها قبل حوالي ٢٠ سنة من قبل الأمير سعد بن جلوي ، ولذا سميت باسمه وأصبحت ملكاً له . ويملكها الآن شقيقه أمير الاحساء .

عين سمحـــــــة :

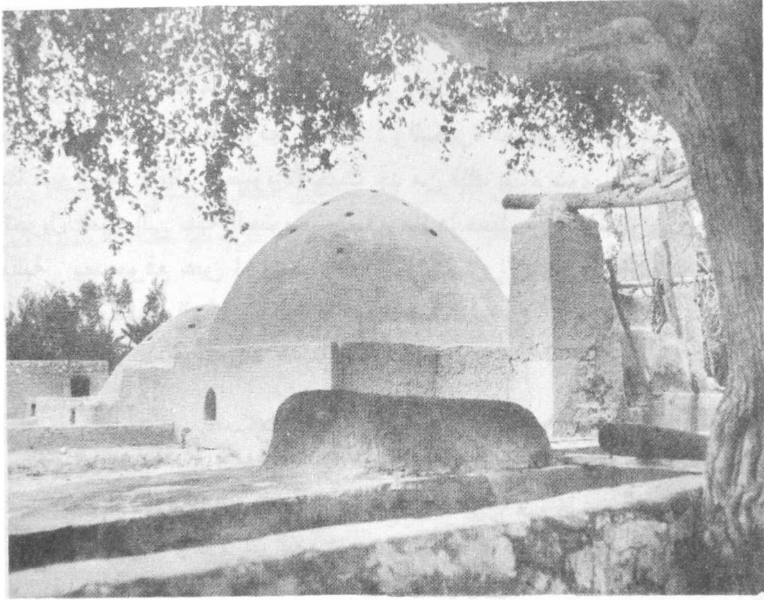
نبع صغير وبستان . يضم بستانها واحداً من أكبر قصور البساتين وأجملها في الاحساء . يقع النبع في منطقة الرقيقة شمالي قصر خزام وغربي بوابة البدع .

عين ســـــــارة :

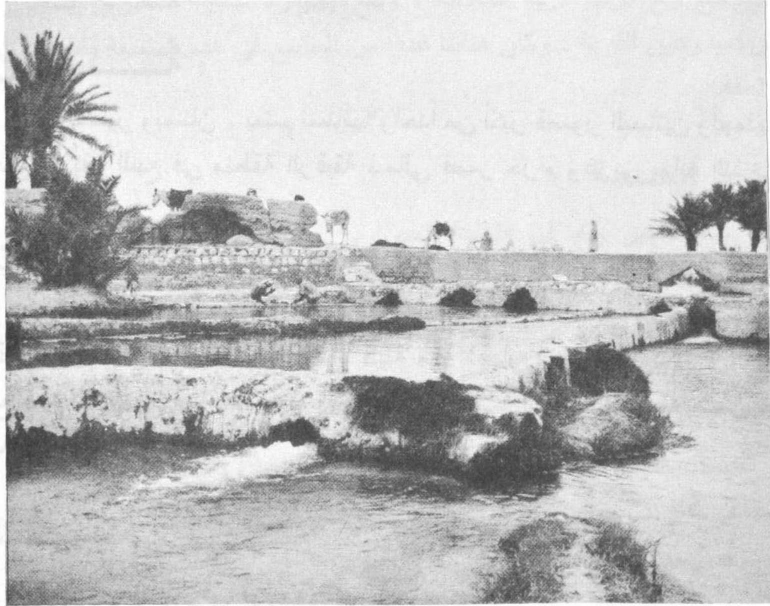
نبع صغير ، جاف تقريباً الآن . يقع على بعد مسافة سبعة كيلو مترات جنوب شرقي قرية الجشة . يحيط به أعداد قليلة من أشجار النخيل . ويذكر أن خرائب موقع قديم تقع بجواره . ولا يعتقد بعض سكان الجشة أن هذا النبع يقع ضمن حدود واحة الاحساء .

الصـــــــرام :

سبخة تمتــد شرقي قريــة العيــون .



عين نجم ، وقد بدأت قبتيها المتميزتين فوق حوضها .



عين أم سبعة ، أشهر عيون الاحساء . ويبدو في الوسط الحائط الذي يفصل قنوات الري المتفرعة منها .

عين السيـــــد :

نبع صغير يقع قريبا من الزاوية الجنوبية الغربية لمدينة المبرز قرب عين مرجـــان .

عين شافـــــع :

نبع صغير جداً يقع على مسافة نصف كيلو متر غربي قرية المنيزلة وشمال غربي موقع آثاري كبير (انظر الرسم) . يحدد أنه كان في الشرق . ويقع النبع على طول حافة نطاق بساتين النخيل . وكان النبع يدفع كميات غزيرة من المياه تجري حول ما بقي الآن من خرائب قرية ، اذ تجري المياه في جدول استخدم كوسيلة دفاع عنها كما استخدم كجدول ريّ . أما الآن فان النبع في حالة سيئة جداً اذ تقتصر مياهه على ري بستان واحد شمال شرقي قرية المنيزلة .[1]

عين الصخيّفـــة :

نبع صغير يستخدم غرافة يرفع مياهها حمار . تقع جنوب شرق الرقيقة قريبا من مطار الهفوف* ومعظم انتاج البستان الصغير الذي ترويه العين هو من الخضروات .

السليســـــــل :

يعد أعظم قنوات الري أهمية في واحة الاحساء . يتكون من فضلات مياه عدة ينابيع . وتساهم الينابيع الصغيرة بكميات لا يعتد بها . ولذا تكاد تنحصر مياهه في مساهمات عين الحقل وعين الخدود . إن السليسل واحداً من القنوات التي يطلق عليها أحيانا (نهر السليسل) .

تعتمد جميع ناحية الشرق من الواحة ، شرقي بني معن عملياً في ريها على قناة السليسل . يكون عرض القناة في بدايتها حوالي ٣٥ قدماً وعمقها أربعة أقدام . ولكن

---

(١) يشير كاتب مجهول في تقويم ولاية البصرة Basrah Vilayet Salnameh (١٣٠٠هـ) إلى خرائب بني شافع والتي يمكن تحديد موقعها بسهولة .

(*) المقصود المطار القديم الذي سبق الاشـــارة إليه (المترجم) .

بعد إنطلاقها تتفرع منها قنوات عديدة مثل : الدوغاني وأبو الثيران . وينتج من مجموعة متتالية متعاقبة من نقاط اعادة تجمع واعادة توزيع مياه قناة السليسل جريان مياهها إلى النهاية الشرقية القصوى من الواحة . حيث تصل فضلات مياهها إلى بركة الأصفر . لا تقتصر شهرة قناة السليسل على كونها واحدة من أكثر قنوات الاحساء قدماً ، اذ أشار إليه ابن المقرب في القرن الثالث عشر الميلادي ، بل في كونها القناة المائية الوحيدة التي توضح تعقيد نظام توزيع مياه الري في الاحساء واعادة تجمعها . ونتيجة لذلك فقناة السليسل تتدفق إلى جهة الشرق حتى تصل بقعة ليست ببعيدة عن بدايتها تسمى غزالة حيث توجد قناة لجر المياه وكذلك جسر صغير للمشاة . وبعد جريانها تحت القناة تنقسم إلى جدولين يحتفظ الاول بالاسم نفسه (السليسل) ويسمى الثاني الدوغاني . يستمر تدفق الدوغاني في جريانه تجاه الشرق فيصل إلى قرية المنيزلة في موضع يطلق عليه اسم الجسيم الذي ينقسم بدوره إلى فرعين يجري احدهما إلى قرية الجفر والباقر . ويسقي الفرع الثاني بساتين نخيل قرية المنيزلة .

يصعب جداً تتبع تدفق فضلات مياه السليسل ، بل من الصعوبة بمكان وضع خريطة لها من الأرض . فتدفق جدول الدوغاني يصب في جدول جامودي الذي يسقى في النهاية قرية الجفر .

أما الجدول المسمى الحيادي فانه يسقي أولاً البساتين الواقعة حول قرية الجشة . ويحصل على معظم مياهه من مياه الطوائح من جدول الدوغاني . ويستمر جريان الجزء الرئيسي من قناة السليسل تجاه الشرق حتى تصل موضعاً يسمى التغامه عندها تنقسم إلى ثمانية جداول ري منفصلة هي :

١ - سلال الجرداني (الصواب الجراوني)★ الذي سمي باسم جردان (جروان)★ الذي حكم الاحساء في القرن الثالث عشر الميلادي . ويسقي جزء من أراضي قرية الجبيل .

٢ - النعيلـــي ويسقي نخيل قرية الحليلة .

٣ - الزهيري ويصب في جدول أبو الثيران . يسقي معظم البساتين التابعة لقريتي الدالوة والتهيمية .

(★) هذه التصويبات من قبل المترجم .

٤ - مجريان متوازيان يسميان الراضي وهما يسقيان في النهاية بعض بساتين نخيل قرية الجبيل .

٥ - السياح ويسقى جزءاً من نخيل قرية الطريبيل وبعض النخيل الواقعة في جوار قرية المنيزلة . ويستمر فرع منه يسمى المويلح ليسقى بعض بساتين نخيل في منطقة قرية الجشة .

٦ - نهر الحـد يسقي معظم بساتين النخيل في منطقة قرية الجبيل .

٧ - نهر محمد يسقي الجزء الرئيسي من بساتين النخيل في قرية السيايرة وهي قرية أوجدت حديثاً ، وقرية المزاوي .

نذهب بقية مياه قناة السليسل لتسقي نخيل قرية الجبيل والمناطق المجاورة لجبل القارة قرب القرية الصغيرة «بني قـــو» . ويتجه أحد جداول الطوائح المسمى حواش إلى جهة الشرق ليسقي بساتين نخيل الكتيب . ويتجه جدول آخر يسمى نهر عبدالله ليسقي جزء من نخيل قرية الجبيل . وبعد أن يسقي الجدول الأخير في المنطقة المشار إليها ، يكّون جداول مائية أخرى . يطلق على هذه المجاري الثانوية : الشيباني الذي يسقي بعض النخيل قرب قرية التويثير ، وابويب ويسقي مناطق صغيرة قليلة قرب قرية المقدام ، والخويس ويسقي معظم النخيل الواقعة قرب قرية الرميلة ، ونهر الأسود ويسقي بقية المناطق المزروعة في قرية الرميلة .

تصب هذه الجداول في قناة النجوى والتي تفرغ أخيراً كل المياه غير المستعملة في بركة الأصفر ، أعظم مجمع للمياه بين الهفوف والخليج العربي .

عين الصويـــــدره :

نبع متوسط الحجم قرب قرية المقدام . يقع عند القمة الجنوبية للذراع الطويل للنخيل الممتد في الصحراء . وهذا النبع واحد من الأماكن في الاحساء حيث يغور مستوى جريان المياه مما اضطر السكان إلى حفر قنوات ري عميقة (وهي أمور لم يعتد عليها الاحسائيون) من أجل أن يضمنوا استمرار جريان المياه . ويوجد بقرب عين الصويدرة منطقة يخيم فيها البدو في فصل الصيف تسمى «العمامرة» .

عين التعاضيـــــد :

نبع صغير يقع في منطقة بني نحو بين عين غصيبة ومنطقة «العمامرة» .

بئر الثقبــــة :

بئر بدو قديمة تقع جنوب غربي الرقيقة .

عين الطريبيـــل :

نبع صغير يقدر دفقها بحوالي ١٠٠٠ جالون في الدقيقة . تقع قرب القرية التي تحمل الاسم نفسه وتسقي قسماً من نخيل هذه القرية .

بئر العسيــــلة :

بئر محفورة وبستـــان . تقع غربي بوابة القرن مباشــرة .

العيــــون :

أطلق هذا الاسم على كامل المنطقة الواقعة في شمالي الواحة . وكانت في هذه المنطقة في العصور الوسطى ، حسب ما ورد في شعر شاعر عربي ★ ، ما يقارب ٤٠٠ نبعاً . وقد مد سادة المنطقة العيونيون ، الذين أشير إليهم فيما سبق ، حكمهم ليس على الواحة وحدها ، بل شمل المنطقة الواقعة بين البصرة وشبه جزيرة قطر .

يروي بعض الرواة أن عدد الينابيع المتدفقة في منطقة العيون تقارب ٣٠٠ نبع . وهذا حتى بعد تدوين الاختلاف في الاسماء الذي يتزامن مع زراعة الاحساء ، بدأ أمراً جذاباً بما فيه الكفاية ، إلا ن الرقم المدون لأسماء الينابيع ميدانياً يقل بكثير عن هذا الرقم . وقد أكد أحد الرواة ، وكان متقدماً في السن وواهناً ومتردداً ، من سكان العيون بعد أن فحص القائمة الميدانية التي قمنا بجمعها ، بأن هناك ١٢٦ نبعاً آخراً (هكذا) لكنه لم يستطع تذكر الأسماء . وفيما يلي الأسماء التي تم تدوينها .

١ - أبو ربيــع	٢ - عــــودة	٣ - البستـــان
٤ - دوينـــي	٥ - حمــــد	٦ - حسيـــن

(★) لعله يقصد ابن المقرب . (المترجم) .

٧ - العقـــاب	٨ - الجفـــر	٩ - الجزيـــرة
١٠- جنيـــدة	١١- اللقيـــط	١٢- مفتـــاح
١٣- منيفـــة	١٤- المرشـــد	١٥- مصيـــص
١٦- المطـــوع	١٧- الناصـــر	١٨- القليـــب
١٩- الريـــس	٢٠- الرفيعـــة	٢١- سميـــط
٢٢- الشـــرى	٢٣- أم أثلـــة	٢٤- أم صخيـــن
٢٥- عثمان المهنـا	٢٦- الوزيـــة	

(ملاحظة : أشير إلى عدد قليل من الينابيع الكبيرة بصفة منفصلة) .

الوجـــاج :

تعد واحدة من أكثر قنوات الري أهمية في الشرق (الواحات الشرقية) . تمون بالماء جزءاً كبيراً من القسم الجنوبي من الواحة الشرقية . ويأتي ماؤها من مجموعة من العيون تحيط ببني نحو وبني معن .

عين الزعابلـــة :

نبع صغير جداً يقع غربي قرية الجبيـــل .

عين زيـــدان :

نبع صغير يقع قرب عين أم سبعـــة .

عين الـــزواوي :

نبع صغير يقع جنوب شرقي المبرز على مسافة حوالي نصف ميل من أسوار المدينة . تسقي مياهها قسماً من منطقة الغراريف الواقعة بين المبرز والهفوف . ويعتقد بأنها واحدة من أحلى الينابيع مذاقاً في الواحة . وقد أخذ اسمه من ملّاكه السابقين السادة الزواويين (أسرة الزواوي) وهم من أسرة مشهور عاشت في الاحساء في العصور الوسطى .

ثانياً : ملكيـــة الأرض :

يفرّق سكان الاحساء بين الأساليب التالية لملكية الأرض :

١ - الأراضي الحكوميـــة :

يطلق هذا الاصطلاح على الأراضي الزراعية التي تعود ملكيتها لمسؤولين حكومين كبار . ولا يبدو أن هذا التميز مفهوماً فهماً صحيحاً ، إلا أن الاحسائيين يشيرون بشكل مطلق إلى مزرعة الفاخرية التي يملكها الأمير سعود بن جلوي وبستان سمحة الذي يملكه عبدالله السليمان كأراض حكومية ، رغم أنها في الحقيقة تخص أفراداً .

٢ - أراضي بيت المال (إدارة المالية) :

مصطلح استخدم من قبل المتعلمين فقط . وتعني أملاك حكومية بالمعنى الدقيق . ويشير إليها معظم الاحسائيون بأنها تتبع إدارة المالية . ومعظم هذه الأراضي أخذت من العثمانيين الذي كانوا يديرونها من خلال الدائرة السنية والتي أصبحت الآن من أملاك الدولة . وقد منحت بعض أملاك الحكام العثمانين إلى الأفراد كهبة ملكية بعد استرداد الملك عبدالعـــزيز للاحساء . وعموماً فانه من الصعب جداً بل من المستحيل أن تجد تحديداً واضحاً بين الأراضي الحكومية وأملاك بيت المال في عدة حالات اذ أنه من وجهة نظر الاحسائيين أن الخط الفاصل يكون عادة ضبابي . ولذا فانهم باستثناء الأقلية المتعلمة لا يرون فرقاً بين النوعين . ومما يزيد في التشويش والارتباك هو أن غالب الأراضي الحكومية لا تدار مباشرة من قبل إدارة مالية المنطقة . اذ تعهد إدارة المالية بادارتها إلى أفراد . وكقاعدة ، فالمسؤول الحكومي نفسه الذي يعهد اليه بادارة أحد أملاك الدولة بصفة شخصية يكون مسؤولاً مسؤولية شخصية أمام إدارة المالية . وكمثال على ذلك فالأراضي المحيطة بعين نجم تعتبر ملكاً للدولة ، لكن ادارتها عهد بها إلى وزير المالية الذي عهد بها بدوره إلى وكيله في الاحساء . ونتيجة لذلك ، فالمرء يجد من يؤكد له من بين الاحسائيين بأن هذا البستان المحدد يخص الحكومة أو وزير المالية أو الأراضي الحكومية .

٣ - أراض زراعية مملوكة ملكية مستقلة لأفراد .

٤ - أراض زراعية مملوكة لأكثر من شخص :

وتعرف في المنطقة باسم (شراكة مفرز) والتي يملك الأفراد أنصبة معينة ومنفصلة ضمن البستان . ويسقى هذا النوع بجميع حصصه كبستان واحد ، من مصدر واحد . لكن العمل فيه وحصاده يتم بصفة مستقلة .

٥ - الملكية المشتركـــة :

يطلق عليها مصطلح (شراكة مشاعة) والتي بموجبها يملّك البستان ملكية مشتركة من قبل مجموعة من الناس يقومون سوية بأحياء الأرض وفلاحتها وسقياها وحصادها وجني ثمارها . ويحصل كل على نصيبه بعد بيع الحصاد ، كل حسب مقدار سهمه من ملكيته للأرض المزروعة . وهذا النوع من البساتين والتي يكثر وجودها في الاحساء ، غالبا ما يكون سبب وجودها أما كونها من ملاّك سابقين أو كونها مملوكةً ملكية متعددة بسبب قسمة الوراثة .

يملك عدد كبير من الاحسائيين أجزاء من بستان من الانواع ٤ ، ٥ ، رغم أن هناك نزعة لتحويلها إلى ملكية فردية .

وقد جرت العادة★ بأنه اذا رغب شخص يملك قطعة زراعية أو سهماً في بستان في بيعها ، فينبغي عليه مفاتحة شركائه عما اذا كان أحدهم راغباً لدفع ثمن يماثل أعلى سعر مقدم له من غيرهم . وفي هذه الحالة سيحصل الشريك على الملكية مفضلاً على غير الشركاء الراغبين في الشراء .

وقد جرى العرف في المنطقة بشكل واسع أن يتم في مثل هذا النوع من الملحية الزراعية وضع ادارتها تحت مسؤولية ناظر أجير ، يطلق عليه محلياً لقب «وكيل» والذي يكون محترفاً سواء أكان من بين الشركاء أو من غيرهم . ويكون التعيين لمدة

(★) انها ليست عادة بل حكم من أحكام الشريعة يسمى «حق الشفعة» . (المترجم) .

سنة واحدة يتم الاتفاق على إبرامه في اجتماع ودي يتم بين الملاّك ، وغالبا ما يتم بالاجماع . وإن كان في أحيان كثيرة يتم برغبة من هو أكبر الملاّك نفوذاً . يدير الناظر كل الأمور وينتهي دوره بعد إشرافه على توزيع حصص المبيعات على الشركاء . وأحيانا يكون دور الوكيل في البساتين الواردة من النوع ٤ ، خاصاً باشرافه على الري ، أما التأبير والعناية العامة بالأشجار والحصاد وجني الثمار ، فتكون غالبا مسؤولية فردية للمالك .

عندما يراد بيع أرض أو عقار فانه يتوجب على المشتري أن يدفع مبلغاً نقدياً يزيد على ٥٠٪ من المبلغ المتفق عليه إلى المالك . وقد يختلف هذا المبلغ ، إلا أنه عموماً يتراوح ما بين ٥٠٪ إلى ٦٠٪ ، وسواء تم أو لم يتم نقل الملكية الفعلية في هذا الوقت فان ذلك يعتمد على إنشغال الأفراد . ويعد الوقت القصير عادة أياماً قليلة أو عدة أسابيع إلا أنه لا يتعدى مطلقاً موسماً زراعياً واحداً . وبعد دفع المبلغ النقدي المقدم يذهب الطرفان سوية إلى مكتب المالية في الهفوف ثم يسجلان عملية البيع لدى كاتب العدل للحصول على وثيقة الملكية بصورة رسمية . يحصّل مكتب المالية رسماً مالياً يبلغ ٥٪ من ثمن البيع يدفعها المشتري ولا تستقطع من الثمن المدفوع . واذا كان هناك وسيط في عملية اتمام البيع فانه يحصل على عمولة تبلغ حوالي ٤٪ وحسب العادة المتبعة فانها تدفع من قبل المشتري أيضا . يحتفظ المكتب الحكومي بنسخة من وثيقة الملكية في دفتر تسجيل الملكية . وعند تحرير وثيقة الملكية يلزم المشتري شرعاً بدفع المبلغ المتبقي من الثمن .

رغم أن هناك نظاماً حكومياً ينص على وجوب تسجيل كل الأملاك ، وأن على كل مالك أن يكون في حوزته وثيقة ملكية ، إلا أن العديد من البساتين لم تسجل حتى الآن . واذا ما حصلت مشكلة حول الملكية أو حدودها فانها تعرض على محكمة الهفوف ، واذا اتضح للقاضي عدم وجود وثيقة ملكية أو تسجيل يثبت معلومات عنها ، فان المالك قد يتعرض للسجن ودفع غرامة تبلغ ضعف الرسم المفروض على ثمن البيع . وقد أثمرت جهود الحكومة في السنوات الراهنة الرامية إلى تسجيل جميع الأملاك في الاحساء في السجلات الرسمية اذ حققت تقدماً كبيراً .

يجب أن تتضمن كل وثيقة ملكية تاريخ البيع واسمي الطرفين في عملية نقل الملكية والثمن المدفوع والموقع واسم العقار ووصفه وأيام الري وساعاته المخصصة له .

تسمى الأرض التي لم تزرع على الاطلاق خراباً أو أرضاً خالية . أما الأراضي المزروعة بأشجار النخيل فيطلق عليها اصطلاحاً كلمة عمـــار . وتسمى حقول الأرز ضواحـــي . أما الغراريف فاصطلاح يستخدم لتمييز الأرض التي تسقى بالواسطة وحدها كرفع المياه باليد أو بواسطة الحيوان .

ومعظم الفلاحين في الاحساء هم من المستأجرين ، يدفعون إيجاراً إلى المالك يسمى (صبره) . ويعد هذا الايجار رمزياً اذ يبلغ ٥٠٪ من بيع محصول التمور ، مع أنه في الوقت الحاضر أدى التنافس حول إقتناء الأراضي الزراعية إلى اعطاء الملاّك ميزة اذ رفعت من نسبة الايجار . هذا ويمكن للمستأجر الاحتفاظ بكل الفواكه والخضروات والبرسيم التي يستطيع زراعتها وكذلك يمكنه الاحتفاظ بجزء من الدبس الذي يعصر خلال عملية تجفيف التمور . ويستطيع كذلك الاحتفاظ بكل المنتوجات الثانوية للنخل ما عدا التمر . ويتحمل المالك المصاريف المالية العامة اللازمة للعناية والاصلاح العام للبستان مثل العمل على صيانة قنوات الري الرئيسية ووضع عبّارات وما إلى ذلك .

تكون عملية التأجير عموماً لمدة سنة واحدة فقط لكنها غالبا ما تتجدد تلقائياً ، كما أن وجود عقود تمتد لأكثر من سنتين أو ثلاث سنوات ليس أمراً نادراً . إن الاستئجار الفردي للقطع الزراعية يكون غالبا للقطع الصغيرة التي لا تتجاوز في الغالب أكثر من نصف فدان ، وربما كانت أصغر من ذلك بكثير . ويقوم المستأجر بزراعة القطعة بنفسه بمساعدة عائلته .

يسمح في الاراضي الواقعة على أطرف الواحة ، وغير المملوكة ، باقامة المساكن ، واحياء ما حولها من الأرض مجاناً . ويكون الماء المتوفر في هذه المناطق هو المتسرب من البساتين ، ولذا يكون مالحاً جداً ولا تؤخذ عليه رسوم مقابل الري .

أما قطع الاراضي غير المزروعة في داخل الواحة وغير المملوكة ، فيمكن غالبا استئجارها دون مقابل .

يقضي العرف بأن يدفع المستأجر للمالك جزءاً قليلاً من ثمن بيع الخضروات . في حالة وفاة المالك يمكن للمستأجر أن يتحلل من العقد (لصالح العقار) ، وذلك في حالة



غرافة كبيرة ترفع مياهها بواسطة الحمير

كون البستان معدوداً من الأراضي التي تسقى بالغراريف فقط ، دون أوراق رسمية . أما التحلل من العقد لأي من الأراضي الأخرى ، سواء من قبل المستأجر أو المالك ، فان الأمر يتطلب صدور أمر من المحكمة الشرعية .

يمكن للمرأة والأطفال أن يمتلكوا عقاراً زراعياً . وعلى المرأة توكيل شخص يتولى الأمر نيابة عنها يسمى وكيل . أما الأطفال فيجب تعيين وصيّ عليهم حتى بلوغهم سن الرشد ، ويحصلوا على اذن شرعي يؤهلهم بالتصرف وادارة أعمالهم .

ثالثاً : الـــــــــــريّ :

تدور الحياة في الاحساء حول ري الواحة في هيئته المحلية لسقي النخيل بالمياه من الينابيع المتدفقة . ان هذه العناصر المجتمعة تشكل بؤرة التركيز الزراعي للاحساء . فمثلما ينشىء البدو نظاماً متخصصاً جداً ومتقناً بمصطلحات معقدة تدور حولها حياة البداوة والترحال ، فقد طور الاحسائي انماطاً مفصلة لأساليب ري الواحة وزراعة النخيل ومفردات معقدة متشابهة .

من وجهة النظر بالنسبة للري تقسم البساتين في الاحساء إلى نوعين : نوع يسقى دون الاستعانة بالآلات الميكانيكية ، أي أن الماء يتدفق طبيعياً وفقاً لميل سطح البستان . ونوع يستلزم استخدام آلات ميكانيكية لرفع المياه .

يطلق على النوع الأول «سيح» . ويشمل البساتين الكبيرة التي تزرع محاصيل متنوعة يكون من بينها وبشكل أساسي التمور والأرز . ويسمى النوع الثاني «المغراف» ، ويضم بشكل كبير حقولاً زراعية صغيرة تخصص بشكل رئيسي لانتاج الخضروات والبرسيم ، وقد توجد أشجار النخيل في بساتين المغراف ، إلا أنه لا توجد بساتين نخل كبيرة تسقى بهذه الطريقة . ورغم أن كلا النوعين من البساتين متناثرة على الخريطة الزراعية في الواحة ، إلا أن زراعة المغراف تتميز عادة بوقوعها قرب منابع العيون ، كما أنها أكثر إنتشاراً في الجزء الغربي للواحة الشرقية .

ري السيـــــــح :

تمر المياه بعد تدفقها من منابعها خلال قنوات تسمى «مسقى» تحول المياه إلى البساتين . يصنف هذا النوع من الماء من قبل سكان الاحساء كماء حر أو نقي .

عندما يحين الوقت المحدد لري البستان الواقع على المسقى (والذي يتم عادة وفق جدول دقيق أصبح تطبيقه عادة راسخة) ، يتحتم على مالك البستان فتح بوابة القناة الخاصة بري بستانه ، وأن يدع الماء ينساب إليه . حينها يسقى البستان «يشرب» من هذا الماء مثل ما يقوله الاحسائيون .[١] ان البساتين الواقعة على المسقى ، على أية حال ، تتميز بكثافة عالية من الرطوبة ، ولذا فانها لا تستوعب كل نصيبها من ماء الري المخصص لها . ونتيجة لذلك فهناك قناة أخرى لتصريف الماء الزائد عن الحاجة خارج البستان وعندها لا يعود الماء يحمل الاسم الأول «الماء الحر» بل يسمى ماء الطوائح ، ولا يعود يطلق على القناة اصطلاح مسقى اذ يعطى اسم مختلف هو «منجى» (يحتمل أن الاسم مشتق من كلمة ينجي ، يوفر) .

أحيانا ، يكون الماء الخارجِ من مسقى واحد يسقي بستاناً يقع قريباً جداً من النبع بما فيه الكفاية لسقيا بستان آخر ، وفي هذه الحالة فالمنجى يسير مباشرة من بستان نخل إلى آخر . وغالبا ما تلتقي عدة مناجي في مجرى واحد عام يطلق عليه اسم «ثبر» وهو الذي يوصل مياه الطوائح لمسافات طويلة ، ويتفرع منه أثناء جريانه قنوات فرعية صغيرة تسقي بساتين أخرى . تتكرر هذه العملية بواسطة سلسلة طويلة من القنوات : من البستان إلى المنجى ، أو ربما إلى الثبر وإلى بستان آخر وإلى منجى آخر ، وهكذا تستمر العملية حتى تصل مياه الطوائح نهايات المنطقة المزروعة ثم تفرغ مياهها داخل الصحراء أو تتجمع في السبخات المحيطة بنطاق زراعة النخيل ، وهناك تصبح مياه راكدة . يكون تجمع المياه في السبخات قليلاً جداً في شهور الصيف ، إلا أنها تتكاثر بشكل كبير خلال فصل الشتاء ، حين تصبح السبخات بحيرات حقيقة . وتشكل واحدة من أعظم مميزات الظواهر الطبيعية في

---

(١) هذا الاصطلاح الممتع منتشر كذلك بين فلاحي القطيف . فقد يقول الاحسائي ، كمثال : «الجفر يشرب من طوائح السليسل» ويعني بذلك أن البساتين التابعة لقرية الجفر تسقى بماء محدد لها متدفق اصلاً من قناة السليسل .

الاحساء .

وكما هو متوقع ، فالاحسائي الذي يملك بستاناً يسقى بالماء الحر بواسطة المسقى ، يكون فخوراً جداً بذلك ويكون نفوده وسمعته في المجتمع أكبر منها مما لو كان يستخدم ماء الطوائح . أما البساتين الواقعة عند أقصى نهاية نظام اعادة توزيع المياه وتجمعها ، فيطلق عليها بازدراء بأنها تسقى من طوائح الطوائح التي استخدمت مرتين . والمسافة هنا ، تقاس من مصدر الماء ، وليس لها علاقة بنظام الماء الحر - الطوائح . فبساتين المبرز أو الشرق مثلاً تكون قريبة جداً من مصادر المياه أكثر من تلك التي في قرية الطرف ، ومع ذلك فانها تسقى بمياه الطوائح بينما الماء الذي يصل قرية الطرف من نوع الماء الحر ، الحقيقة التي لا ينسى سكان الطرف - إلا نادراً - التركيز عليها للجاهل بها في أي وقت تناقش فيها أمور الزراعة .

وكقاعدة متبعة ، فان ماء الطوائح الذي يجري في ثبر يعاد توزيعه غالبا بشكل ملائم ، ونتيجة لذلك فالثبر لا يكون كبيراً جداً إلا في حالات قليلة . فالمياه المتسربة من عدد كبير من البساتين تجري مجتمعة في ثبر واحد يحملها لمسافة طويلة ، وفي هذه الحالة يشبه الثبر نهر صغير . وخير مثال لمثل هذا الثبر قناة السليسل التي يطلق عليها أحيانا نهر السليسل الذي يمد بمياه الطوائح الآتية أساساً من مياه عيني الحقل والخدود في جهة الشرق حيث تجري جهة الشرق ليسقي معظم الجزء الأوسط والشرقي من القرى الشرقية (الشرق) . وتكون واحدة من فروع قناة السليسل المعروفة باسم أبو الثيران كذلك ثبراً كبيراً جداً يحصل على مياه طوائح إضافية مصدرها عين برابر .

إن السببين المهمين المسؤولين أساساً عن إيجاد شبكة معقدة جداً لقنوات الري في الاحساء ونظام الري هما : الاول يكمن تماما في عدم خلط الماء الحر بمياه الطوائح في القناة نفسها . والثاني أن الاساليب التي أنشئت وفقها سلسلة الري التقليدية ، رغم التعديل الذي طرأ حسب القانون ، لم تتغير فعلياً على الاطلاق . فقد أفاد الرواة أن التغيير في جدول أو قنوات الري يمكن أن يحدث - وقد حدث - لكنهم لم يستطعوا الاستشهاد بمثال واحد . ولهذا الأسباب ، فاذا كانت هناك قناة ناقلة للماء

الحر إلى موضع محدد جرت عبر قناة أخرى تحمل الطوائح لاتجاه آخر ، فان واحدة منهما يجب أن ترفع بمساعدة قناة خاصة لسحب المياه مما ينتج عنه عدم اختلاط النوعين من المياه . وهكذا فانه يجب بناء قنوات طويلة ومعقدة وصيانتها . فمتى ما حدد لمزارع موضع نظام في الري ووقت في جدوله حتى لو حصل وكان بستانه أقرب إلى مصدر ثان من المياه فعليه الالتزام بما حدد له . وقد أسفر عن كل هذه النتائج التي يراها الشخص اليوم في نظام الري في الاحساء : قنوات مبنية ذات صفوف وسدود مبنية لرفع مستوى المياه وتحويلها إلى قنوات فرعية ، وأحيانا صفوف صخرية أيضا وفتحات صخرية للتحكم بتدفق مياه القنوات مزودة بجذوع النخيل وقنوات وجسور وعديد من الممرات والطرق داخل المساحة المزروعة بمحاذاة قنوات الري وعلى طول جانبيها .

عندما يشتري شخص بستاناً فان وثيقة الملكية (الصك) الذي يصدره مكتب المالية★ تحدد يوم ووقت الري وكذلك تعين قناة الري . وكل مالك مسؤولا شخصياً عن فتح فتحات ري بستانه واغلاقها وفقاً للجدول المطبق . واذا كان مهملاً في هذه الناحية فالشخص الذي يليه على قناة الري أو أحد المساهمين في ملكية البستان يمكن أن يحتج أما شخصياً له أو إلى الأمير مباشرة أو إلى قاضي المحكمة . إن نظام شيخ الفلاحة الموجود في شمال أفريقيا لتنظيم مثل هذه الأمور داخل نطاق الفلاحين أنفسهم ، غير موجود في الاحساء ولا يوجد أي تنظيم آخر مشابه على مستوى القرية .(١)

يختلف تكرار فترات الري وطول زمنها . ولهذا الاختلاف ما يبرره من أسس منطقية . فالبساتين الكبيرة تسقى لساعات أطول ومرات أكثر ، والبساتين القريبة من المسقى يكون طول فترات سقياها أقل من المخصص للبساتين البعيدة وذلك للتعويض عن الماء المتسرب أثناء التدفق أو الماء المتبخر . وعلى أية حال ، يجد المرء أحيانا أن جدول الري لا يقوم على أسس منطقية ، فبعض البساتين الصغيرة أو الحيازات

(١) أشار دوسون (١٩٥٢) ص ٥١ ، إلى «مسؤول الري» ويحتمل أن يكون عمدة القرية الذي يمارس نوعاً من الاشراف الفعلي رغم عدم وجود أي حق يؤهله التدخل رسمياً .

(★) المعروف أن وثيقة الملكية (الصك) تصدر عن كتابة العدل التابعة للمحاكم الشرعية . (المترجم)

القريبة من المسقى تحصل على ساعات ري أطول وتعطي أكثر من حاجتها . ويمكن أن يفسر هذا كاستخدام للأوقات غير العملية المتبقية حينما كان توزيع الأملاك الزراعية في هذه المنطقة أو حجم البساتين يبرر مثل هذا الجدول ، أو أن الملكية وحجم البستان قد جرى عليها تغيير ، إلا أن نظام الري بقي متبعاً كما كان من قبل بدقة . ونتيجة لذلك فان بساتين عدة تسقى في فترات كثيرة متتالية ربما تصل في الغالب إلى كل ثلاثة أو أربعة أيام .

يطبق جدول الري هذا على البساتين التي تسقى بنظام السيح وعدد قليل جداً من نظام المغراف . وحيث أن المغراف يكون عادة أصغر بكثير ولا يستنزف تدفق جدول الماء إلى حد يمكن تقديره .[1] تنفرد بعض البساتين الخاصة بعيون ماء خاصة مقصورة عليها سواء أكانت ينابيع أو من النوع التي يضخ ماؤها بالرفع ، وهذا النوع لا يخضع لأي تحديد في نظام ريها .

رغم تخصص الاحسائيين الفريد في شؤون الري ، إلا أن نظامهم ليس متقدماً تقنياً . فهناك أميال من جداول الري غير ضرورية ، وليست مصممة جميعها بدقة أو كما ينبغي بتبطينها بالحجارة . ونتيجة لذلك تضيع كمية كبيرة من المياه خلال تسربها تحت الأرض خاصة في الأماكن الرملية . ولا يوجد نوع من القنوات التي تمتد تحت الأرض وتقاوم البخر الشديد ، رغم أن هناك دلائل آثارية تثبت تطبيق هذا الأسلوب في الماضي . تكون الأراضي القريبة من الينابيع الرئيسية في الواحة الشرقية غالبا مشبعة بالمياه المتسربة إليها مما يجعل مستوى السطح المائي الأرضي المحتفظ به مرتفعاً جداً . ثم أن السدود والحواجز لم تنفذ في الغالب تنفيذاً هندسياً جيداً مما ينتج عنه تسرب الماء الطافح في بعض الأحيان إلى جميع الأراضي المحيطة بها . كما أنه لا يتم صرف الفضلات المتسربة واستخدامها .

تستهلك القنوات العديدة مساحات اكرية (فدانية) من الأراضي الجيدة للزراعة ، ويحتفظ النطاق المائي للأرض بالجذور مشبعة بشكل ملائم ، وكلما ازدادت ملوحة

[1] للمقارنة أنظر الروايات المختصة بملكية الأرض وحقوق الري في أقطار أخرى في الشرق الأدنى في كتاب : D. Warriner, 1948.

الأرض بسبب فقدان وسائل الصرف الملائمة كلما تدنت خصوبة التربة . وكلما انتشرت مياه ينابيع الاحساء على مساحة ممتدة ثم أعيد بعدئذ تجمعها من أجل إعادة توزيعها مرة أخرى ، فانها تمتزج بكمية كبيرة من الأملاح سواء من خلال رشح التربة أو من خلال عملية التبخر . وهكذا فان نوعية الماء تفسد بشكل تصاعدي . والاحسائيون ، خاصة أولئك الذين يعيشون في أطراف المساحة المزروعة ، هم على دراية جيدة بهذه الحقيقة . والجدول التالي يوضح درجة هذا الفساد في مياه الري .

جدول رقم (٥)
تحليل الملوحة في الاحساء
عينات من المياه

المعدن	أجزاء في المليون عين الحقل	عين الخدود	متوسط عين الحقل والخدود	السليسل (الدالوه)	قناة أبو الثيران
الصوديوم	١٨٨	٢١٠	١٩٩	٢٤٧	٧٧٢
الكالسيوم	١٨٣	٢٠١	١٩٢	٢٤١	٥٩٨
المغنسيوم	٢٦	١٢	١٩	١٦	١٦
كبريتات	٣٠٠	٣٢٤	٣٢١	٣٥٦	١٠١٣
الكلوريد	٣٥٥	٣٦٢	٥ر٣٨٥	٤٥٤	١٣٠٦
كربونات	--	--	--	--	--
ثاني كربونات	١٩٥	١٩٥	١٩٥	٢٣٨	٤١٥
المجموع	١٢٤٧	١٣٠٤	٥ر١٢٧٥	١٥٥٢	٤١٢٠

يعطي هذا الجدول مثالاً يوضح الزيادة في الملوحة في قنوات الري الرئيسية الممونة لمنطقة الشرق من مصادر المياه من ينابيع الحقل والخدود ، حتى تصل الطرف الشرقي لنطاق زراعة النخيل قرب المستوطنة الصغيرة لأبي ثور . أخذت العينتان الأوليتان من فوهة بحيرة عيني الحقل والخدود مباشرة . وأخذت العينة الثالثة من قناة السليسل على مسافة ٢٠٠ ياردة جنوب أسوار قرية الدالوه ، في موضع يقع

تقريباً في منتصف المسافة بين مصادر المياه ونهاية قناة السليسل . وأخذت العينة الأخيرة من قناة السليسل في المنطقة المجاورة مباشرة لقرية أبي ثور على مسافة ٥٠٠ ياردة شرقي القرية .[١] تبلغ المسافة بين ينابيع الحقل والخدود وقرية الدالوة ثمانية كيلو مترات تقريباً ، وتبلغ المسافة بين الدالوة وأبو ثور حوالي ستة كيلو مترات ونصف . وقد أدرجت تفصيلات زيادة الأملاح في الجدول رقم (٦) .[٢]

الجـــــدول رقم (٦)
ارتفاع الملوحـــــة خلال التدفــــق مـــن العينين (الخدود والحقل) في الحــــافة الشرقيـــة من الواحـــــة

المعـــدن	ارتفاع الملوحة من المصدر إلى قرية الدالوه		ارتفاع الملوحة من الدالوه إلى أبي ثور		مجموعة الارتفـــاع	
	الوحدة في المليون	النسبة المئوية	الوحدة في الميلون	النسبة المئوية	الوحدة في المليون	النسبة المئوية
الصوديـــوم	٤٨ (+)	٢٤ر٦	٥٢٥ (+)	٣١٢	٥٧٣ (+)	٣٨٩
الكالسيـــوم	٤٩ (+)	٢٥ر٥	٣٥٧ (+)	٢٤٨	٤٠٦ (+)	٣١٢
المغنسيـــوم	٣ (-)	١٥ر٧	--	--	٣ (-)	١٥ر٧
كبريتـــــات	٤٤ (+)	١٤ر٣	٦٥٧ (+)	٢٤٨	٧٠١ (+)	٣٠٨
الكلوريـــــد	٩٥ر٥ (+)	٢٦ر٩	٨٥٢ (+)	٣٤٩	٩٤٧ر٥ (+)	٢٧٤
كربونـــــات	--	--	--	--	--	--
ثاني كربونات	٤٣ (+)	٢٢	١٧٧ (+)	٧٠ر٥	٢٢٠ (+)	٢١٣
المجمـــوع	٢٧٦ر٥ (+)	٢١ر٧	٢٥٦٨ (+)	٢٦٤	٣٨٤٤ر٥ (+)	٣٢٣

---

(١) أخذت العينة شخصياً وقام بتحليلها صالح بن علي في مختبر الهندسة النفطية ، شركة الزيت العربية الأمريكية ، الظهران . من أجل الالمام بالتحليل الشامل . انظر الجدول رقم ٨ .

(٢) بما أن جميع المياه من عيني الحقل والخدود اللتين تتدفقا في قناة السليسل ، وأنهما تموّنان نسبة قد تصل إلى ٩٠٪ من الماء المتدفق في قناة السليسل ، فان معدل الملوحة للعينتين قد أخذت من موضع انضمام المياه إلى القناة .

أما العين الكبريتية الحارة المسماة عين نجم فتركيبة ملوحتها تختلف اختلافاً واضحاً عن الأملاح الموجودة في مياه الري في الاحساء والتي أوضحت في الجدولين السابقين . وقد دل تحليل نسبة الأملاح في ماء عين نجم عن النتائج الموضحة في الجدول رقم ٧ .

يوضح الجدولان السابقان ما يأتي :

١ - إنا ماء عين الحقل لا يختلف اختلافاً ذا شأن في تركيبة ملوحته عن ماء الخدود . على الأقل من وجهة النظر المتعلقة بالملوحة . وأن هذا الماء مناسب جداً لأغراض الري في الاحساء .

٢ - يوجد ارتفاع طفيف ، لكنه ارتفاع ذو معنى في الملوحة بين مصادر مياه قرية الدالوة ، اذ يقرب من خمسين جزءاً في المليون في كل المعادن باستثناء انخفاض تافه في المغنسيوم يبلغ ثلاثة أجزاء في المليون ، وإرتفاع يبلغ تقريباً مائة جزء في المليون في الكلوريد . ان هذا الارتفاع يظل طفيفاً ربما بسبب وجود كميات كبيرة من المياه المتدفقة في هذه المنطقة ، وإلى سرعة جريانه العظيمة ، والانتشار الكبير للظل في المنطقة الذي يوفر حماية ضد أشعة الشمس والرياح ، مما أدى بالتالي إلى بخر أقل .

٣ - يوجد ارتفاع هائل في الملوحة المتجمعة في الماء نفسه في المنطقة الواقعة بين قرية الدالوة وقرية أبو ثور في الكيلو السادس أو الكيلو الثامن من تدفقه . تتمثل هذه الزيادة بشكل خاص في الكلوريد والكبريت والصوديوم . يجري الماء في هذه المنطقة ببطء ويعاد استخدامه مراراً في مساحة كبيرة يكون الظل الذي يقيه من الشمس والريح أقل بكثير مما في الحالة السابقة .

٤ - بينما يوجد ارتفاع يبلغ حوالي ٢٧٥ جزءاً في المليون عند قرية الدالوة يرفع نسبة الملوحة في الماء إلى ١٥٥٢ ، الأمر الذي يعني أن الماء يظل استخدامه ممكناً لأغراض الزراعة المحلية ، إلا أن الارتفاع الذي يقارب ٣٠٠٠ جزءاً في المليون بين المصدر وطرف الواحة يرفع مجموعة نسبة الملوحة إلى أكثر

من ٤٠٠٠ جزءاً في المليون وبذلك يكون الماء عديم الفائدة لأي شيء ما عدا زراعة النخيل التي تنتج تموراً ضئيلة الجودة ، اذا قورنت بتلك النوعيات الجيدة في أي مكان آخر في الاحساء .

يعتبر سكان منطقة العمران التي تبلغ نسبة الملوحة في مياهها أعلى نسبة ملوحة في مياه الاحساء ، أن مياههم غير صالحة للشرب ، ولذا فانهم يحضرون حاجاتهم من مياه الشرب من ينابيع في داخل الواحة .

جدول رقم (٧)
تحليل الملوحة في ماء عين نجم

المعـــدن	أجزاء في المليـــون
الصـــــوديـــوم	٢٩٩
الكالسيـــــــوم	١٩٦
المغنسيــــــوم	١٦
كبريتــــــات	٣٨٩
الكلوريـــــــد	٤٦٢
كربونــــــات	---
ثاني كربونـــــات	١٧١
المجمـــوع	**١٥٤٠**

الري بالمغـــــراف :

طور سكان الاحساء أداتين مختلفتين من أجل رفع الماء من النبع أو قناة الري عندما تكون أرضية البساتين أرفع من مستوى الماء . احداهما تدار باليد ، والثانية تستخدم قوة الحمير . ويعتمد استخدام أي منهما على مدى ارتفاع البستان فوق مستوى مياه الري وعلى كمية الماء المطلوبة .

(أ) استخدام الحمير في رفع المياه :

يسمى هذا النوع في الاحساء عموماً باسم «مرّكب» ويسميه البعض «قلب» .[١] وتتألف العناصر التي تدخل في تركيبه من : اطار خشبي مع عمود معترض (محور) في أعلاه مزود بعدة بكرات متحركة تكون عادة أربعاً وفي بعض الحالات ستا وفي حالات نادرة ثمان . يوضع هذا الاطار مباشرة فوق العين أو الحوض أو فوق مجمع الحوض المستطيل المجاور لقناة الري . ويمر حول كل بكرة حبل مع دلو جلد مثبت في نهايته ، وتربط نهايته الأخرى بالحمار . ويوجد حبل ثان يربط في أسفل الدلو الجلد ويمر فوق اسطوانة متحركة في اسفل الاطار الخشبي وتربط النهاية الاخرى بالحيوان . تسير الحمير جيئة وذهاباً على منحدر مائل ، والذي يكون قائم الانحدار باتجاه المحور الطويل لحوض المياه المستطيل . وفي وسط هذا المنحدر المائل ، موازياً لطريق الحمير يوجد طريق للشخص المسؤول عن العملية . يتوقف ميل المستوى جزئياً على الحيز المتاح . اذ أن الحيز يكون ذا قيمة عالية بسبب العدد والمحيطات المتعرجة لقنوات الري أو كثافة الزراعة . ويمكن أن يصل ميل المنحدر حداً أقصاه عشرون درجة . وهناك عامل آخر ، اعتيادي وأن لم يكن شاملاً ، يتمثل في استخدام مجموعة من أشجار الزيزفون Zizyphus أو سعف النخيل لتوفير ظل للانسان والحيوانات . وعند المستوى المساوي لمستوى البستان يفرغ الماء مباشرة في قناة ري أو بركة مغلقة يمكن بواسطتها تحويل الماء إلى الجهة المرغوبة .

يعمل نظام المركب كالتالي : عندما يبدأ الحمار في صعود المنحدر فان الدلو يهبط إلى مستوى الماء . وعندما يصل إلى قمة المنحدر يقف الحمار ويستدير متيحاً فرصة للدلو ليمتلىء . يصنع الدلو من الجلد ويكون شكله تقريباً على هيئة قمع واسعة عند الفوهة وضيقة عند القاعدة ويمكن أن يحوي ماء يقارب ربع وزن الحيوان الذي يسحبها . يسحب الدلو بواسطة الحبل الأعلى الذي يمر عبر بكرة في أعلى الاطار ، وعندما يتحرك الحمار نازلاً وفي الوقت نفسه يسحب الحبل الثاني المربوط في أسفل الدول ليمر فوق الاسطوانة المتحركة الموجودة في أسفل الاطار الخشبي مما يؤدي

(١) يذكر شيزمان أن هذا النوع يطلق عليه سدس ، إلا أننا لم نسمع بهذا المصطلح في الاحساء ولا بكلمة دولاب التي اشار إليها لوريمر . انظر : Cheesman, 1926, P. 74 and Lorimer, 1908, P. 242.

إلى سحب الدلو مشدود ومغلقة جزئياً ورفع قاعدة الدلو . يحسب طول الحبلين بعناية ليتم خلال نزول الحمار إلى أسفل المنحدر المائل وسحب الدلو من مصدر الماء بالحبل الأعلى ويحتفظ الحبل الأسفل بفم الدلو مغلقة تماماً قدر الامكان ويحتفظ بمحورها بعيداً عن الخط العمودي لمنع تسرب المياه . يصل الدلو إلى مستوى البستان في نفس اللحظة التي يصل فيها الحمار نهاية المنحدر وعندها يستدير عائداً ، وهذا يقود تلقائياً إلى ارتخاء الحبل الأسفل وفتح الدلو ليتدفق الماء إلى البركة العليا المعدة خصيصاً لهذا الغرض ومنها إلى قناة الري . وتكرر العملية من جديد مرات ومرات .

تصنع البكرات والاسطوانات المتحركة من الخشب وتزود بمحاور خشبية . وبما أنها لا تزيت فان صوت صرير حركة البكرات يقطع أطراده ببطء ضخ الماء في البركة . تلازم أو بالأحرى تلاحق هذه الأصوات كل زائر للاحساء عندما يتجول بين البساتين أو يمكث فيها لان أصوات صرير تلك البكرات والاسطوانات تسمع من مسافة بعيدة . وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه الرحالة الأجانب فغالباً ما رووا ذلك في كتاباتهم ، وهي الآن تلفت انتباه قليل من الزوار العرب الذين وجدوا أن الفكرة مذهلة وأن البكرات صنعت خصيصاً مما يمكن مالك الغراف أن يسمع دون أن يغادر منزله أصوات ست أو سبع من أجهزة رفع الماء في المنطقة المجاورة ، وأن يميز عما اذا أكانت رافعته تعمل أو لا تعمل ، وعما اذا كانت كل حميره تعمل في رفع المياه أو لا تعمل . ان هذه الاجزاء العملية تبدو كأنها الهام رومانسي . وهكذا فان من الحقائق أن مالك الغراف يستطيع تميز صوت غرافته من بين عديد من الغرافات سواء أكانت تعمل أم لا . مثل بالضبط ما يستطيع كبير العمال في مشغل آلي وهو في مكتبه ان يعرف عما اذا كانت مخرطة معينة تعمل . وبما أن الصوت نتيجة ، فان مدي الصرير المختلف لا يبين الوقت الذي صنعت فيه الاله . وخاصة في حالة بكرات السواني التي تكون جميعها من الخشب وقد تم صنعها باليد ولم تصنع وفقاً لمعايير فنية معينة . والنتائج المختلفة لطول القطر وسماكة الخشب واتجاه السطح ... الخ . ينتج عنها بالضرورة مدى واسعاً لأصوات الصرير ، والتأقلم معها يجعل التلقين بصناعة مماثلة ومطابقة أمراً ممكناً .

الجـــدول رقم (٨)

التحليل الكيميـــائي لماء الاحســـاء

		قناةالسلسيل عند :				
		عين الحقل	عين الخدود	الدالــوه	أبو ثــور	عين نجم
أجـــزاء فـــي المليـــون	الصوديـــــوم	١٨٨	٢١٠	٢٤٧	٧٧٢	٢٩٩
	الكالسيـــــوم	١٨٣	٢٠١	٢٤١	٥٩٨	١٩٦
	المغنسيـــوم	٢٦	١٢	١٦	١٦	١٦
	كبريتـــــات	٣٠٠	٣٢٤	٣٥٦	١٠١٣	٣٨٩
	الكلوريـــــد	٣٥٥	٣٦٢	٤٥٤	١٣٠٦	٤٦٩
	كربونـــــات	--	--	--	--	--
	ثاني كربونـــات	١٩٥	١٩٥	٢٣٨	٤١٥	١٧١
	مجمـوع الامـــلاح	١٢٤٧	١٣٠٤	١٥٥٢	٤١٢٠	١٥٤٠
النسبـــة المئويـــة	الصوديـــــوم	٢١ر٠٣	٢٢ر٦٥	٢٢ر٣٠	٢٥ر٢٩	٢٧
	الكالسيـــــوم	٢٣ر٤٧	٢٤ر٨٩	٢٤ر٩٦	٢٣ر٠٦	٢٠ر٢٨
	المغنسيـــوم	٥ر٥٠	٢ر٤٦	٢ر٧٤	١ر٠٢	٢ر٧٢
	كبريتـــــات	١٦ر٠٤	١٦ر٧٢	١٥ر٣٥	١٦ر٢٨	١٦ر٧٨
	الكلوريـــــد	٢٥ر٧٣	٢٥ر٣٤	٢٦ر٥٦	٢٨ر٤٦	٢٧ر٤٢
	كربونـــــات	--	--	--	--	--
	ثاني كربونـــات	٨ر٢٣	٧ر٩٤	٨ر٠٩	٥ر٢٦	٥ر٨٠
مجموعة	القلويـــــات	٢١ر٠٣	٢٢ر٦٥	٢٢ر٣٠	٢٥ر٩٢	٢٧
	أكسيـد ضنيــل	٢٨ر٩٧	٢٧ر٣٥	٢٧ر٧٠	٢٤ر٠٨	٢٣
	الرائحـة والطعـم					
	حوامض قويـــة	٤١ر٧٧	٤٢	٤١ر٩١	٤٤ر٧٤	٤٤ر٢٠
	حوامض ضعيفـــة	٨ر٢٣	٧ر٩٤	٨ر٠٩	٥ر٢٦	٥ر٨٠
الخاصة الكيميائيـــة	أملاح أوليـــــة	٤٢ر٠٦	٤٥ر٣٠	٤٤ر٦٠	٥١ر٨٤	٥٤
	أملاح ثانويـــة	٤١ر٤٨	٣٨ر٨٢	٣٩ر٢٢	٣٧ر٦٤	٣٤ر٤٠
	القلويـة الاوليـــة	--	--	--	--	--
	القلوية الثانـــوية	١٦ر٤٦	١٥ر٨٨	١٦ر١٨	١٠ر٥٢	١١ر٦٠
	الاملاح الكلورديـــة	٦١	٦٠ر٢٥	٦٣ر٣٧	٦٣ر٦١	٦٢ر٠٤
	الامـلاح الكبريتيـــة	٣٨ر٤٠	٣٩ر٧٥	٣٦ر٦٣	٣٦ر٣٩	٣٧ر٩٦
	الفنيـــــل	٧ر٢	٧ر٩٥	٨ر١	٧ر٩٥	٧ر٩

ومثل هذا النظام يكون عملياً تماما مما يمكن من رفع كمية الماء بمقدار جيد ، كما أنه إقتصادي إلى حد كبير اذ يمكن تعويد الحمير على القيام بذلك دون حاجة إلى إشراف مباشر أو مستمر لأكثر من شخص واحد . وفي البساتين الكبيرة المملوكة من قبل أشخاص أغنياء فان عمل الحمير يكون بالتناوب حينما يعمل الرجال ساعات أطول ، اذ يعملون طيلة النهار في حالة الطواريء .

٢ - الرفـــع باليـــــد :

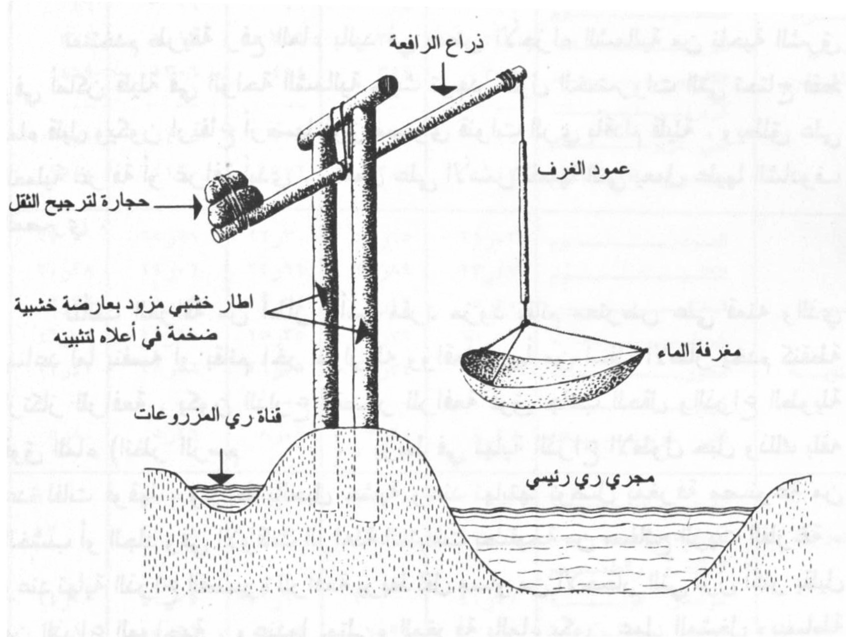
تستخدم طريقة رفع الماء باليد في بعض الأجزاء الشمالية من ناحية الشرق وفي أماكن قليلة في الواحة الشمالية حيث توجد حقول الخضروات التي تحتاج فقط لماء قليل ويكون ارتفاع أرضها فوق مستوى قنوات الري بأقدام قليلة . ويطلق على العملية غرافة أو غرافة أيدي . وتعمل على الأسس نفسها التي يعمل عليها الشادوف المصري .

تتألف الغرافة من أطار رأسي مفرد مزود بقائم معترض على قمته والذي يساعد أما بنفسه أو بقائم آخر مواز له وواقعاً قريباً من أسفل الاطار يخدم كنقطة ارتكاز للرافعة . يكون الذارع القصير للرافعة فوق جانب الحقل والذراع الطويلة فوق الماء (انظر الرسم) . يربط في نهاية الذراع الاطول حبل وذلك بلفه عدة لفات فوقها ، ويربط بالحبل خشبة وعند نهايتها توصل بمغرفة مصنوعة من الخشب أو الجلد وفي الاوقات الراهنة استبدلت بصفيحة من صفائح الزيت الفارغة . وعند نهاية الذراع القصيرة للرافعة يربط ثقل مساو من الاحجار التي تزن أكثر بقليل من الذراع المواجهة . وعندما تمتليء المغرفة بالماء يكون عمل المشغل وببساطة مجرد سحب العصا إلى الاسفل ، ويدع المغرفة تمتليء بالماء ثم ينزع العصا للثقل المساوي لتسحب المغرفة إلى أعلى . ويقوم عندئذ بقلب المغرفة وجعل ماءها يجري في قناة الري .

ومعظم هذه الرافعات تتكون من رافعة واحدة وفي الحقل الواحد يديرها رجل واحد ، رغم أنه يوجد في بعض الحقول رافعتان تحتاجان لرجلين لتشغيلهما .

وللحكم من واقع عدد الغرافات وتوزيعها في الاحساء ومن المصطلحات الموجزة التي تطلق عليها وعلى أجزائها ، ومقارنة مع الرفع بواسطة الحمار فانه يبدو أن هذه الطريقة ليست متخصصة كثيراً في الواحة .

يوجد في الاحساء كذلك آبار قليلة محفورة بعضها يوجد في القرى النائية ، مثل الآبار الأربع في قرية الجشة ، ولكن بعضها يوجد في البساتين الكبيرة المملوكة للأثرياء . يطلق على هذا النوع مسمى ارتوازي اشتقاقاً من الكلمة الانجليزية



رسم ايضاحي للغرافة اليدوية المستخدمة للري في المنطقة

Artesian . يستخدم قليل منها مضخات متحركة تدار بوقود البنزين بدلاً من استخدام الحمير لرفع الماء ، علماً أن إقتناء المضخات لا يقدر عليه إلا الأغنياء .

حفرت الآبار الارتوازية منذ سنوات قليلة . ويصل عمقها احيانا إلى ما يعتقد

أنه أعماق الاحساء . فالبئر الموجودة في بستان سمحة يقال أن عمقها يتجاوز ٨٥٠ قدماً . ويعتقد أن معدل المياه في آبار الاحساء الارتوازية يصل حوالي ٧٠٠ قدم . وهذه طبقة بارزة حاملة للماء تقع في شرق الدهناء .[١]

وقد حفرت الحكومة واحدة من هذه الآبار جنوب غربي الاحساء من أجل تموين البدو المخيمين في الرقيقة بالماء ، ولا سيما وأن المنطقة الآن في طور التحول إلى منطقة استيطان كبير جداً .

من الشرح السابق لأنظمة الري في الاحساء والمواضع التي أشير إليها أثناء وصف القرى ، فان الملخص العام التالي له ما يبرره :

١ - ان نوع السيح هو أكثر أنظمة الري أهمية في الاحساء .
٢ - اذا كانت درجة النظام وتعقيده وصرامته تعد مقياساً للقدم ، فوفقاً لعلم الأعراق البشرية ، فان نوع السيح يعد كذلك النظام الأقدم في الاحساء .
٣ - ان نظام القناة المستخدم أحيانا على طول أطراف الواحة يبدو أنه استحدث مؤخراً وأنه لا يحظى باستحسان السكان . ونتيجة لذلك فقد هجر ، رغم امكان بقاء استخدامه لتحقيق الفائدة في الوقت الحاضر .
٤ - إن مخزون المياه في الاحساء الآن وفقاً لكل الدلائل أقل مما كان عليه في الماضي .
٥ - إن تأثير الجفاف وزحف الرمال يبدو أنها كانت من العوامل البيئية المسؤولة عن تضاءل مخزون المياه وانكماش الرقعة الزراعية .

٦ - علاوة على عوامل البيئة المشار إليها ، وهي فوق مستوى تحكم الانسان ، فان الممارسات الزراعية غير الصحيحة أثرت تأثيراً كبيراً في تدهور زراعة الاحساء .
٧ - رغم التدهور البيئي فان اجماع الآراء تبدو متفقة على أن ماء الاحساء يمكن استخدامه بصورة أفضل وأكثر نفعاً وتأثيراً مما يستخدم اليوم .

---

(١) يذكر المؤلف في رسالة الدكتوراة جبال طويق بدلا من الدهناء . (المترجم)

٨ - تميل ملاحظاتنا للاشارة إلى أنه إذا جرت محاولة لتحسين أساليب استخدام الأرض الزراعية في الاحساء ، فان الصعوبات الرئيسية لن يكون لها وجود فيما يتعلق بالأمور التقنية المحضة مثل ادخال الآلة والتغيير في أنواع المحاصيل . ولكن الصعوبات تبقى كامنة في العناصر الفلاحية غير التقنية وخاصة تلك التي تتعلق بملكية الأرض والنظام الصارم المطبق حالياً والخاص بنظام توزيع مياه السيح .

رابعاً : زراعة النخيل والعناية به :

تعد أشجار النخيل الأولى في الأهمية من بين كل محاصيل الاحساء الزراعية المتعددة وهي تشغل مكانة مهمة في الحياة مثل ما يشغله الجمل في حياة البدو في الصحراء . ليست التمور هي المحصول الوحيد الذي ينمو في الواحة على أية حال ، رغم أنها لا تشكل محصولاً كبيراً من نوع واحد . يزرع في الواحة أنواع مختلفة من محاصيل أخرى وبكميات مناسبة مثل الأرز والبرسيم . إلا أن جدواها الاقتصادية ليست مهمة مثل التمور ، في الوقت الحاضر على الأقل . تتخصص بساتين النخيل الكبيرة عادة بانتاج التمور ، ما عدا تلك التي تكون أشجار النخيل فيها متباعدة اذ يزرع بينها وبكميات كبيرة نبات البرسيم . ويزرع عملياً البرسيم بكميات قليلة في كل بساتين النخيل .

أما حقول الأرز فنظراً لمتطلبات ريها الخاصة التي تتطلب أن تكون حقولاً متخصصة . فانها لا تزال موجودة في مناطق قليلة في الواحة الشرقية ، عندما يجمع محصولها وينشر ليجف يستخدم الحقل نفسه لزراعة بعض أنواع القمح الشتوية . وهكذا فان هذه الحقول تغل محصولين في السنة . وهناك بساتين أخرى ، يطلق عليها اسم بستان إلا أنها تكون مزروعة بمحاصيل متنوعة ويتوفر فيها نوعيات متعددة وكثيرة من النباتات والأشجار مع صف واحد عريض من النخيل بموازاة أطراف البستان .(١)

وكما أشرنا آنفاً ، فالاحساء تضم ما يزيد قليلاً على ٣٠ر٠٠٠ فدان من الأرض المزروعة . وقد قيل مراراً بأن هذه المساحة يمكن مضاعفتها أو على الأقل مضاعفة انتاجها بمجرد حفر آبار قليلة ومد أنابيب ذات سعة ثمان بوصات ولمسافات قليلة .(٢) ويبدو أن هذه مبالغة كبيرة . والتقدير الأكثر اعتدالاً ومنطقياً هو تقدير

(١) ان مصطلح بستان ليس شائع الاستخدام في الاحساء ، لكن العديد من الاحسائيين متمسكون جداً بأن تسمية بستان ونخل يجب أن لا تتداخل مطلقاً .

(٢) Rihani, 1930, P. 95, De Gaury, 1946, P. 131.

توتيشل اذ خمن احتمال توسعة المساحة المزروعة من ١٢٫٠٠٠ إلى ١٥٫٠٠٠ فدان .[1] ويمكن أن تضم معظم الاضافات في منطقة العيون وشمالي شرقي قرية الجشة وفي منطقة بركة الأصفر ، ويمكن الانتفاع إلى حد كبير من مياه الصرف التي تهدر حالياً . ويبدو أن تربة منطقة بركة الأصفر أفضل وأكثر ملاءمة للتطوير الزراعي .

إن أهمية البساتين بالنسبة للاحسائيين لا يمكن أن يبالغ في تقديرها . اذ أن لها قيمة اقتصادية في انتاج الطعام وأخشاب البناء وغيره من الخشب ومنتجات أشجار أخرى للأثاث المنزلي والاستخدامات الصناعية وأعلاف الحيوانات ومواد للمقايضة ، خاصة المحاصيل النقدية ، وتزداد كمية الانتاج للمحاصيل المطلوبة والتي كانت موضع طلب لعدة قرون مضت ، ويصدّر فائض مناسب إلى أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية بل وإلى الأقطار المجاورة . وبما أن الطلب على منتجات الاحساء موجود في كلتى الناحيتين في الشرق والغرب ، فقد ساعد فائض المنتوجات على فتح طريق مطروق بصورة جيدة وصيانته وهو قناة الاتصال بين نجد والخليج العربي . ونتيجة لذلك فقد احتفظت الاحساء باتصال دائم مع عمق الجزيرة والاقطار المحيطة بها حول الخليج العربي ، وأصبحت مركزاً مهماً للتجارة البدوية .

توجد كذلك عوامل أخرى ، فاذا استبعدنا جانب الاهمية الاقتصادية البحتة ، التي تحظى بها زراعة النخيل في الاحساء ، هناك أهمية أخرى تتجلى في قيمة الراحة والاستجمام من المناخ الشاق والمرهق . وهناك عامل آخر ، ربما كان في أهمية العامل الأول يكمن في أهمية البساتين والعيون كمراكز للاختلاط الاجتماعي

(١) Twitchell, Wathen and Hamilton, 1943, PP. 92 - 93.

في رأينا أن ضخ الماء في أنابيب لتجنب الرشح واتلاف التربة بالماء المتسرب . ولمقاومة التبخر ، لن تكون خطوة جيدة ولن يتقبلها الاحسائيون . فسوف تفقد قنوات الاحساء وقيمتها فيما يخص الجمال والاستمتاع الذي سيختفي . والحقيقة التي تقول ان تلك القيمة غير منطقية من وجهة النظر المادية ، لا تستند نفسها على مقاييس ، ولا تنقص على الاطلاق من أهميتها القصوى في حياة الاحساء . ويجب على المرء اعتبار التباين الجذري بين الاحساء والصحراء المحيطة بها ليفهم هذه الأهمية .

والاتصالات العملية غير الرسمية . وفيما يتعلق بهذا العامل فان الاجتماعات المتكررة في بساتين النخيل تكون بالنسبة للطبقة العليا من الاحسائيين بمثابة وظائف اجتماعات الاندية وحفلات غداء العمل المعتادة في الولايات المتحدة الامريكية ، ومقاهي الأرصفة في أقطار البحر الابيض المتوسط ووجار القهوة في خيمة شيخ القبيلة . ويلعب البستان بالنسبة للطبقة الاجتماعية الدنيا من فلاحي البساتين دور مركز الاتصالات غير الرسمية التي تؤديه المكاتب والمشاغل الغربية . ففي بساتين النخيل لا يكسب الاحسائي مالاً فقط لكنه كذلك يستمع إلى الاخبار ويتبادل الاسرار والاخبار الشخصية وتبرم الصفقات التجارية وتسوى المشاكل العائلية . ويجب أن يوضع في الذهن أن البساتين كما هي الينابيع تنتج بالاضافة إلى ذلك مكافآت معتبرة للناس فيما يختص باشباع الرغبة الجمالية الفنية . وبالنسبة للاشخاص الذين لا يملكون بساتين نخيل فان الينابيع تحقق لهم كل الوظائف غير الاقتصادية .

ومن المحتمل جداً ، نتيجة لهذه الأسباب المتنوعة ومن بينها بالتأكيد بل أكثرها أهمية الاعتبارات الاقتصادية والجاذبية الاستثنائية لمثل هذه المساحة النباتية الكبيرة وكذلك هذه الغزارة المائية والبرودة المتوفرة والأمكنة الظليلة في وسط بيئة جرداء محاطة في شرقها بالصحراء ، فان بساتين الاحساء توفر كذلك عائداً مساوياً معتبراً لملاكها فيما يختص بالحصول على النفوذ والهيبة في مجتمعهم . وهي هيبة تكون منطقياً متعلقة مباشرة بكبر مساحة البساتين التي تغطي مدى واسعاً جداً . لكن السببين ليسا مترابطين تماما بعلاقة تبادلية . فالفرق في النفوذ بين امتلاك بساتين صغيرة وبساتين كبيرة هو من الناحية العملية ليس بذي أهمية كبرى مثل ما هو بين المالك لبستان صغير وشخص لا يملك شيئاً .

وبما أن الظروف الاقتصادية الراهنة تميل إلى التركيز على أهمية الأملاك . فان تصنيف المجتمع فيما يختص بتحديد نفوذ مجموعات يتم حسب امتلاكها للبساتين . وان كان ذلك غير واضح في التمييز بين أفراد طوائف المجتمع . ويبدو

أن فقدان النفوذ يقع في مرحلة تالية لفقدان أملاك زراعية . وعلى أية حال ، فان التعميم لما سبق ذكره يظل حقيقة ومن المحتمل أن يستمر كذلك لبعض الوقت .

رغم أن الظروف الاقتصادية الحالية لا تشجع على زراعة النخيل ، إلا أن الاحسائيين مترددون في هجر بساتينهم . وينتشر اعتقاد شائع بين الناس في الوقت الحاضر مفاده إن إنخفاض عدد سكان قرى الاحساء كان نتيجة لترك زراعة النخيل من قبل المزارعين الراغبين في العمل في حقول النفط . ويبدو أن هذا التبرير غير صحيح . فالاحسائيون يظهر أنهم يهجرون القرى أولاً ثم يتخلون عن بساتين النخيل بعد ذلك بوقت طويل . فعدد كبير من العمال الاحسائيين الذين تركوا قراهم من أجل العمل خارجها للحصول على أجر يظلون محتفظين بامتلاكهم لأراض زراعية صغيرة . واذا اجبر الاحسائي نتيجة للضغوط الاقتصادية على بيع بستانه ، فانه عموماً ، سيحاول أولاً اما أن يمكث فيه كعامل أجير أو - اذ لم ينتج عن ذلك فائدة كافية - يعمل في أحد مجتمعات الواحة الكبرى آملاً أن يبتسم له الحظ مما يمكنه من أمتلاك بستان مرة أخرى . أما الانتقال للعمل في حقول النفط فانه الخيار الثاني بالمقارنة مع موقف البدو الذين لا تربطهم رابطة بالتربة وهم على استعداد دائم للانتقال إلى مواقع عمل بعيدة .

وهناك حقيقة لا شك فيها ، مفادها أن بعض المتغيرات الاقتصادية الجارية في الوقت الحاضر في الاحساء ، حدثت اما بسبب التنقيب عن النفط في شرق شبه الجزيرة العربية ، أو أنها تأثرت بعملياته . إلا أنه فيما يختص بظروف زراعة النخيل بشكل خاص ، فهناك بعض العناصرالبيئية والتاريخية والزراعية لعبت دوراً مهماً ليس له علاقة بصناعة النفط والتطورات الصناعية الحديثة .

يمكن أن يعزى استعداد الاحسائي لمغادرة القرية بحثاً عن فرص العمل مع احتفاظه بالبساتين ، في رأينا ، كصورة معتدلة للاحتفاظ أو البقاء المميز لزراعة البدو بين السكان المستقرين . فمعروف أن البدو الذين يملكون بساتين نخيل أو نخلات قليلة في واحة ما ، غالباً لا يعمدون إلى الاقامة الدائمة هناك بل يتجولون خلال المنطقة مع قطعانهم ، وينصبون خيامهم في الواحة ذات العلاقة أو قربها خلال

مواسم التأبير وجني المحصول . وفي حالات قليلة يؤسس البدو أماكن إقامة شبه دائمة أو حتى دائمة في واحة ، إلا أنه اذ حدثت ظروف غير متوقعة مثل إنتشار الملاريا في واحة يبرين ، فان البدو يغادرون فوراً موقع القرية دون التخلي عن ملكية بساتين النخيل (وهذه هي النقطة الجديرة بالاشارة) . وتظل عادة الاقامة المؤقتة خلال موسم التأبير وجني المحصول عادة متبعة . وموقف الاحسائي بناء على ذلك ، يبدو في الاساس مختلفاً عن هذه الميزة البدوية الزراعية المتأصلة عبر قرون من زراعة الواحة ، وليست وفقاً لمواقف المزارعين في بعض أجزاء من العالم الذين يسكنون عادة في مركز حول مجتمعات قروية . اذ لم يغادر عدد كبير من سكان الاحساء مع كامل أسرهم إلى خارجها ، ولذا فان حالة تدهور القرى تكون أكثر وضوحاً من تدهور البساتين ،، وتؤكد روايات الاحسائيين بثبات حتى أولئك الذين غادروا الواحة ويعملون الآن في حقول النفط ، إن حياة المجتمع تتركز حول البساتين وليس العكس . ان تفسيرنا السابق ، وبالتحديد ، ان البساتين تم الاحتفاظ بها من قبل بعض عمال صناعة النفط وغيرهم من اجل أن يضيفوا شيئاً إلى دخلهم الفردي من خلال بيع المحصولات أو الانتفاع الشخصي بالمنتجات ، وقد ثبت كذلك من خلال نظرة فاحصة أن عامل الجاه والنفوذ في تملّك البستان يظل العامل الأعظم أهمية .

إن الاهمية الاقتصادية والعوامل الاجتماعية وقيمة الجاه ، عملت مجتمعة لينتج عنها مجموعة من الأمور التي ترمز إلى أهمية زراعة بساتين النخيل والاحتفاظ بها . فمعظمها مسور ، ويعمل السور بصفة عامة من سعف النخيل وجريدها ، إلا أنه في حالة كون البستان كبيراً فانه يسور بسور من الطين . ويقوم الأثرياء بتسوير بساتينهم بأسوار حجرية بغض النظر عن حجم البستان ، وغالبا تبنى بوابة دخول جميلة ذات أبواب مصنوعة من قضبان حديدية .

تتميز البساتين الكبيرة المملوكة لفرد ، أو قطع الأراضي الزراعية الكبيرة التي يملكها عدة أشخاص بأن يطلق عليها أسماء خاصة غالبا ما ترتبط بالأساطير . ولعل أفضل مثال معروف في هذا الخصوص بستان أبو ليلة . وهو بستان نخل يقع في منطقة قرية الفضول يقع شرقي القرية مباشرة وجنوبي الطريق المؤدي إلى العقير وهو مواجه لبستان الحمدانية المشهور . وقد دون فيلبي اسطورته قائلا بأن البستان

يحيي ذكرى «فمن اسمه حصلت حادثة رومانسية منذ سنة مضت عندما فتن مالكه الأول بجمال سيدة معروفة من الهفوف والتي لا تزال تعيش جانية مساومتها السهلة لمقايضة حق الابن البكر مقابل ليلة واحدة من ليالي السعادة» .[1] ويبدو أن فيلبي حصل إلى حد ما على شخصيات الأسطورة وأحداثها في هذه القصة المعكوسة . فكما رويت الاسطورة لنا ثم أعدنا التثبت منها من قبل ستة رواة احسائيين آخرين فانها حدثت حسب السياق الآتي : ان أحد تجار الهفوف المتزوج من زوجتين وفي ليلة معينة كانت نصيب أحداهن لينام معها ، ساومته الزوجة الأخرى المالكة للبستان على أنه إذا ألغى الجدول المتبع بين زوجتيه ونام معها بدلا من الأخرى ، فستهديه البستان في صبيحة اليوم التالي . فوافق الزوج على هذا العرض وتم نقل ملكية البستان في اليوم التالي . ومنذ ذلك الحين عرف البستان باسم أبو ليلة . ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك فيذكر أنه رغم اغتنام فرصة العرض إلا أن الزوج اعتبر ذلك سلوكاً غير مبرر من قبل زوجته ولذا قام بطلاقها بعد ذلك بوقت قصير من وقوع هذه الحادثة مع احتفاظه بملكية البستان . ويعرف معظم سكان الاحساء هذه القصة . ويذكر عموماً أن القصة حدثت منذ زمن طويل وإن كان هناك أشخاص يروون أن الشخصية الرئيسية في هذه القصة كان محمد الجغيمان والد مالك البستان الحالي أحمد بن محمد .[2]

وعلاوة على كثرة أسماء الأماكن والأساطير المرتبطة بالماء والبساتين ، فقد طور سكان الاحساء مفردات خاصة ليست مشتقة دائما من اللغة العربية الفصحى ، يطلقونها على أنواع متعددة من أعمال الزراعة وأدواتها .

بسبب صغر المساحة الاكرية (الفدانية) مقارنة بالكثافة السكانية الكبيرة ، وكما هو موجود في أي بيئة صحراوية ، فإن الأرض الزراعية تعد شيئاً ثميناً يقدر بأعلى من قيمتها ، وأن زراعتها يجب أن تكون مكثفة . يعمل كل شيء عادة ويدار باليد حتى جرف التربة وحرثها وهناك حيز ضيق لاستخدام الآلة لتوفير العمالة البشرية .

(١) Philby, 1923, Vol. I, P. 21. تبدو جملة فيلبي غير واضحة . (المترجم)

(٢) أخبرنا شخص أن المرأة لا تزال على قيد الحياة ، إلا أنه ليس من الاشخاص الذين يعتد برواياتهم عادة ، ولذا فروايته محل شك كبير .

فالحراثة لا تستخدم في الاحساء رغم توفر القوة الحيوانية . وقد عمل حجم البساتين وظروف تجزئتها بقنوات ري متدفقة في كل الاتجاهات ضد استخدام الآلات الحقلية ، وإن كان بالامكان استخدام الحراثات التي تجرها الحمير والماشية والانتفاع بميزتها . وفي الوقت الحاضر ، كما كان مطبقاً خلال الألفي سنة الماضية من قبل الفلاح الاحسائي ، فان الأدوات المستخدمة هي في الأساس قدوم ومحش مع وجود تنوع لهذه الأدوات : قدوم صغير وكبير ومعاول وبعض أنواع مختلفة من المعزقة ومحاش صغير وكبيرة ومناجل . ويتميز المنجل عموماً بحافة أسنانه القاطعة . والأدوات التي تكون بدون أيدى من كل هذه الأدوات تكون كذلك ذات أطوال مختلفة .

من الملفت للنظر أن الاحسائيين رغم معرفتهم للعجلات ، لم يستخدموها في أغراض النقل حتى القرن الحالي ، وبما أنهم يملكون حيوانات ويعرفون أهمية حرث التربة إلا أنهم لم يستقدموا الحراثة اطلاقاً ، ورغم كونهم يمتلكون أدوات ذات حافة قاطعة إلا أنهم لم يخترعوا الفأس أو يستقدموه أبداً . ولذا فانهم يستخدمون قدوماً طويلاً ونحيفاً أو معولاً عند قطع جميع أنواع الخشب سواء للوقود أو البناء ما عدا في تلك الحالات عندما صار في الأوقات الحالية ، يستخدم المنشار . وتلك الأنواع من القدوم والمعول من الأدوات التي يطلق عليها علماء الانثروبولوجيا الوصفية ضربة قدوم بدلاً من ضربة فاس ، أي أن الحافة القاطعة للأداة تكون موازية لجسم العامل وعمودياً إلى يد الأداة . ويقطع الخشب عادة في صفوف رأسية باتجاه ألياف الخشب بدلاً من تقاطعه لها . ويبدو أن القطع الفعال لضربة الفأس غائبة عن انتباه الاحسائي رغم أن مجرد الاختلاف الجوهري يكمن فقط في نمط اليد المتصلة والمطلوبة لصنع فأس من قدوم .

نستطيع أن نجد تبريراً عقلياً لفعالية العاملين التاليين :

أولاً : أن النقل بالعجلات اذا ما قورن بالنقل على ظهور الحيوانات ، ليس فيه متعة مماثلة كما سيظهر ، عندما تغوص العجلات في الرمال ، خاصة وان البلاد مزودة بآلاف من الحمير الرخيصة . وقد بدأ النقل على العجلات في الازدياد السريع في الاحساء ، كما أن استخدام عجلات السيارات جعلت بناء عربات تجرها الحمير

أمراً ممكناً .

ثانياً : معظم الخشب المستخدم في الاحساء من خشب النخيل وهو عبارة عن خشب ناعم ومن مواد ليفية ، وفي غياب أنواع من الخشب الصلب فان استخدام الفؤوس الأكثر فعالية للقطع ليست في الواقع ضرورية . ولكننا نظل عاجزين عن التفكير في أي تبرير عقلي لغياب الحراثة .

ان تضاريس أرض الاحساء ، كما مر معنا ، هي غالبا وفي أي مكان متصلة ومعتدلة الميل من الغرب إلى الشرق ، وكون البساتين غالبا أعلى قليلاً من سطح الأرض . وأن البقعة بأكملها مقسمة إلى مربعات صغيرة ذات إرتفاعات مختلفة بواسطة حواجز صغيرة لا ترتفع أكثر من عشر أو أثنتي عشر بوصة . وتجرى فيها قنوات ري ضيقة متفرعة من قنوات رئيسية إلى كل مربع وبصفة متكررة كذلك ، فالحواجز المستطيلة الصغيرة التي تفتح في اتجاه تدفق المياه تبنى حول أشجار النخيل الفردية من أجل أن تحتفظ بالمياه لوقت أطول .

أما المحاصيل الزراعية الأقل كثافة في زراعتها في واحة الاحساء ، فانها تتضمن التالي :

١ - من بين الفواكه يوجد التين ، الخوخ والمشمش والاترج [(١)] والليمون والليمون الحامض . وتنتشر أشجار الفاكهة في جميع أراضي الواحة ولا تتركز إطلاقاً في جزء معين من البساتين . أما ملاحظة الريحاني أن بساتين الفاكهة بين قريتي الجشة والفضول أوحت له بغوطة دمشق فيبدو أنها مبالغة .[(٢)] اذ لا يوجد في الاحساء بساتين فاكهة مشابهة لتك .

٢ - أما مزارع الخضروات فوجودها أمر شائع داخل بساتين النخيل الكبرى اذ تحتل الفراغات الموجودة بين أشجار النخيل . وتشمل زراعة الباذنجان والبامية والطماطم (أدخلت زراعتها مند وقت قريب) وعباد الشمس والسمسم

(١) سماه شيزمان خطأ برتقال ، رغم أنه لاحظ أن موسم جني الثمار قد أنتهى منذ عدة أسابيع بالنسبة للبرتقال في العراق . انظر : Cheesman, 1926, P. 26.

(٢) Rihani, 1928, P. 96.

وزراعة التبغ والخروع والنعناع واليانسون والحناء وأشجار اللوطس . وقد ذكر وجود شجرة النيلة لكن لوريمر نفاه ،[1] ولم أرها . وقد روى زويمر وبركهارت وبلجريف وجود زراعة قصب السكر إلا أن شيزمان وفيلبي ولوريمر نفوا ذلك .[2] ولم تلاحظ زراعة ذلك المحصول خلال اقامتنا في الاحساء . ويحمل الاحسائيون بذور عباد الشمس في جيوبهم ويقشرونها بأسنانهم ويأكلونها خلال اليوم .

يزرع بعض القطن في الواحة وان لم يكن بكميات يعتد بها . ويستعمل معظم الانتاج المحلي لحشو الوسائد والمساند . ويجلب معظم القطن إلى الاحساء من إيران والهند عبر البحرين . وفي الوقت الحاضر تدرس الحكومة امكانية زراعة القطن في الاحساء كواحد من المحاصيل النقدية . يزرع المنجا (الأقبه) والموز كذلك في الواحة في الوقت الحاضر لكن يبدو انهما جلبا حديثا وأنهما لا يزالان في طور التجربة . والمحاصيل الزراعية الأخرى هي : انواع متعددة من البطيخ والحبحب والقرع واليقطين والبصل والثوم والفجل والبقول . كما تزرع أنواع صغيرة من الفاصوليا واللوبيا والفول وأنواع مختلفة من السبانخ وجزر صغير ولكن بكمية صغيرة . ويستورد الزعفران .

يستحق نوعان آخران من المحاصيل إشارة خاصة وهما المشموم والببّايا . والمشموم عشب عطري من فصيلة النعناع ينمو بشكل وفير في بساتين الواحة ويبلغ ارتفاعه حوالي القدمين . وتعتبر أوراقه ذات أهمية خاصة أو تستخدم كجزء من لوازم التجميل النسائي . فقد جرت العادة أن تضفر نساء الاحساء جدائلهن في أربع جدائل طويلة أثنتان في الجزء الامامي وأثنتان تسدل على الظهر وتربط أوراق المشموم مجتمعة في رزم ثم تنظم مجتمعة وتجدل تلك السلسلة مع الشعر قبل الذهاب إلى النوم . تجدل بعض النساء منظومات المشموم مع الجدائل الأربع ، إلا أن الأغلب على أية حال تكون مع الجديلتين الأماميتين فقط . ويذكر أن للمشموم رائحة جذابة ومغرية بشكل متميز . وينسب صلته بالقرى والمدن الواقعة في الأطراف الجنوبية

---

(١) Lorimer, 1908, P. 656.

(٢) Zwemer, 1900, P. 114; Lorimer, 1908, P. 656; Philby, 1923, Vol. II, P. 153; Cheesman, 1926, P. 69.

والجنوبية الشرقية القصوى من شبه الجزيرة العربية حيث تنمو الزهور بشكل وفير ، ويفضل الورد والياسمين حيث يعد المشموم من أدوات التجميل الثانوية .

أما فيما يختص بالببّايا فان وجوده أو غيابه في الاحساء ، كان موضوع خلاف طويل . وخلاصة الخلاف حول مسألة الببّايا كالتالي :

١ - روى بلجريف سنة ١٨٦٦ أن الببّايا يزرع في الاحساء ، رغم أن زراعته نادرة ومثيرة .(١)

٢ - ينفي فيلبي في سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣م زراعة الببايا في الاحساء . وينسب ذلك الخبر إلى معلومات أخرى غير صحيحة أوردها بلجريف . ويختتم فيلبي روايته بأن بلجريف لم يزر الاحساء إطلاقاً .(٢)

٣ - يوافق شيزمان في سنة ١٩٢٦م أقوال فيلبي ، لكنه يوضح أن خطأ بلجريف لم يكن منافياً للطبيعة كما يبدو فالخروع يمكن أن يكون هو الذي قاد بلجريف إلى خطأه ، وهو خطأ يمكن أن يحدث بسهولة . وعلى أية حال ، اختتم شيزمان روايته مؤكداً بأن بلجريف لابد أنه زار الاحساء ، اذ أنه روى في مناسبتين الخلاف بين روايات فيلبي وبلجريف ورأى أن روايات بلجريف كانت صحيحة وأن فيلبي كان مخطئاً .(٣)

٤ - روى دوسون في سنة ١٩٥٢م أنه رأى الببّايا في الاحساء سنة ١٩٥١م ، مضيفاً بأسولبه التقليدي الوقح «اجسر على التحدي بعد استنتاجنا أنه ليس فقط فيلبي ولكن صديقي القديم شيزمان كذلك لم يزر تلك المنطقة» ، وعلى أية حال فدوسون يوافق على امكانية أن الببّايا قد أدخلت زراعتها في الاحساء بعد زيارة شيزمان .(٤)

---

(١) Palgrave, 1866, Vol. II, PP. 155-156.
(٢) Philby, 1923, Vol. II, PP 117, 156.
(٣) Cheesman, 1926, PP. 69-70.
(٤) Dowson, 1952, PP. 53-54.

نعتقد أن ليس فقط القبول الأخير لدوسون يخفي المشكلة المحيرة للمسألة ، ولكنها خاصة ، اذ اعتبرنا أن الزمن الذي تداخل بين زيارة بلجريف ودوسون كان ثماني وخمسين سنة ، وأن أيًا منهما لم يزر الواحة بأكملها ، وهذا احتمال مرجح للجميع بدءاً من بلجريف إلى دوسون ، فالحقيقة أن الببّايا يزرع في الواحة كما رأينا في سنة ١٩٥٣م . وثمة حقيقة أخرى فرغم أن زراعته ليست ملفتة للنظر أو مثيرة ، فعدد أشجار الببّايا قليلة العدد ، ففي بستان سمحة المشهور كمثال يوجد بها أربع شجرات ببّايا فقط وقت زيارتنا ومعظم المزارع لا يوجد بها شيء منها على الاطلاق . والأشجار التي لاحظناها يقال أنها زرعت في أواسط أربعينيات القرن العشرين ، بينما أفادنا البعض بأن أشجاراً قليلة من الببّايا أدخلت زراعتها في ثلاثينيات القرن نفسه . ومهما كان تاريخ ادخال زراعتها ، فان زراعة أشجار الببّايا لا تزال حتى الآن في دور التجربة أو النشأة فقط بالنسبة لمالك البستان . ومن الممكن جداً أن أحداً من مزارعي الواحة قد بدأ التجربة أو هذه المبادرة الأولية قبل زيارة بلجريف . وأن هذا الرحالة صادف أن رأى بعضاً من الأشجار القليلة تنمو في ذلك الوقت . ولا يعد أمراً مثيراً أو مفاجئاً أن توجد أشجار قليلة فقط من صنف غير معروف لمعظم الاحسائيين متناثرة هنا وهناك على مساحة تبلغ أكثر من ٣٠٫٠٠٠ فدان من الأرض الزراعية ، فان كل من فيلبي وشيزمان لم يتح لهما رؤيتها وخاصة فيلبي الذي أمضى في الاحساء يومين فقط . ومن الممكن كذلك أن المرحلة الأولى لتجربة زراعة الببّايا كانت فاشلة وأن الأشجار الميتة قد أعيد إدخال زراعتها بعد زيارة شيزمان ، وعلى أية حال ، فان رواية بلجريف تبدو أكثر الروايات صواباً من بين الروايات الثلاث الأخرى .(١)

تنمو أشجار الزيزفون والسنط والاثل بكثرة في الاحساء ، خاصة أشجار الاثل التي تستخدم بكثرة في أغراض البناء . اذ تغطى معظم السقوف في الاحساء جزئياً بسيقان الاثل . وتحتاج أعداد قليلة من المنازل الكبيرة إلى سيقان طويلة لسقوفها أطول من تلك التي تنمو في الاحساء ، ولذا تضاف أخشاب الكندل التي تستورد من الهند وأفريقيا . ولا تنمو أشجار يمكن أن توفر صناعة خشبية ولذا تستورد الألواح

(١) هذا لا يبريء بلجريف من مجموعة متكررة كثيراً من معلومات غير صحيحة موجودة في وصفه للاحساء . فقد ذهب به التطرف إلى الاشارة إلى ثلاث قرى ليس لها وجود على الاطلاق في الواحة . انظر :
Cf. Philby, 1923, Vol. II, PP. 128-129.

الخشبية الثقيلة والسميكة عموماً من الهند ، ليتم محلياً تصنيع الاحتياجات السكانية منها مثل النوافذ والأبواب .

تنمو الأعشاب البرية في الواحة وكذلك بعض القصب والاسل في المستنقعات . وتزرع ثلاثة أنواع مختلفة من الاعلاف : البرسيم والرشيدي (نوع من الحامض) وأنواع مختلفة ومتنوعة من الرشيدي تسمى نجم . ومن بين الأنواع الثلاثة فان البرسيم يعد ثاني أكبر محصول زراعي في الاحساء ، وهو المحصول الوحيد الذي يزرع بكثافة كبيرة ، وبما أنه ينمو على مدار السنة ويحصد كل ستة أسابيع ، فان ناتج البرسيم يعد كبيراً رغم عدم توفر أرقام احصائية . كما أنه ليس هنك تقرير يمكن تقديمه في الوقت الحاضر . يستخدم معظم البرسيم طعاماً للحمير ، ومع تضاؤل عدد الحمير التدريجي فقد فقد البرسيم أهميته .

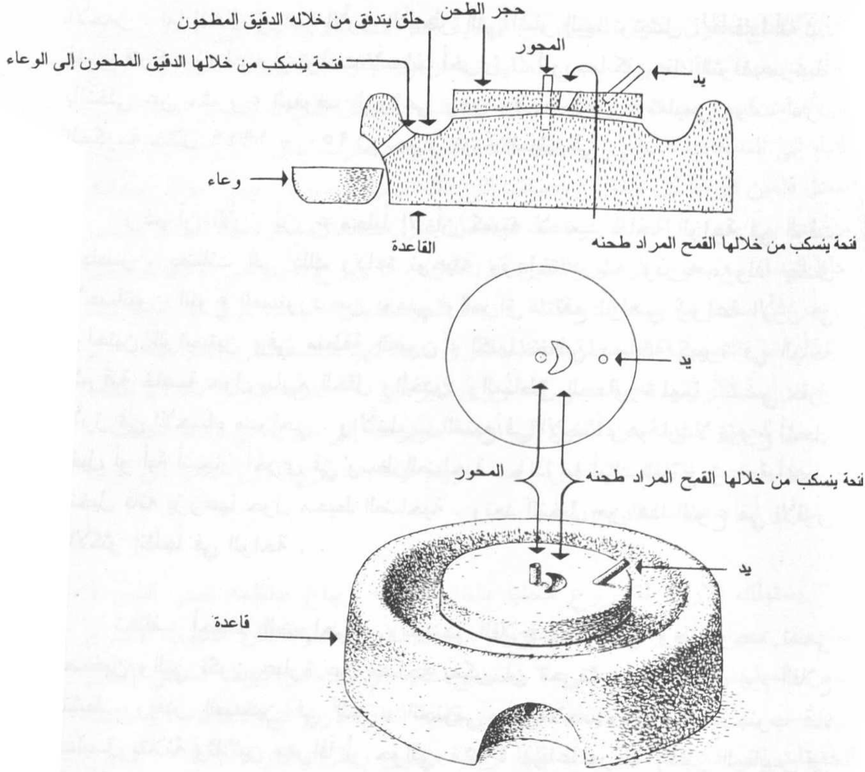
يعتبر الفلاحون الاحسائيون أن أفضل وقت لزراعة البرسيم هو الموسم الابرد من السنة ، ووفقاً لحسابهم يوافق ذلك الوقت الفترة من ٦ فبراير إلى ١١ فبراير . ويحددها الفلاحون بالفترة ما بين ١٩ - ٢٥ من برج الدلو ويطلقون عليها «أيام الزرع» . كما أنهم يعتقدون أن أي بذرة تزرع بعناية في هذه الأيام ستكون سالمة من أمراض النبات طيلة أيام السنة .

تزرع الحبوب في الواحة وتشمل : الذرة والدخن والشعير وأنواعاً من القمح الابيض والاحمر .[١] ويوجد هنا وهناك قليل من سيقان الذرة . وباستثناء القمح والذرة فان أهمية المحاصيل الأخرى ضئيلة . يزرع الشعير في الارض الجافة في الشتاء خاصة غرب المنطقة الواقعة حول السبخات شمالي الهفوف .[٢]

لا تستخدم الكمية القليلة من الذرة للاستهلاك الآدمي بل لاطعام الحيوان . أما الأنواع الأخرى من قمح اللويقمي فانها تستخدم لصنع نوع من الكعك حلو صغير تسمى لقيمات تباع دائما في السوق .

(١) ذكر المؤلف أن النوع الأحمر يسمى صيادية Sa'idiyyah إلا أنه في رسالة الدكتوراة أسماه لويقمي .

(٢) ان زراعة الشعير هي أحدى النقاط الأخرى التي اختلف حولها بلجريف وشيزمان وفيلبي . فقد قال فيلبي أن شعير الشتاء ينمو في الاحساء رغم أنه ليس وفيراً . انظر : Cheesman, 1926, P. 68.



رسم للرحى اليدوية المستخدمة في المنازل لسحق الدقيق في منطقة الاحساء

لم تلق زراعة هذه الحبوب فيما يبدو استحساناً كبيراً من قبل الفلاحين في الاحساء . ويذكر أنه عندما منعت الحروب استيراد كميات كافية من الارز والقمح كان هناك توسع في زراعة الحبوب محلياً ولكن بعد زوال الطواريء تقلصت زراعتها مرة أخرى لأن استيراد كميات كبيرة من الأرز والقمح أكثر جدوى اقتصادية من زراعتها . وبالرغم من حقيقة أن الأرز لم يحل مؤخراً مكان القمح كعنصر أساسي في غذاء الاحسائي ونظراً للكمية الكبيرة من المياه في الاحساء التي تجعل الغمر بالماء ممكناً ، فان الأرز يحتل المكانة الثالثة الكبرى في الواحة والمكانة الثانية في الأهمية كمحصول نقدي . والأرز الذي ينمو في الاحساء من النوع

الأحمر . أما إدخال زراعة الأرز الأبيض التي أشار إليها توتيشل .[١] فاما أنه ثبت فشلها فتركت زراعته أو توقفت لأسباب أخرى .[٢] وربما كان ذلك التوقف مرتبطاً بالتخلي عن مشروع الهفوف الزراعي وهو حقل تجريبي وتعليمي مولت ادارته الحكومة خلال ١٩٤٩ - ١٩٥٠م بجوار قرية المطيرفي .[٣]

رغم أن الأرز يزرع محلياً إلا أن كميته لا تسد حاجة الواحة في الوقت الحاضر . يضاف إلى ذلك رداءة نوعيته ورداءة درسه وذريه ، ولذا يفضل الاحسائيون النوع المستورد من بومبي والعراق . تقع أراضي زراعة الأرز في الواحتين الرئيستين وفي منطقة العيون ، لكنها تغطي مساحة كبيرة في الواحة الشرقية خاصة حول ينابيع الحقل والخدود والمناطق المجاورة لهما . تسمى حقول الأرز في الاحساء ضواحي . والأسلوب المتبع في الاحساء هو أن لا تزرع أشجار نخيل أو أية أشجار أخرى في وسط الضاحية ، واذا ما أراد الفلاح زراعة أشجار النخيل فانه يزرعها حول محيط الضاحية . وتعد النخيل من هذا النوع هي الأقوى والأكثر إنتاجاً في الواحة .

تختلف أحجام الضواحي ، ويقيسها الفلاح الاحسائي وفقاً لوحدة تسمى الصخين والتي تكون عبارة عن مساحة يمكن أن تحرث بمعدل عمل يوم الفلاح النشط . ويقدر الصخين في الجزء الجنوبي من الاحساء وبالتحديد جنوب قناة السليسل بثلاثة وثلاثين مغرافاً أو حوالي ٤٧٥٠ ذراعاً مربعاً (انظر المقاييس في الفصل الثـــالث) ، وفي القسم الشمالي يقدر بأربعين مغرافاً . ويشرح الفلاحون أن التباين سببه طبيعة كون الأرض فهي في الجنوب طينية بينما تكون في الجزء الشمالي رملية أكثر ، وبذلك تكون أسهل للزراعة .[٤]

---

(١) Twitchell, Wathen and Hamilton, 1943, P. 11.

(٢) ذكر في رسالة الدكتوراه أن أرز الاحساء ينقسم إلى نوعين مختلفين يسمى النوع الأكثر انتشاراً المعاوده Al-Mauda'ah ولونه ضارب للحمرة ، والسيحماوي Al-Suheimaui ولونه ضارب إلى البياض . (المترجم) .

(٣) حين اعداد هذا الكتاب كانت تجرى محاولة لاعادة تشغيل الحقل التجريبي . (أعيد بالفعل - المترجم) . انظر : Crary, 1951, PP. 371, ff.

(٤) هذه الفقرة اضافة من رسالة الدكتوراه . (المترجم) .

تحتاج حقول الأرز لمزيد من العناية أكثر مما تحتاجه بساتين النخيل ، ولذا تستنزف جهداً شاقاً يصرف على العناية بها من قبل مزارعي الاحساء . كما أنها تحتاج إلى كميات كبيرة من الماء خلال فصل الصيف ، العامل الذي يساهم في عدم تسرب المياه إلى السبخات المجاورة خلال تلك الشهور . يحرث حقل الأرز وتقلب تربته بمعدل قدمين تقريباً كل سنة . ويضاف إلى ذلك تسميدها سنوياً . ويلزم توفير مسالك مرفوعة بين بقع زراعة الأرز عند فواصل غير منتظمة مع أرصفة للمشاة تستخدم لخلط السماد مع بعض الرمل والطين قبل نشره . لا يزرع الأرز في الاحساء كشتل بل يبذر في مجموعة صفوف متكتلة . وبعد الحصاد يترك ليجف ثم يؤخذ إلى واحدة من الأراضي الحجرية المحيطة بمعظم القرى حيث تهيأ منصة دائرية لدراسته . ولم تشاهد دراسة الأرز بدقه بالعصى كما روى شيزمان .[1] اذ أنه يدرس دائما بواسطة فريق من الحمير مكونة من أثنتين إلى أربعة مربوطة إلى سارية في وسط المنصة ، تدور حولها تحت اشراف شخص واحد . ويتم فيما بعد ذري الأرز بقذفه من كومة إلى أخرى أثناء هبوب الريح .

يستهلك الأرز المزروع محلياً داخل الواحة ويباع معظمه للبدو الذين لا يستطيعون شراء الأرز الغالي المستورد . يؤكل الأرز مسلوقاً لكن الحبوب الأخرى تطحن بالمطحنة أو الرحى التي لا يستغنى عنها أي بيت من بيوت السكان (انظر الرســـــم) . لا يتوفر رقم دقيق عن كمية انتاج الأرز في الاحساء ، وتختلف التخمينات التي ذكرت ، اذ يبلغ اقلها أربعة ملايين رطل واكثرها ٤١ ١/٤ مليون رطل .

يستخدم لتخصيب التربة في الاحساء روث الماشية والحمير وإن كان يستخدم وفي حالات نادرة روث الابل المجموع من حول الآبار الصحراوية القريبة من الواحة . وقد تم خلال موسمين في آخر أربعينيات القرن العشرين (من الصعب تحديد السنة) استيراد سماد كيماوي ، لكن استيراده قد توقف رغم اقتناع المزارعين الاحسائيين بفائدته . ويعبر سكان الواحة في غالب الأحيان عن أمنيتهم بأن تعين الحكومة في عملية كبيرة استيراد السماد الكيماوي وتوزيعه حيث أن السماد المحلي لم

(١) Cheesman, 1926, P. 88.

يعد كافياً لتضاءل عدد الحمير .

يخصص معظم الجزء المزروع في الاحساء الآن لزراعة النخيل فصيلة فينكس داكتيلفرا ل (Phoenix Dectylifera L.) . وتبلغ المساحة المزروعة بالنخيل ما بين ٢٥٫٠٠٠ و ٢٧٫٠٠٠ فدان . وغالبا ما يذكر أن عدد النخيل يبلغ مليوني نخلة وربما قل العدد عن ذلك بقليل إلا أن الرقم ستة ملايين نخلة الوارد ذكره في جريدة «البلاد السعودية» يعد مبالغة كبيرة .[١]

يذكر أن هناك أكثر من أربعين نوعاً من التمور تنمو في منطقة الخليج العربي وأن أكثرها موجود في الاحساء . وقد ذكرنا أسماء أنواع التمور التي استطعنا جمعها في الجدول رقم ٩ . وعموما فبستان النخل ينتج في العادة أغلبية كبيرة من نوع واحد فقط أو ربما من نوعين ، إلا أن نخلات قلائل أو مجموعة صغيرة من أشجار النخيل التي تنتج أنواعاً أخرى توجد هنا وهناك في معظم البساتين .

وعموما ، فالفلاح الاحسائي يعتقد بصرف النظر عن تنوع التمور ، أن أفضل أنواع النخيل منظراً وأكثرها إنتاجية تلك التي تزرع في الحيازات الزراعية الي تسقى بالغراريف وتلك التي تقع عند أطراف ضواحي الأرز . ويروي الفلاحون الاحسائيون أنه كلما ارتفعت الأرض كلما كان نخلها معرضاً للشمس والهواء ، ولذلك فانها تكون أكثر طولاً وأكبر جذعاً ويكون تمرها أكثر حلاوة في طعمه .

ووفقاً لاعتقاد سائد في منطقة الخليج العربي ، أن أحسن أنواع التمور تنمو في هذا الجزء من العالم ، والذي ينمو بكميات كبيرة نوع منه في الاحساء ، وهو الخلاص .[٢] ويأتي بعده كأحسن أنواع التمور الشيشي أو أم عدك . ولا تنمو أم عدك في الاحساء ، إلا هناك نخلات قلائل منها شوهدت في منطقة القطيف .

يعد الخلاص والشيشي من قبل سكان المنطقة حاضرة وبادية تمراً بارداً ، ولذا

(١) جريدة البلاد السعودية ، رقم ١١٠٨ ، ٢ ديسمبر ١٩٥١ . الواحة معروفة منذ القدم بشهرة تمورها فقد أشار ابن بطوطة (١٨٥٤) الجزء ٢ ، ص ٢٤٨ إلى المثل القائل «كجالب التمر إلى هجر» .

(٢) لكنه لا يشكل أغلبية محصول التمور كما أكد توتيشل (١٩٤٧) ص ٦ .

يطلق عليه «بارد» . أما الانواع الاخرى فيطلق عليها مصطلح «حار» . وقد ذكر أن النوع البارد ليس مجرد مستساغ الطعم لكنه سهل الهضم ، بغض النظر عن الكمية التي يتناولها الفرد ، بينما لا يستطيع تناول كمية من الانواع الحارة دون ان تسبب آثاراً جانبية غير مرغوبة .(١)

جدول رقم (٩)
قائمة بأسماء أنواع تمور الاحســـــاء

البرحـــــــي	الشيشـــــــي	المجناز (المكناز)	السنينـــــــي
بكيـــــــرة	الجبيلـــــــي	المحمـــــــي	الشهـــــــل
دعالـــــــج	الخـــــــداج	أم رحيـــــــم	التناجيـــــــب
الغـــــــر	خاتاســـــــي	مواحيـــــــد	الطيـــــــار
الحاتمـــــــي	الخصـــــــاب	نبت السيـــــــف	الوصيـــــــلي
الهـــــــلالي	الخـــــــلاص	الريـــــــزي	الزاملـــــــي
الحليلـــــــي	الخنيـــــــزي	الصبـــــــو	الزنبـــــــور «أحمـــــــر»
حريـــــــزي	المرزبـــــــان	الشبيـــــــبي	الزنبـــــــور «أصفـــــــر»
عـــــــذابي	خصيـــــــب	الرزيـــــــز	خوصـــــــبي

وقريباً في النوعية إلى الأصناف المذكورة أعلاه يأتي الرزيز الذي يتوفر بشكل وافر في الاحساء اذ يمكن تقدير كميته بكل اطمئنان بما يقارب ٨٠٪ من محصول التمور في الواحة . وهذه حقيقة معروفة جيداً في كل الأطراف الشرقية لشبه الجزيرة العربية . فقليل من كبار السن وخاصة البدو يروون أنه كان معتاداً أن يطلق على الاحسائي لقب رزيزي .

(١) في هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية وبين البدو وكما هو بين سكان المدن يجد المرء أن مصطلح بارد وحار تستخدم كمرادفات لجيد ورديء على التوالي عندما تطبق على مواد الطعام لكل من الانسان والحيوان ، خاصة اذ وضعنا في اعتبارنا مميزات المناخ المحلي وتبدو هذه المسألة منطقية لنا . انظر :
Cf. also Philby, 1952, PP. 344-345.

يأتي بعد تلك الأصناف في حلاوة الطعم الخنيزي الذي يزرع بكميات قليلة في الاحساء إلا أنه يشكل معظم انتاج القطيف . ومن بين الأنواع الأخرى : الغر والمجناز والشبيبي والختاسي[١] والمرزبان والشهل والحاتمي وبكيرة والطيار والتناجيب . يوجد كذلك أنواع أخرى مثل الوصيلي الذي يزرع للاستهلاك الحيواني فقط . يصدر الغر والخلاص إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويسميان فيهما خر Khir وخلاسا Khalasa . ومن بين هذين النوعين يزرع الخلاص فقط بكميات تجارية في الولايات المتحدة الامريكية .[٢]

وتجدر الاشارة هنا أن مصطلح شجرة لا تطلق أبداً في الاحساء عند الاشارة إلى النخلة . اذ تسمى نخلة أو «فحل اذا كانت ذكر» . أما مصطلح شجرة فيطلق فقط على الاشجار المثمرة الاخرى عير النخلة .

ان التخصص الزراعي الاحسائي يتضح أكثر في المصطلحات التي ترافق مراحل نمو الثمرة المختلفة . ففي الفترة المبكرة في النمو وحتى قبل أن يمكن التعرف على الثمرة كثمرة تسمى «حبمبو» . وفي الفترة التالية ، والتي تكون فيها الثمرة صغيرة وخضراء تسمى «خلال» . تستغرق هذه الفترة حوالي شهرين يتغير بعدها اللون إلى الاصفر رغم أن الثمرة تظل في نفس الحجم تقريبا وذلك لما يقارب اسبوعين أو ثلاثة ويطلق عليها خلالها اسم «بسر» .[٣] وبعدها يكبر الحجم ويزداد اصفرار الثمرة ويتغير اللون خلال الشهرين التاليين بشكل سريع إلى لون أصفر غامق أو ضارب إلى الحمرة ، ويعتمد ذلك على نوع التمر . وخلال هذه الفترة يسمى التمر فيها «رطب». وأخيراً يتحول إلى لون أحمر غامق أو أحمر بني اللون، وتستمر هذه الفترة حوالي اسبوعين وخلالها يتم موسم «الصرام» . وخلال هذه الفترة الأخيرة يطلق على التمر «تمر». يحتوي معدل رطل من التمر الجاف الناضج ما يقارب أربعين تمرة. يختلف طول فترة النضج قليلاً حسب اختلاف أنواع التمور. ولكن المصطلحات المستخدمة هي نفسها . يؤكل التمر خلال مراحل الرطب والتمر اذا رغب في أكله طرياً وذلك بجنيه خلال المرحلة الثالثة الأخيرة من فترة «الرطب» .

(١) القول الخاطىء الذي اطلقه ماكي ''Mackie'' (١٩٢٤) ص ٢٠٥ ، بأن هذا النوع أعظم أنواع محصولات التمور في الاحساء .

(٢) Nixon, 1950, PP. 49, 96.

(٣) يتمسك بعض الأشخاص بان أصطلاح «خلال» و «بسر» يمكن أن يستخدم بالتبادل لنفس فترة النمو .

واذا لم يؤكل كل الرطب الذي جني فانه يترك ليجف ويتحول إلى «تمر» .

اذا رغب المزارع أن يأكل أو يبيع ثمره كتمر فعليه جنيه ، أما خلال الأيام القليلة الأخيرة من مرحلة «الرطب» ووضعه في صوب على الأرض فوق حصر ويتركه لينضج ويجف ، أو يتركه لينضج على شجرته ، على أن يجنيه خلال الاسبوع الأول أو الثاني من مرحلة «التمر» . وعموماً فالنخلة التي تنتج أفضل أنواع التمر تنتج أفضل أنواع الرطب ما عدا «أم عدك» التي يقال أنها تنتج في مرحلة الرطب ثمرة أشهى من ثمر الخلاص .

تتطلب زراعة النخيل في الاحساء مجهوداً كبيراً ، اذ تعزق التربة وتحرث كل ثلاث سنوات كقاعدة ، رغم أن الأشخاص القادرين على دفع أجور العمل يحاولون عمل ذلك كل سنتين بل كل سنة ، اذ كان ذلك ممكناً . تعتمد زراعة النخيل على الغرس إلا في حالات نادردة جداً حيث يترك بذر نواة النخيل لينمو . ويذكر الاحسائيون أن أفضل وقت لزراعة فسائل النخيل يكون خلال فترة برجي السرطان والأسد ، والتي يكون وقت النمو خلالها سريعاً ، وفي نهاية الأمر يكون وفرة الثمرة مؤكدة . ويأتي في المرتبة الثانية من حيث أنسب الأوقات للزراعة برجي العذراء (السنبلة) والميزان . أما برجا الثور والجوزاء ، فيعدان خياراً ثالثاً رديئاً . كما يذكر الاحسائيون أن الغرس في فصل الربيع يمكن أن ينتج عنه شجرة كثيرة الفروع إلا أنها عرضة لتكون شجرة ذات قدرة محدودة على الانتاج .

تزرع فسائل النخيل في صفوف تعامدية يفصل بين الأشجار مسافة ١٢ ذراعاً . تزرع وسط كل مربع شجرة فواكه تكون غالباً شجرة ليمون وأحياناً شجرة خوخ . ويمكن زراعة الاترج بين كل نخلتين على طول الصف . ويزرع العنب والرمان على طول قنوات الري التي تخترق البستان . هذا هو الشكل التقليدي لبستان احسائي ، والارض التي تزرع وفق هذا النمط تسمى «عمار» . وعندما تكون المزروعات صغيرة ينمو البرسيم بين الأشجار ، ولكن عندما تكبر الأشجار وتمتص كل المياه المتوفرة تتوقف زراعة البرسيم .

ووفقا لعرف الفلاحين فان تحديد موسم صرام التمور يتم وفقاً للفلك أيضا . فعندما ترى الثرياء لأول مرة وقت صلاة الفجر يبدأ الاستعداد لجني الرطب ، وعندما يظهر سهيل لأول مرة خلال وقت صلاة الفجر ، فانه يبقى على نهاية الموسم ثلاثين يوماً . ويعتبر الاحسائيون كذلك أن أفضل الأوقات لجني التمور ، تكون عندما تصبح الثمرة ممتلية وحلوة ، وذلك عند عبور «سهيل» المجرة .

ومن الاشياء المميزة للزراعة في الاحساء طريقة حرق التربة . وتتم هذه الطريقة بصور مختلفة اعتماداً على نوع الارض . ففي حالة حقول الأرز تحفر قناة طويلة ضحلة وتملأ بالنفايات القابلة للاحتراق ، مثل الأخشاب والأوراق المتساقطة ، ثم يوضع فوقها كومة من تربة البستان . وبعد حرقها تماما تنشر التربة المحروقة والرماد على أرض الحقل . تعمل هذه الطريقة على مراحل في حالة كون الحقل كبيراً . بحيث يخصص لكل جزء عملية سنوية ، ولهذا فان اتمام العملية ربما يستغرق خمس سنوات لحرق تربة كامل الحقل .(١)

أما في حالة بساتين النخيل ، فان تلك العملية تعمل سنوياً ، أو على الأقل مرة كل سنتين ، وتسمى «طبينة» . تحرث الأرض أولاً حول النخلة بمعزقة كبيرة (مسحاة) ويطلق عليها (ندار) ، ثم بمعزقة أصغر ويطلق على هذه العملية «تكش» . تحضر أخشاب وقود وتكوم في دوائر يبلغ محيطها حوالي مترين ، يوضع فوقها حشائش وأعشاب وأخيراً يوضع في القمة تربة محفورة من البستان ثم تشعل النار في الكومة المخروطية الشكل وتترك تتحرق دون لهب . وبعد انطفاء الدخان تنشر الكومة بين الأشجار كسماد مخصب .

هناك عمليات فلاحية ضرورية لبساتين النخيل . فقرب نهاية شهر ديسمبر أو بداية شهر يناير تقطع الاشواك التي في أغصان النخلة ويطلق على هذه العملية «جنامة» . تستخدم هذه الاشواك فيما بعد كوسيلة حماية ضد اللصوص بغرسها على طول حافة أسوار المنازل والبساتين .

---

(١) لمزيد من المعلومات حول أهمية هذا النوع والأساليب الأخرى المتبعة في زراعة الاحساء من وجهة نظر أخصائي زراعي انظر : Bowson, 1952, PP. 52-53.

بينما يتوفر في معظم الأشجار الأخرى أزهار مذكرة ومؤنثة في الشجرة نفسها ، إلا أن النخيل تكون شجرتها ذات جنس واحد فقط . يتم التلقيح بواسطة الرياح في الأراضي غير المملوكة وينتج عن ذلك محصول متقلب وغير مؤكد ، وفي الغالب قد لا يكون هناك محصول على الاطلاق . أما الأراضي المزروعة بالنخيل فيتم التأبير بواسطة شخص ينقل اللقاح ، ويقوم بفرك زهور كل نخلة مؤنثة بلقاح الشجر المذكر «الفحل» ، وعندها يقوم بضم العناقيد الملقحة في أكياس حامية من الخيش . وتعد هذه عملية يدوية مهمة لفلاح النخيل . لا يمكن التحقق من التلقيح الذاتي في الاحساء ، فحسب الطريقة المتبعة يلقح زهور (طلع) الفحل الواحد ما بين تسعين إلى مائة وعشرين نخلة تقريبا . ففي سنة معينة في ظروف مناخية مناسبة (ليست جافة جداً وليست باردة جداً بشكل خاص) . تنتج النخلة في الاحساء مئات قليلة من الأرطال من التمر في الموسم . وفي ظروف أفضل وببذل جهد أكثر تنتج أكثر من ضعفي هذه الكمية . أما المعدل الفعلي لانتاج النخلة التي يكون نموها بأكمله في الاحساء ، فانه يتراوح ما بين ٦٠ - ٧٥ رطلا كل موسم .

تؤبر النخيل في بداية فصل الربيع . ويطلق عليه اصطلاح الانبات . وتتم العملية بفرك العنيقدات الزهرية (الطلع) للفحل (النخل المذكر) وتسمى سفوف أو سفوف الانبات على زهرات النخلة والتي تسمى «عذق» وعندئذ تلف الأزهار الملقحة في ليف وخيش وأكياس من القماش أو ما يتوفر لفترة تبلغ حوالي ثلاثة أسابيع . وعندما تأبر النخلة تقطع كافور الطلعة المطوق للأزهار المؤنثة والقريبة من القاعدة . يختلف المزارعون الاحسائيون في عدد العنيقدات الزهرية المستخدمة في التأبير ، ليس وفقا لحجم العنيقدات ولا القوة التي تحملها من اللقاح من الفحل ، كما يفعل مزارعو البصرة في العراق ، بل وفقاً للنوع الذي تتبع له النخلة المؤبرة . وهكذا يبدو أن النخل المذكر (الفحل) في الاحساء لا يختلف كما هو حاصل في النخلة ، وأن النخلة تكون أكثر أهمية من وجهة نظر الاخصائي الزراعي في تقرير قيمة التمر .[١]

يمتد موسم «صرام» التمور من آخر الصيف إلى البداية المبكرة لفصل الخريف . ولا يمكن تحديد وقت معين للصرام نظراً لكثرة أنواع التمور وكون ذلك

(١) Cf. Dowson, 1952, Loc. Cit.

يعتمد على نوع معين من التمر . ويتم قطع السعف الميت على مدار السنة وكذلك قطع الأنسجة المحيطة (الليف) بالنخلة . يمكن تسميد كل نخلة في أي وقت ويسمى ذلك المصطلح المحلي (عمار) .

يتم استئجار العمال اللازمين لكل العمليات الزراعية مباشرة أما من قبل المالك أو من قبل وكيله ، ويكونون عادة من بين سكان القرى المجاورة . تبلغ أجور العمال مستوى مماثلاً للأجور في واحة القطيف ، وقد حصل فيها ارتفاع خلال السنوات الخمس عشرة أو الست عشرة الماضية ، اذ قفزت من ريال سعودي وطعام في مقابل يوم عمل مكون من ست أو سبع ساعات،إلى أجرة تتراوح بين خمسة أو ستة ريالات علاوة على الطعام . ويدفع للعمال وفقاً لنوع العمل الذي يؤدونه ، ولذلك فالأجور التي ذكرت هي أجور أعمال الحرث العادي ، أي العمال الذين يعملون للعناية بأرض البستان ، بينما تدفع للعمال الذين يتسلقون النخيل ما بين ٦ - ٧ ريالات في اليوم . وكانت الأجور في الماضي تدفع عينا في جزء منها على الأقل مما ينتجه البستان من محاصيل (غالباً تمور) ، لكن هذا الاسلوب لم يعد مقبولاً . فالدفع النقدي الكامل للأجرة أصبح أمراً شائعاً . وعلاوة على ذلك فان الطعام التي جرت العادة بتقديمه في الماضي كان مكوناً بشكل أساسي من التمور ، إلا أن هذا لم يعد كذلك مقبولاً من العمال ، اذ يجب أن يتضمن طعامهم كمية جيدة من الأرز واللحم أو الخضار واللحم .

تعبأ التمور في خصف مربعة مصنوعة من القصب المحلي .[١] توضع كومة التمر في وسط الخصفة وعندئذ تلف حولها وتخاط أطرافها مجتمعة في أعلاها وأحد جانبيها ثم تقلب في وضع رأسي . عندها يرص التمر للأسفل بشدة بواسطة الأيدي والأرجل ويخاط أعلا الخصفة لاحكام اغلاقها . ومن الشائع ذر اليانسون على التمر قبل تعبئته . تسمى كل واحدة من هذه الخصف «خص» . ويبلغ وزن خص الاحساء قلة احسائية واحدة . أما خص القطيف فانه مختلف في شكله ووزنه . يتم التعبئة بواسطة المزارعين أنفسهم الذين يقومون كذلك بنقل انتاج بساتينهم إلى الهفوف ليتم تسويقه من قبل تجار التمور .

(١) يستخدم لنقل البسر والرطب أقفاص مصنوعة من جريد النخيل ، تستخدم كذلك لتعليب الفاكهة .

أما التمر المخصص للاستهلال المنزلي ، فانه لا يعبأ بل يؤخذ مباشرة إلى المخزن المنزلي . يوجد في الاحساء نوعان من مخازن التمور . اذ يوجد بكل منزل غرفة أو زاوية من غرفة اذا كان المنزل يعود لأسرة فقيرة ، مخصصة لهذا الغرض . تبني بداخل مخازن التمور صناديق أو تقسم لأجزاء لحفظ الأنواع المختلفة من التمور منفصلة . وتسمى غرفة الخزن المنزلي «الجصة» .

تخزن التمور أحيانا خارج المنزل في مكان يطلق عليه «الفداء» . ويكون الفداء في واحة القطيف بكل بساطة عبارة عن حفرة واسعة ضحلة تحاط بجدار ربما بلغ ارتفاعه بوصتين أو ثلاث بوصات وتكسى من الداخل بحصير من القصب . يغطي التمر بعد نشره فيها بحصير من القصب كذلك . أما في الاحساء فان هذا النوع من الفداء غير معروف . اذ أن الفداء في الاحساء عبارة عن مبنى طويل جداً من الحجارة مماثل لشكل البرج مع وجود منصة خشبية بداخله ترتفع حوالي ثلاثة أقدام فوق مستوى أرضه . تزود هذه المنصة بباب متحرك ذو فتحات يمكن الوصول إليه من الأسفل . تفرغ التمور في الفداء من الأعلى ، ونتيجة لعوامل الحرارة ونضج التمور التام ووزنه بشكل خاص فان التمور ترص على المنصة وينتج عن ذلك تدفق دبس كثيف ينعصر من التمر ويتراكم ببطء فوق خشب الأرضية وبعد أن تمتلىء الأرضية يتسرب خلال المدخل الجانبي الصغير للفداء ، عندها يقوم الاحسائيون بفتح فتحاته ويتركون الدبس يتدفق إلى أناء معدني معد خصيصاً لذلك يسمى «مدباسة» . يؤكل الدبس أما كسائل كثيف حلو أو يستخدم كعنصر للتحلية أو يترك ليجف ويؤكل كحلوى . وتؤكل التمور الجافة بعد انقطاع تدفق الدبس .

وحيثما كان استخراج الدبس فانه يقتصر بشكل اساسي على الاستهلاك المنزلي المحلي .أما سكان واحة القطيف فانهم يصنعون نوعاً آخر من الحلوى يخصص بشكل تام للتصدير ، غير أن هذا النوع غير موجود تماما في الاحساء . تسمى هذه الحلوى «السلوق» . وقد نتج عن تصنيعه في الماضي تأثير على أسعار التمور في الاحساء وهذا مما دعانا إلى الاشارة إليه هنا .

يجنى تمر الخنيزي (وقد روي أشخاص معينون أن قليلاً من تمر الخلاص

يعامل المعاملة نفسها) عندما يكون في مرحلة البسر ثم يوضع في قدر كبير ويسلق في ماء يغلي مدة دقائق قليلة . يضاف إليه غالبا اليانسون . وينتج عن تلك العملية صلابة البسر الشديدة وجفافه وتحول لونه إلى بني غامق جداً مع تجعد عميق على ملمسه . ويصبح مذاقه حلو للغاية رغم أنه إلى حد ما قاس كالخشب . وبما أن الماء وحطب الوقود والعمالة المحتاج إليها يمكن توفيرها بسهولة . ونظراً لوجود طلب كبير عليه فقد ازدهرت هذه الصناعة بمصاريف زهيدة ، مما رفع سعر تمر الخنيزي ١٠٠٪ ، فمن خمسة إلى ستة ريالات لقلة القطيف من تمر الخنيزي الطريء أرتفع السعر إلى أثنى عشر ريالاً للكمية نفسها من السلوق .[١]

خلال الحكم العثمـــاني حوّل - حسبما يقال - كامل انتاج القطيف عملياً والذي يتكون في معظمه من تمر الخنيزي إلى السلوق وذلك لغرض التصدير . وأدت ضرورة استيراد تمور طرية من الاحساء لتلبية احتياجات القطيف إلى امتصاص فائض تمور الاحساء مما ساعد على إرتفاع اسعار التمور في هذه الواحة .

وأخيراً تدخلت الحكومة وأمرت بأن لا يحول من الانتاج إلى سلوق أكثر من ٢٠ - ٣٠٪ . وأعزت إلى إدارة البلدية بأن تتولى مراقبة تنفيذ ذلك . وقام بتلك المهمة مراقب البلدية أو مراقب الحكومة . لم يعد هناك الآن داع لاستمرار الاشراف الحكومي الصارم لتوفر كميات كبيرة من التمور المحلية ولذا يجاسر بعض المزارعين بتحويل ما يقارب ٨٠٪ من إنتاجهم من التمور إلى سلوق . ويبلغ انتاج السلوق في القطيف نسبة تتراوح بين ٥٠ - ٧٠٪ من انتاج التمور فيها .

هناك نوع آخر من الحلوى تسمى «مشهاة» تصنع من نوى التمر . تختار النساء النوى الذي يظهر أنه لم تمسه أي حشرة ويقمن بغسله وتنظيفه ووضعه في كيس أرز أو أي وعاء مخيط كبير ، ثم يغمر وسط بئر ماء أو قناة قرب البئر لمدة أسبوعين أو أكثر إلى أن يبدأ النوى في التبرعم . وعند سحب الكيس واخراجه من الماء يكون النوى قد تحول إلى خبيصة مما يمكن من عصرها خلال قطعة قماش . وبعد انتهاء الدبس واستخراج السائل الأبيض ترمى القشرة . يصب السائل الأبيض

(١) الأسعار أخذت في سنة ١٩٥٢ .

السميك في صواني ضحلة أو زبادي ويترك يجف في الشمس . وبعدئذ يقسم إلى قطع غليظة صغيرة تشبه الاقط الذي يصنعه البدو من حليب مواشيهم أو القطع الكبيرة من دقيق الذرة النشوي . ونوع العصيدة المحلية المصنوعة من هذه القطع تعد مقبولة في الأكل في القرى النائية فقط . اذ يمكن في الوقت الحاضر شراء مسحوق الحبوب المستورد من أي دكان واعداد وجبة أكثر سهولة بالاسلوب نفسه سواء بخلطه بالحليب أو الماء ، إلا أن هذه الحلوى الجافة لا تزال تصنع على أية حال .[١]

يبدو عملياً أنه من المستحيل نتيجة لعدم وجود سجلات احصائية ، اعطاء تقدير اجمالي لمجموع انتاج محصول التمور في الاحساء وقيمتها . تبلغ التقديرات المعطاة والمبالغ فيها ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٥٠ر١ رطل كحد أعلا و ٠٠٠ر٠٠٠ر١١٠ رطل كحد أدنى . ويبدو أن الرقم الأعلى من الحد الأدنى والبالغ حوالي ٠٠٠ر٠٠٠ر١٢٥ رطل يعد تخميناً أكثر تحرزاً وقبولاً رغم أنه لا يزال مجرد تخمين حدسي .

هناك بعض الأرقام الخيالية للغلة السنوية للنخلة تتراوح بين ٣٠٠ رطل إلى حد أعلى قد يبلغ طناً . وقد اقتبست هذه الأرقام من عديد من المواطنين المحليين . إلا أنه قد يكون من المحتمل أن لا يتجاوز معدل محصول النخلة أكثر من ستين رطلاً ، رغم أن هناك نخيل معروفة في الاحساء تغل بالتأكيد ما يقارب ٤٠٠ رطلا في الموسم ، لكن المرء يجب أن يأخذ في إعتباره العدد الضخم للنخيل التي تجاوزت ذروة قدرتها الانتاجية وتلك التي لم تصلها بعد . وبما أن عدد النخيل في الاحساء يقدر بعدد يقرب من ثلاثة ملايين فان الرقم التخميني المعطي للانتاجية يبدو قريباً من الواقع .

لا يلم الفلاحون المحليون بالتأكيد بالصورة الشاملة ، إلا أنهم يعرفون الوضع في قراهم ، ويخمنون كمية زكاة التمور المدفوعة إلى الحكومة من ثمانية ونصف إلى حوالي خمسة عشر مليون رطل من التمور . تختلف هذه الكمية حسب الموسم الزراعي . فقد أورد أحد الرواة أن زكاة التمور عام ١٩٥١م بلغت ٠٠٠ر٣٠٠ر٨

١) هذه المعلومات عن حلوى المشهاة اضافة وردت في رسالة الدكتوراه . (المترجم) .

رطلاً ، وبلغت في سنة ١٩٥٠م ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ رطلاً اذ كانت سنة جيدة في محصولها . ووفقاً لروايته فان قريته «المنيزلة» دفعت سنة ١٩٥١م حوالي ٢٠٠٫٠٠٠ رطلاً كزكاة . ويذكر أن قرية الفضول دفعت في سنة ١٩٥٠ زكاة بلغت حوالي ٣٥٠٫٠٠٠ رطلاً ، أي ما يعادل (٦٣٥ من) وحوالي ٢٨٠٫٠٠٠ رطلاً (٥٠٨ من) في سنة ١٩٥١م .

وبناء على القاعدة الشرعية بأن تكون رسوم التمور العشر من المحصول ، فان هذه التقديرات سوف تقارن مع التخمينات لكامل المحصول . اذ يدفع العشر اذا كان كامل البستان يسقى دون استخدام أي آلات ميكانيكية أما إذا استخدمت وسائل ميكانيكية أو إضافية ز فتخفض زكاته إلى نصف العشر فقط .

وبالاضافة إلى القيمة التي لا جدال حولها للتمور كمادة غذائية ، وكمحصول نقدي ، فان النخلة توفر حطب الوقود ومواد البناء للمنازل والجسور ، وكذلك يستخدم ليفها لصنع الحبال وسعفها لعمل الحصر وجريدها لصنع الأقفاص وأسرة الأطفال والسلال والعدول والمكانس والمذبات وأنواع أخرى مختلفة من اللوازم المنزلية . ولا يعتبر خشب جذع النخل جيداً للاشتعال في مجالس استقبال الضيوف ، اذ يذكر أنه يشتعل بسرعة وبغير انتظام وليس له ألسنة لهب حارة جداً . أما الجريد والسعف الجاف فانه يستخدم كمادة ملتهبة تضرم بها النار .

خامساً : الثروة الحيوانية :

تمارس تربية الحيوانات في الاحساء ليس لتحقيق أهداف اقتصادية في المقام الأول ولكن كعامل مساعد في الزراعة فقط . لا يوجد رقم مضبوط ومحفوظ لعدد الحيوانات في الواحة في الوقت الحاضر . فقد قدّر لوريمر أن هناك بقرة واحدة في كل منزل ، وثلاثة آلاف حمار أبيض وعشرة آلاف حمار من الأنواع الأخرى ومائة من الخيل .[١] وقدرتها «جريدة البلاد السعودية» تخميناً بـ ٦٠٫٠٠٠ بقرة و

---

(١) Lorimer, 1908, P. 656.

٧٥ر٠٠٠ حمار .[١] ويبدو أن في تخمينها مبالغة كبيرة . أما ما يخص تقدير لوريمر ، فان تقديره لعدد الأبقار يبدو سخياً جداً وأن تقديره للخيل قليل جداً . أما رقم الحمير فيحتمل أن يكون عدده معقولاً جداً في الوقت الذي كتب فيه ، ولكن العدد تراجع إلى حد كبير فيما بعد .

(أ) الحميـــــــر :

تعد الحمير أكثر الحيوانات أهمية وأكثرها في الاحساء . تنتمي الحمير في الاحساء إلى نوعين مختلفين : أحدهما الحمار الحساوي المشهور من سلالة بيضاء وطويلة (ربما يصل طولها إلى ١٣ شبر) وتعد حيوانات هذه السلالة قوية جداً غير مختلفة عن سلالة البحر الابيض المتوسط الطويلة ، لكنها أشد بياضاً في لونها . والنوع الثاني مكون من عدة سلالات من ألوان وأجساد مختلفة ولكنها جميعاً أصغر حجماً وأغمق لوناً من الحمار الحساوي .

تستخدم الحمير لعدة أغراض منها : النقل المباشر سواء للناس أو البضائع ، وجر العربات ، ودراسة الحبوب وعملية رفع المياه . لا يستخدم الناس سروجاً أو ألجمة في ركوبهم للحمير ، اذ أنهم يكتفون باستخدام العصا لتوجيه المركوب . يصنع البدو خرج الحمير من وبر الابل وشعر الماعز ويقومون ببيعها في السوق . وتستخدم السلال على شكل نصف كرة يصنعها السكان المستقرون من ليف النخيل . وفي الوقت الحاضر تستخدم أحياناً بدعة جديدة عبارة عن صناديق خشبية مستغنى عنها تحل محل السلال التقليدية القديمة . ويصنع جزء بسيط من خرج الحمير من صوف ملون بألوان زاهية متقنة وذات تصميمات وشرائح متعددة . ولحمير الاحساء ميزة خاصة أخرى تتمثل في صبغها .[٢] تجفف أغصان الحناء وأوراقها في الظل ثم تسحق وتخلط بالماء ويخضب بها الحمار . وعندما يكشط الحناء يظل لون الجلد برتقالياً لمدة تقرب من أربعة أسابيع اذالم يغسل الحمار . ويقول بعض الاحسائيون ان تخضيب الحناء يساهم في صلابة الجلد ويساعد في علاج الالام والحساسية الجلديه . وان كان هذا موضوع تساؤل ، فهذا الأسلوب المفرط في القدم والذي كان له مضامين

(١) جريدة البلاد السعودية العدد ١٥ ، الرقم ١١٠٨ ، ٢ ديسمبر ١٩٥١ .
(٢) توجد هذه كذلك فى مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية ومناطق متعددة فى الشرق الأدنى .

سحرية في وقت ما قبل الاسلام وظل مستخدماً ربما لكونه أسهل الوسائل لتحديد الهوية ولأجل الزينة الزخرفية البحتة . والشائع أن يتم تخضيب الرقبة واليدين بالحناء فقط ، وأن كان البعض يخضبون كذلك الرأس والأرداف والرجلين .

ومنذ أن هجر طريق العقير كطريق تجاري وأدخل القارى والسيارات فقدت حمير الاحساء جزءاً كبيراً من أهميتها السابقة . فأصبح الأشخاص الذين كانوا يملكون في السابق أربعة أو خمسة حمير أصبحوا الآن يحتاجون لواحد فقط . انخفضت أسعار الحمير بشكل يتناسب مع تلك التطورات . فقد كان ثمن الحمار الجيد في الاحساء قبل حوالي عشر أو أثنتى عشر سنة يبلغ ١٥٠٠ ريالاً أما اليوم فان ثمنه لا يتعدى ٥٠٠ أو ٦٠٠ ريالاً .[١] وكانت حمير الاحساء البيضاء تصدر بشكل معتاد إلى البحرين والبصرة وحتى إلى بغداد ومصر .

والاقتراح الذي قدمه توتيشل بأن يعمد سكان الاحساء إلى تهجين كل من حمير الاحساء الكبيرة والخيل العربية لانتاج بغال ، والتخلص من الحمير المغفلة الحرونة بخصيها .[٢] فان ذلك الاقتراح – في هذا الوقت – غير واقعي ، فالحيوان المهجن من ناحية ، وبرغم كل شيء مجرد حيوان متحمل للأعباء والمشاق ، ومن ناحية أخرى حيوان ذو أهمية كبرى للطبقة العليا ، وليست عملية الاستيلاد ممكنة في هذا الوقت . وعلاوة على ذلك فالتهجين لا يتفق والمفاهيم الدينية التي هي ضد قبول فكرة الخصي .

(ب) الماشيـــة :

يربي السكان المستقرون في الاحساء أنواعاً من البقر تنتمي إلى نوع من ذات السنام . ويحتفظ بها عموماً من أجل الحصول على الحليب وتذبح بشكل نادر من أجل

---

(١) روى الريحاني (١٩٣٠) ص ٢٦٥ أنه جرت العادة أن يباع الحمار الحساوي في البحرين بمبلغ ١٥٠ جنيه ذهبي قبل استقدام سيارات فورد . وتذكر «جريدة البلاد السعودية» المجلد ١٥ العدد ١١٠٨ ، ٢ ديسمبر ١٩٥١م أن الحمار كان يكلف مبلغاً مساوياً للمبلغ الذي يمكن به شراء سيارة في الحجاز الآن .

(٢) Twitchell, 1947, PP. 22-23.

لحومها ، إلا اذا كانت البقرة تعاني من عارض .

وتجدر الاشارة إلى أن الماشية التي شوهدت معروضة للبيع في سوق الهفوف خلال الأشهر القليلة المتبقية من سنة ١٩٥٢م والبداية المبكرة لسنة ١٩٥٣ ، بدت أكثر عدداً وأكثر سمنة على العموم مما شوهد في سنة ١٩٥١ . وسواء أكان ذلك دليل على ميل بين فلاحي الاحساء لتطوير العناية بتربية حيواناتهم على حساب الزراعة أو أنه كان نتيجة لتدهور أسواق التمور ، إلا أن ذلك لا يمكن الجزم به في الوقت الحاضر . ومن المحتمل أن يؤدي التحسن الطفيف الذي طرأ على وضع أسواق التمور إلى تركيز الفلاح الاحسائي مرة أخرى على زراعة التمور . وفي رأينا ، أن تربية الماشية توفر امكانية اقتصادية جيدة للغاية ، إلا أن ذلك يتطلب بعض الوقت قبل أن تدرك أغلبية السكان أهميتها .

لا يربى في الاحساء أعداد مهمة من الماعز والضأن ، باستثناء مناطق العيون والكلابية . ولا يزال البدو المستقرون حديثاً في الرقيقة والحزم يمتلكون أعداداً من الضأن والمأعز ويقومون ببيعها في الأسواق بجانب الماشية التي يجلبها مجموعة من البدو المتنقلين من مناطق مجاورة للواحة .

وتنتمي الضأن الموجودة في واحة الاحساء عموماً إلى السلالة العادية ذات الكفل (الالية) الطويل . ويوجد في الاحساء نوع متميز من الضأن ليس لها آذان بارزة اعتيادية .[١] ويوجد غالبا نوع من الضأن بأذن قصيرة لا وظيفة لها ، لا يزيد طولها عن أكثر من نصف بوصة ، وأن كان في بعض الاحيان لا ترى هذه الأذن غير مكتملة النمو . وحسب معلوماتنا فان المنطقة الوحيدة الأخرى التي لوحظ وجود شيء مماثل تقع في جنوب الصين . وحتى يتم التحقق من وجود (أو إنعدام وجود) مثل هذه السلالة في مناطق أخرى ، فان من المستحيل القول عما اذا كانت حيوانات الصين والاحساء ذات قرابة مباشرة . وقد يجوز للمرء أن يخمن على ضوء الاتصالات التجارية القديمة ، أن بعض العينات قد أحضرت من الصين إلى الاحساء (أو العكس) على ظهر سفينة تجارية ، وأن الاستيلاد الداخلي المقصور على الواحة

(١) لا نعرف كم يوجد من هذا النوع من الضأن في الواحة ، وعلى أية حال ، فأن هذا النوع ليس شائعا .

ضاعف من أعدادها . يبقى هذا التخمين غير مبرهن حتى يتم جمع معلومات حول إحتمالية هذه السمة وتكرارها حسب الافتراض المفاجيء في الوراثة والتي تحدث مواليد جديدة مختلفة عن الأبوين المنتجين أساساً . وذلك بسبب تحولات طارئة على الصبغيات أو على الموروثات (الجينات) ومميزاتها الوراثية وتوزيعها ككل .

٣ - الابـــــــل :

لا يربي الفلاحون الاحسائيون الابل ، باستثناء أسر قليلة في منطقتي العيون والكلابية ، وهذه الأسر هي في الأساس من البدو الذين استقروا حديثاً . ولا يحتفظ معظم الأشخاص الذين يملكون ابلاً من سكان الرقيقة والحزم بها في مجتمعاتهم ، بل يعهدون بها في رعاية بعض أفراد أسرهم في الصحراء .

٤ - الدواجـــــــن :

يربى الدجاج في الاحساء بأعداد كبيرة ، ومعظمه لانتاج البيض . ولا يستطيع شراء الدجاج إلا الأغنياء لغرض الأكل بصورة منتظمة . ويربي أشخاص قليلون في الهفوف والمبرز الحمام .

٥ - الخيـــــــل :

باستثناء خيول قليلة موجودة في القرى الكبيرة ، فان الخيول في الاحساء تخص أسرة أمير الاحساء . اذ تملك أسرة آل جلوي أكثر من مائة منها في الهفوف ، رغم أنها لا تركب في الغالب . وتنحدر بعض هذه الخيل من سلالات عربية ثمنية .

سادساً : الأوزان المقاييس والعمــلات :

يعد الذراع وحدة القياس الطولي الوحيدة الشائعة في الاحساء ، وتساوي قدماً ونصف القدم أو ما بين ١٨ - ١٩ بوصة تقريباً . ويقاس بها في الاحساء بأخذ خطوات قصيرة . ولا يوجد أجزاء أو مضاعفات للذراع . أما الأقمشة فتقاس بالياردة عند بيعهـــا .

أما وحدة القياس المستخدمة لقياس الأرض فهي المغرس ، الذي يتكون من مربع لخمسة عشر ذراعاً أو ما يقارب أثنى عشر خطوة قصيرة في جانب واحد . ونظرياً ، يجب أن تزرع النخلة على فواصل يفصل بينها خمسة عشر ذراعـاً ، ونتيجة لذلك فان مساحة «مغرس» واحد يمكن تحديدها بأربع نخلات تقع كل واحدة في أحد زوايا المربع . وتبلغ المغارس في البستان الكبير عدداً مساوياً لعدد النخيل نفسها تقريباً . ولذلك يفترض أن بستاناً يتكون من ٤٠٠٠ مغرس يضم ٤٠٠٠ نخلة . ويكون المغرس في الأراضي التي تسقى بواسطة المغراف من مربع لستة عشر ذراعاً في جانب واحد . وفي التطبيق العملي ، فان هذه المسافة بين نخلتين لا تتبع دائما . اذ يوجد عديد من البساتين استبدلت شجرة ميتة بشجرتين أو حتى بثلاث أشجار جديدة ولذلك توجد بساتين قليلة مكتظة مما ينتج عنه تأثير غير ملائم على محصول التمور وصعوبات في نمو برسيم جيد بين أشجار النخيل .

ومن الموازين في الاحساء المن والقلة وتخصص لتجارة التمور . أما بقية السلع الغذائية الأخرى فتوزن بالربعة والقياسة . وقد أدخل مؤخراً الرطل . وتستخدم للكميات الصغيرة أجزاء تزن ٢/١ ، ٤/١ ربعة ، ويمكن الحصول في بعض الحالات على كيس من التمور تزن ٢/١ أو حتى ٤/١ قلة وخاصة من النوعيات غالية الثمن .

وبما أنه لا يوجد هيئة للمقاييس في المملكة في الوقت الحاضر ،[1] فان الأوزان تتعرض في الاحساء للتقلب إلى حد ما بنسبة تتراوح ما بين ٥٪ إلى ١٠٪ في الغالب .

يوضح الجدول التالي مجموعة من الأوزان المستخدمة في الواحة مع الوزن المساوي لها :

---

(١) تقوم بلدية مكة المكرمة بمراقبة الأوزان وتختمها بختم رسمي اذ وجدتها سليمة . انظر أم القرى ، العدد رقم ١٤٨٥ ، ١٦ أكتوبر ١٩٥٣م .

الوحــــــدة	الوزن المحلي المساوي	الوزن المساوي للأوزان المعتمدة على الرطل
ربعــــــة	---	من ٦٨ر٠ إلى ٧٣ر٠ رطــــل
رطـــــل	١٣٣ر١ ربعــــة	رطـــل واحـــــد
ثميــن أو حـــق	٤ ربعــــات	من ٩٠ر٢ إلى ٣ أرطــــال
صــــــاع	٨ أو ١/٤ ٨ ربعــــة	من ٣ر٥ إلى ٦ أرطــــال
قياســــــة	٣٢ ربعــــة	من ٥ر٢١ إلى ٥ر٢٣ رطــــل
جراب أو قلة صغيــرة	٦٤ ربعــــة	من ٤٣ إلى ٤٧ رطــــل
قلة جالك أو قلـــة كبيــــرة .(١)	٦ قياســــة	من ١٣٠ إلى ١٤٠ رطــــل
موسميــــة	١٢ قياســــة	من ٢٦٠ إلى ٢٨٠ رطــــل
مـــــنّ	٤ قــــلال	من ٥٢٥ إلى ٥٦٠ رطــــل

ويكون المنّ في واحة القطيف مساوياً لنصف قلة القطيف ، والتي تكون حوالي نصف قلة الاحساء . ويكون «منّ» الاحساء مساوياً لستة عشر منّاً في القطيف .

وفي الوقت الحالي فالعملات المستخدمة في واحة الاحساء هي نفسها المستخدمة في أرجاء المملكة ، فالريال وأجزاؤه القرش ونصف القرش وربع القرش تستخدم جميعها . وقد قبل التعامل بالجنيه السعودي فور صدوره من قبل معظم التجار الاحسائيين رغم أنه خلال الشهور الأولى لوضع العملة الجديدة في التداول لم يقبل بها إلا التجار الكبار . وخلال الجزء المبكر من القرن الميلادي الحالي كانت العملة المستخدمة في الاحساء خليطاً من عملات ذات مصادر مختلفة .كانت الوحـدة الكبيرة هي «دولار ماريا تريزا» الذي شاع استخدامه في ذلك الوقت في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية . وكانت أصغر وحدات العمل العثمانية من فئة الخمس بارات . وما بين هاتين الوحدتين توجد العملات التالية : العشر ، العشرين ، الاربعين بارة عثمانية ، والبيزة أو البيزة الحمراء العمانية (مسقط) والتي كانت تساوي عشر بارات . وبالاضافة إلى ذلك كان تقبل برحابة صدر الروبيات الهندية من قبل التجار الكبار الذين يمكنهم استعمالها بسهولة لا سيما في تعاملهم التجاري مع البحرين .

(١) تسمى أحيانا "خـص".

وكانت الطويلة هي العملة المميزة للاحساء في بداية القرن الميلادي الحالي وظلت مستخدمة في الواحة حتى وقت قريب . والطويلة عبارة عن عملة رمزية من النحاس تحتوي على بعض الفضة يبلغ طولها حوالي بوصة وسماكتها ١/١٠ بوصة وشكلها عبارة عن قطعة من السلك المسطح مثنى في وسطه حتى تتلاشى كلتا النهايتين مع جعل أحد نهايتها مستدقة ومثنية قليلاً . ويحمل أحد جانبي الطويلة بعض المميزات المحددة لهويتها ، وقد ذكر البعض أن هذه العلامات تكتب بالخط الكوفي . وقد تداول السكان في الأزمنة القديمة طويلة فضية (يذكر البعض أنها كانت ذهبية) وكانت على شكل الطويلة الحالية نفسها .[١] ومن الممكن أن تكون طويلة الاحساء مشتقة من الطويلة اللارية (لارين) الفارسية وهي عملة فضية مشابهة لها في شكلها .[٢]

وعند نهاية القرن الميلادي السابق كان «دولار ماريا تريزا» يعادل ٧٥ طويلة ، إلا أن العثمانيين أمروا فيما بعد بأن يكون السعر التبادلي ١٥٠ طويلة وقد أدى هذا الخفض إلى سحب الطويلة من التداول في الاحساء وصهرها للاستفادة من محتوياتها الفضية . ولهذا فقد اختفت الطويلة الفضية في ذلك الوقت . أما العملات النقدية التي أدخلت أثناء الحكم العثماني ، فقد قدرت قيمتها بنسبتها للطويلة . فقد قدرت قيمة العشرين بارة عثمانية بطويلة وهكذا فان الخمس والعشر والأربعين بارة أصبحت تعرف بربع طويلة ونصف طويلة وطويلتين . وكانت «بيزة» مسقط تعادل نصف طويلة رغم أن قيمتها فيما يبدو متذبذبة . وقد ذكر فيلبي أن بيزتين تساوي ثلاث طويلات .[٣] وفي وقت زيارة زويمر للهفوف ،ذكر أن قيمة الطويلة النحاسية تساوي نصف انه هندية ، وتوزع مجاناً في السوق .[٤] وأعطى في الفترة نفسها سعراً للطويلة في البحرين يساوي نصف آنة هندية ، وكان التجار المحليون يقبلونها بتردد .

---

(١) يقول زويمر (١٩٠٠م) ص ص ١١٥ - ١١٦ ، أن العبارة المنقوشة على الطويلة تقرأ «محمد آل سعود» ويذهب أبعد من ذلك ليروي أن العملة «بدون شك قد سكت من قبل أحد أمراء القرامطة في حوالي سنة ٩٢٠م» الا أنه ليس هناك حالياً حقيقة تسند رواية زويمر .

(٢) Cheesman, 1926, P. 102

(٣) Philby, 1923, Vol. I, P. 7.

(٤) Zwemer, 1900, Loc. Cit.

وفي منتصف عشرينيات القرن العشرين أصبح من الصعب وجود الطويلة النحاسية ، أما اليوم فيباع معظمها للسياح بسعر يبلغ ريالين للطويلة كحد أعلى . ويمكن شراء «دولار ماريا تريزا» من سوق الهفوف رغم سحبه من التداول بعد ادخال الريال السعودي . وقد بقيت الطويلة كعملة في الاحساء تعيش في مخيلة سكان الواحة لا سيما طبقة الفلاحين اذ يشيرون إلى القرش السعودي كعشر طويلات ونصف القرش كخمس طويلات .

سابعاً : تقييم الوضع الاقتصادي في الواحة* :

رغم أن واحة الاحساء لا تزال تنتج كمية كبيرة من التمور وتتمتع بمياه وافرة ، إلا أن الصورة الاقتصادية لمستقبل الفلاح الاحسائي أبعد ما تكون عن التوقع بمستقبل جيد ، وهذا ليس ناتجاً عن أي سبب مفاجيء بل هو نتيجة لمجموعة من عوامل متداخلة بعضها غير مهم اذ استثنيت من السياق أو القرينة ، وعديد منها أغفلت في الماضي ، إلا أنها جميعاً ساهمت بنصيبها تجاه خلق مشاكل باقية تكتنف مستقبل الاحسائيين . فالاحساء تعد نموذجاً مثالياً لاقتصاد المحصول الواحد . وعناصره المهمة ذات العلاقة المتبادلة هي : الماء والتمور والبرسيم والحمير . وفي الأزمنة القديمة كان الوصول إلى الضروريات يتم بسهولة : التمور «وعدد قليل متناثر من انتاج اضافي « والحمير تؤمن النقل والسماد وتأكل البرسيم المزروع تحت النخيل ، وتجارة البدو التي توفر اللحوم وكذلك الصوف والجلود وبعض حطب الوقود ، وما يمكن استيراده . ويوجد بعض الصناعات الصغيرة ، والتجارة النامية جنباً إلى جنب والتي ساعدت علي جعل الاحساء مجتمعاً اقتصادياً فعالاً . إلا أنه لم يكن هذا المجتمع ، وليس هو الآن ، مجتمعاً مستقراً اقتصادياً . ومن المحتمل أن يكون السبب الاكثر وضوحاً ، يكمن في أن واحة الاحساء تنكمش ببطء . فهناك براهين كثيرة تؤيد هذا الاستنتاج . فالرواية التي تجعل من المنطقة الواقعة بين العقير والقطيف والاحساء واحة مستمرة في الماضي ، قد تكون فيها مبالغة ، ولكنها حقيقة ولو بصورة جزئية ومن الصعب التشكيك فيها . اذ توجد الآن بساتين قليلة في طور الانطمار بالرمال تقع على بعد أميال قليلة غربي العقير .(١) وكلما توغلنا وجدنا

(★) قدمت هذه الفقرة قبل الفقرة الخاصة بصناعات الاحساء وحرفها لصلة هذه الفقرة بالفقرة السابقة لا سيما أن المؤلف قد فعل ذلك في رسالته للدكتوراه . (المترجم) .

(١) راجع كتابنا «اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية» ص ٩٩ . (المترجم) .

مجموعة من الآبار المهجورة . ويوجد غربي القطيف وشمالي وشمال غربي صفوى بقايا آثار لزراعة كثيفة . وتوجد على طول الطرف الغربي لواحة القطيف بقايا آثار لقنوات ومواقع سكن ، مما يعطي برهاناً على وجود زراعة قديمة ومواقع جذابة للصيد في عطلة نهاية الاسبوع .

وفي الإحساء ، تشير المصادر المدونة أن المبرز كانت ، إلى وقت متأخر ، ربما يصل إلى عشرينيات القرن الحالي ، محاطة بالزراعة من ثلاثة جوانب .[١] وأن عين الفاخرية عانت من نقصان في تدفقها في أوائل عشرينيات القرن الحالي .[٢] وقد غار ماء العين الآن اذ أن معظمه صار يرفع بالضخ الآلي . وأصبحت المبرز محاطة تماما بالصحراء . وقد أشار الريحاني إلى وجود بقع خضراء بين قرية الفضول والهفوف .[٣] والتي لم يعد لها وجود . وكذلك فان الصور الفوتوغرافية لعيون أم سبعة والبحيرية والحارة والتي عرضها ماكيّ تبين كميات غزيرة من المياه أكثر مما هو موجود في هذه المناطق اليوم . ويؤكد سكان الواحة أحيانا تناقص غزارة المياه وقلة تدفقها ، وحسب تجربتنا فقد رأينا أماكن منها على سبيل المثال موقع يقع شرقي قرية المركز وغربي قرية الفضول وقد هجرت بساتينه حديثاً ، وأبو شافع الواقع جنوب غربي قرية المنيزلة والذي كل ما تبقى منه مجرد نبع صغير جداً يجري ماؤه في وشل ضحل لا يكاد يتصل قطره وهذا هو كل البقايا من شبكة قنوات ري واسعة كانت تتدفق من المصدر نفسه .

رغم التحريات القليلة التي أجريت ، فان الدلائل الآثارية تدعم وجهة النظر هذه بشكل كبير . فبقايا عدة قرى حددت أماكنها من قبلنا في الاحساء بجوار شبكات مطمورة الآن بالرمل والحجارة الصغيرة . وأخيراً تظهر الدراسة المفصلة للصور الجوية بقعاً كثيفة تحولت الآن تماما إلى أراض قاحلة ، وهي في بعض الأحيان ، مطمورة بكثبان رملية ولكن يمكن تتبع آثار لقنوات ري وحدود لبساتين قديمة بل وحتى مواقع استيطان بشري يمكن تحديد معالمها بكل سهولة .

(١) Lorimer, 1908, P. 1244.
(٢) Mackie, 1924, P. 203.
(٣) Rihani, 1908, P. 96.

لا يعود سبب خراب المساحة المزروعة إلى إنخفاض مستوى المياه فقط بل هناك إلى جانب ذلك سوء طرق الري الاحسائية التي أدت إلى رفع منسوب المياه الجوفية . اذ لا يضمن نظام الصرف غير الفعال في الاحساء تصريف المياه الفائضة عن الحاجة لمسافة كافية . مما يجعل الأرض مشبعة بالمياه المتسربة من خلال السدود غير المناسبة وقنوات الصرف الضحلة ، مما يجعل طبقة التربة لجذور النبات مشبعة بالمياه بشكل غير مناسب . وبعدئذ كلما جفت التربة ببطء كلما تراكمت الأملاح التي في المياه على السطح والأملاح الأخرى فتمتصها الجذور الرفيعة . لا تحد الأملاح من انتاجية الأرض فقط ولكنها تتطلب كميات كبيرة من المياه لغسل تلك الأرض من الأملاح ، وهكذا تتكون دورة ضارة مغلقة . ولكن من الصعب الحكم دون تحر خاص أي من هذين العاملين ، هل هو نقصان منسوب المياه وكميات تدفقها أو أن سوء أساليب الري والصرف على مستوى سطح الأرض ، يتحمل مسئولية أكبر لتدهور البساتين . تختلف الآراء حولهما بنسب متساوية ، رغم أنه يبدو في الوقت الحاضر أن السبب الأول هو العامل الأكثر ترجيحاً . توجد هناك عناصر محتملة ساهمت في ذلك منها التناقص العام في كمية نزول المطر المصاحب بتوقع تحول الرياح الغربية إلى رياح شمالية ، واتساع رقعة الرعي الواقعة على أطراف الواحة خاصة خلال فصل الصيف حيث تسرح قطعان الضأن والمأعز المملوكة للبدو المستقرين قرب الواحة في الفصل الجاف .

يظهر تأثير جل عملية الجفاف تلك على طول حافات الواحة ويبدو أن الجفاف يتقدم من الأطراف إلى نطاق زراعة النخيل حول المركز مؤثراً أولاً على مزارع الخضروات والبرسيم . اذ يمكن للمرء أن يرى على طول حدود نطاق زراعة النخيل بساتين ذات نمو منخفض وان كانت لا تزال تنتج تموراً . وهذا أمر يضاف إلى حالة فائض التمور الحالية وندرة المواد الغذائية الأخرى والتي تبدو غير مرغوبة من النظرة الأولي . أما في الوسط فتظل غزارة المياه قادرة على نقل الأملاح بعيداً وتخزينها على أطراف الواحة . فعلى طول حافات المساحة المزروعة يكون عدوان الصحراء وزحفها على الواحة حقيقة مماثلة . وقد حدثت هذه المعضلة في جميع الاتجاهات : شمال العيون والمبرز وشرق الهفوف والطرف وجنوب المنيزلة والفضول وبين جواثا والحليلة .

تتجانس أنماط الاستيطان بين المواطنين المستقرين في الاحساء وتتشابه في تماسكها تماما . فتبنى القرى على طول حافة البساتين ونادراً في داخلها ، وذلك من أجل دفاع أفضل وكذلك من أجل إستخدام أفضل للتربة . وعندما تتقلص زراعة النخيل تنتقل القرية تبعاً لذلك . وهذا حقيقة لا تدعم فقط بروايات السكان ولكن بالفحص الدقيق للصور الجوية ، وبواسطة مسحنا الآثاري الذي قمنا به على السطح . فعلى مر سنوات طويلة تحولت المستوطنات باتجاه أقرب فأقرب إلى وسط الواحة .

لا يحدد عمر المخيمات البدوية بالطبع بالكسر الفخارية والآبار المطمورة مثلما يتم في القرى القديمة . حيث أن البدو في جميع أنحاء العالم لا يبنون مساكن بل يميلون إلى تفضيل الأكواخ المشيدة من المعدن والخشب والجلود والسلال والأجر الذي ينكسر بسهولة . ولكن عندما يخيم مجموعة من البدو لعدة فصول في الموقع نفسه فانهم يتركون خلفهم علامات آثارية واضحة كمقابرهم . لا تحمل هذه المقابر معالم معمارية خاصة لكن تشبه بالاحرى حقل مدافن تلال مصغر ، وتشبه من الجو مظهر بثر واضحة . وقد زالت في وقت ما (لا نملك معلومات لمعرفة طول الوقت الذي مضى عليها) شواهد القبور الصغيرة بواسطة عوامل التعرية للرياح والمياه ومن ثم أصبح من المتعذر التعرف على الموقع . ومن المحتمل أن الاشارة للعناصر التي تبرهن على انكماش واحة الاحساء تبدو أمراً ضرورياً ، اذ توجد مقابر البدو الموجودة على مساحة واسعة محيطة بالواحة ، وخاصة إلى الجنوب والغرب من العاصمة حيث يجد المرء كلما توغل في الاتجاه بعيداً عن الهفوف أن المقابر التي تواجهه تبدو تدريجياً أكثر قدماً وأكثر تآكلاً وكأنما حدث اجبار للبدو خلال فترة طويلة من السنوات على التخييم أقرب فأقرب إلى المساحة المنكمشة من الأرض المروية جيداً .

واضافة إلى تغييرات البيئية التي تمت مناقشتها أعلاه ، توجد عوامل أخرى ساهمت في عدم الاستقرار الاقتصادي في الاحساء . فرغم الاتساع في المساحة المزروعة وكمية التمور المنتجة ، فان كل من كمية التمور وسعرها قد تذبذبا بشكل كبير وخاصة الأسعار التي ارتفعت بشكل عال خاصة عندما تجعل الحروب المنطقة غير آمنة . يروي السكان المحليون أنه خلال الشطر الأخير من القرن التاسع عشر

وبداية القرن الحالي ، ارتفع سعر التمور في الاحساء إلى مستوى عال جداً في مناسبات قليلة وهبط محلياً هبوطاً كبيراً ، نتيجة لعدم انتظام التصدير وتراكم الكميات غير المباعة . ويعزى اللوم في التذبذب الشديد إلى الحروب القبلية ، والغارات على قوامل التجارة،والصراع ضد الحكم العثماني.ولا يزال رغم صعوبات عدمانتظام جداول النقل والعمل الخطر في الحقول ، وانخفاض انتاج التمور أحيانا ، بامكان الاحسائي تدبر أمره بسهولة بسبب الطاقة الغذائية المركزة في التمر .[1] لم تتأثر أسر الطبقة العليا من التجار في المنطقة بعدم أمن الطرق كما تأثر الفلاحون الصغار حيث أنه من الممكن لهم تأمين السلاح أو الحماية الدبلوماسية لقوافلهم .

ومع استرداد الملك **عبدالعــزيز** للاحساء حققت أسعار التمور ثباتاً معيناً وان كانت لا تزال مرتفعة خاصة من وجهة نظر البدو . وخلال العقود المبكرة من القرن العشرين كان لا يزال هناك نقص في وسائل الاتصالات مع العالم خارج شبه الجزيرة العربية ، مع عدم الأمن على طول الطرق البرية ، فنتج عنها صعوبات في تصدير كمية كبيرة من المحصول واستيراد مواد طعام أخرى . وبينما كان جزء من الأجور يدفع بمواد عينية (التمور) وتصدر أنواع مختارة من أحسن التمور - رغم وجود صعوبات معتبرة - واستهلاك الحمير العاملة في الاحساء لجزء غير قليل من المحصول ، فان الفلاح الاحسائي كرد فعل للظروف غير المواتية - فيما يبدو - قد خفض مساحة انتاج المحصول . وأخيراً فان صناعة السلوق في القطيف يجب أن تؤخذ في الاعتبار بنسبة متساوية . فبعد أن أصبحت التجارة في منطقة الخليج العربي آمنة (حوالي نهاية القرن التاسع عشر) اكتشف سكان القطيف أن باستطاعتهم بصورة اعتيادية بيع السلوق محلياً بسعر يبلغ ١٠٠٪ أعلى من سعر التمور العادية ، مما نتج عنه تحويل التمر المحول إلى سلوق بنسبة تصل ٩٠٪ من محصول تمور القطيف . ونتج عن ذلك استيراد التمور الطرية من الاحساء لسد احتياج القطيف الاستهلاكية الأمر الذي نتج عنه نقص في فائض التمور في واحة الاحساء التي كانت اسعار تمورها منخفضة ، وهذا وضع مميز اذا تذكر المرء أن الاحساء أكبر واحة منتجة للتمور في شبه الجزيرة العربية .

---

(١) حول القيمة الغذائية للتمر أنظر دوسون (١٩٤٩م) ص ص ٣٨ - ٣٩ .

أدى التحسن في التسهيلات التجارية على طول الساحل ، وتصدير السلوق إلى توفير مال كاف سمح بزيادة الواردات التي أثبتت أهمية معتبرة للمستقبل ، وظهرت نتائجها مؤخراً في الداخل . فقد اتيح للناس فرصة للتجربة وان كان فقط على مستوى صغير وذلك باستيراد مواد الطعام ومنها : أنواع مختلفة من الأرز والقمح ، وخاصة البضائع المعلبة . وبدأ إستعمال الأواني الفخارية في التلاشي سريعاً ، وحلت مكانها الأواني الزجاجية ، واختفت صناعة الأدوات المعدنية المحلية ليحل مكانها الأواني الأوروبية من الالمنيوم والأواني المطلية . وبدىء في استخدام موقد الكاز (الكيروسين) ومكائن سنجر للخياطة التي لاقت قبولاً ورواجاً وأزيحت دلة قهوة الاحساء ببطء ليحل مكانها النوع المستورد الاكثر بريقاً والاقل قوة .

وقد حدث تغير في الداخل اذ قل محصول التمور وصغرت المساحة المزروعة(١) ولم يعد هناك وجود فائض في محصول التمور وبقيت وظائف الأجور النقدية على أدنى حد لها مع ارتفاع أسعار التمور والمحاصيل الزراعية الأخرى . وقد أفاد من هذا الوضع قليل من أسر الطبقة العليا في المنطقة التي تنامت قوتها ونفوذها كلما زادت تجارتها واتصالاتها بالعالم الخارجي . وبدأت الأموال التي تتدفق في التأثير في قمة المجتمع وتصرف غالبا في الخارج ، لكن الأموال بقيت غير متوفرة للعامة مع استمرار الأجور المحلية الحقيقية في وضع غير ملائم للمتغيرات . حاولت الحكومة علاج هذا الوضع الذي يصعب تحمله خاصة من قبل المزارعين الصغار وبشكل أكبر على البدو المعتمدين على توفر التمور الرخيصة . ومن أجل تخفيض الأسعار بانتاج فائض كبير بأسرع ما يمكن منعت الحكومة تخصيص تمر لصناعة السلوق في القطيف ،(٢) محددة النسبة المسموح بها لهذا الغرض فيما يتراوح بين ٢٠٪ إلى ٢٥٪ من إجمالي المحصول ، وأن يخضع ذلك لاشراف البلدية ومراقبتها ، وفرضت حظراً على تصدير التمور .

أثبت هذان الأسلوبان جداوهما المتوقعة : اذ اصبح هناك فائض في الانتاج وانخفاض بطيء في الأسعار . وكان متوقعاً بعد انخفاض الأسعار أما أن تبقى الأسعار على المستوى نفسه أو يطرأ عليها زيادة طفيفة من سنة لأخرى . الا أنه

(١) ان التغيير المألوف في المساحات المزروعة رد فعل لتذبذب الأسعار في اقتصاديات المحصول .
(٢) يذكر أن قرار الحكومة اتخذ اما في سنة ١٩٤٢ أو سنة ١٩٤٣م .

حدث اختلال شامل للأمور في البلاد في الوقت نفسه . وكان هناك ظرفان رئيسان كان لتلازمهما أثره ليس فقط في تسببهما في تدهور اقتصاد التمور وانهيار أسعارها ، ولكن في إيجاد مجموعة جديدة تماما من المشاكل التي وجب مواجهتها والتي بقيت بشكل كبير دون حل . وأحد الظرفين كان نتيجة لانهاء الحرب الناجحة ضد قبيلة العجمان مما نتج عنه تهدئة للقرى في أواخر عشرينيات القرن العشرين . والظرف الثاني بداية عصر التصنيع مع بدء تدفق النفط في ثلاثينيات القرن .

يسّر انتشار الأمن داخل نطاق النخيل المحلي والاتصالات الأكثر انتظاماً مع العالم الخارجي ، خاصة منذ بدء نمو مدينتي الخبر والدمام على ساحل الخليج العربي ، وتسهيل كثافة التجارة وزيادة توفر مواد الطعام المستورد التي جربت بالفعل . وأصبح سوق الهفوف آنذاك يكتظ بأنواع مختارة ومختلفة من بضائع متنوعة بشكل كبير .

وقد تشجع سكان الاحساء بالتأثير السريع للأجور النقدية المدفوعة من قبل المؤسسات الصناعية المتطورة والمحتاجة لمزيد من المال ، تشجعوا على شراء المواد المستوردة المتعددة والمتزايدة . ولم يعد هناك قبول لدفع أجور العمال بمواد عينية من المحصول ، اذ أصبح الدفع النقدي للأجور أسلوباً متبعاً ، ولم ترتفع الأجور فقط ، بل صار الطعام الذي يقدم للعمال مختلفاً ، اذ أصبح لحماً وأرزاً ، وأصبحت التمور تقبل فقط كحلوى إضافية .

لم يؤد استيراد السيارات بأعداد كبيرة إلى زيادة التسهيلات في النقل فقط ، لكنها أنقصت عدداً كبيراً من الحمير التي لم تعد تستهلك كميات كبيرة من التمور والبرسيم ، وأصبحت تنتج سماداً أقل . وهناك عنصر آخر ساهم أكثر في إخراج حمير الاحساء من الأعمال ، ويتمثل في ادخال عربة «القاري» إلى المنطقة .[١]

---

(١) ان ادخال عربة «القاري» كان لها ميزات أخرى ، فبالاضافة إلى اعتبارات الكفاية ، فان الانخفاض في التخصيب عوضت بالارتفاع في انتاج البرسيم وتوفره الذي استخدم في اطعام الماشية وزيادة تربية الدواجن (والتي أدت في النهاية إلى سد العجز في السماد) التي أدت إلى زيادة توفر بروتينات الطعام التي كانت آنذاك في نقصان ومعرّض للخطر بسبب استيطان عدد كبير من البدو . وبجانب ذلك ، فقد اتيح لعدد كبير من الشباب الصغار الذين كانو في الماضي مسؤولين عن تسير الحمير والعناية بها ، أن يصبح لديهم الآن وقت فراغ يمكنهم من الذهاب إلى المدرسة .

وفي الوقت نفسه بدأ سكان الواحة تدريجياً في تغيير عاداتهم الغذائية ، فمن النظام الغذائي الذي يعتمد على التمر كأساس ثابت والأرز كأضافة مهمة ، تحول السكان إلى الأرز مع اللحم كعنصر غذائي أساسي ، مع إضافة أنواع متعددة من مواد الطعام خاصة المعلبات المستوردة . كما نتج عن هذا التغيير التقليل من أهمية التمور ، اذ اصبح تناول الأغنية الأجنبية أمراً شائعاً ، ودليلاً على مسايرة التغيرات الحديثة في الاحساء . وأصبح من النادر جداً في الوقت الحاضر وخاصة في منازل الأسر الأكثر فقراً أن يجد المرء تمراً يقدم عند الاحتفاء بالضيوف ، اذ يكتفي بالقهوة والشاي ، ويشمل الطعام عادة صحونا قليلة من الخوخ المعلب والبسكويت الانجليزي . يصدق هذا التعميم على كامل منطقة الاحساء ، رغم ملاحظة وجود بعض اختلافات اذ أن هناك فترة فاصلة لايستهان بها فيما يختص بنسبة تفاوت حدوث التغيير بين العاصمة والقرى والقرى الصغيرة الأكثر عزلة ، حيث أنها لا تزال أقل تأثراً . وبينما كانت تسير كل هذه التغيرات التي تنعكس في تدهور أسعار التمور ، فقد استمرت الحكومة في حظر تصدير التمور والمحافظة على تحديد نسبة صناعة السلوق في القطيف . ومن ناحية أخرى توقف دعم الحكومة لبرنامج اعانة توزيع السماد لمزارعي الاحساء الذي وضعته موضع التنفيذ خلال أواخر أربعينيات القرن العشرين . وقد حدث هذا في وقت غير مناسب حيث انخفض حينها عدد الحمير مما تلاه انخفاض مشابه في توفير السماد . وينبغي الاشارة هنا إلى أن الاحساء تعتمد بشكل كبير على الاستخدام الملائم لوسائل تخصيب التربة خلافاً للواحات الواقعة على ضفاف الأنهار في الشرق الأدنى ، وأفضل مثال لذلك مصـــر التي تتلقى دفعات جديدة من طبقة طرية من التربة الطموية مع كل فيضان سنوي .

ألغي حظر تصدير التمور في ربيع سنة ١٩٥٢م . وبالاضافة إلى ذلك ، فان التنظيمات التي تخص صناعة السلوق رغم عدم تعديلها رسمياً ، فان نسب صناعة السلوق لم تعد مطبقة بشدة . ونتيجة لذلك صار يحول في الوقت الحاضر من انتاج تمور القطيف تمور تبلغ نسبتها ٨٠٪ إلى صناعة السلوق دون مساءلة . ومع ذلك لا يزال من الصعب رؤية نتيجة هاتين الخطوتين وحدهما ، هل تساعد في الوقت الحاضر على إنتعاش اقتصاد تمور الاحساء .

لم تنجح فيما يبدو تجارة التمور حتى الآن في إيجاد سوق دولية كبرى لها . وتشير الدلائل إلى إنخفاض في السوق الدولية للتمور . فالدول الشرقية والتي كانت في الماضي تستورد التمور من الاحساء تعمد الآن إلى زراعة النخيل مثل شرق أفريقيا أو أنها غيرت عادات نظامها الغذائي أيضا . وقد بذلت محاولات في الولايات الساحلية الشرقية في الولايات المتحدة الأمريكية ، لايجاد سوق للتمور في أواخر سنة ١٩٥١م وفي سنة ١٩٥٢م باستيراد تمور عراقية . ورغم الدعاية القوية المصاحبة بعينات مجانية وتوزيع وصف اعداد فطيرة تمور ... الخ والسعر المنخفض جداً ، وطعمها الأفضل مقارنة مع أنواع التمور التي تزرع في كاليفورنيا ، إلا أن التجربة بأكملها باءت بالفشل .

من المحتمل تماما أن التغير في عادات الأكل في الاحساء لم ينتج عنها تحسن في النظام الغذائي إلا أنه من الصعب ترجيح أن مثل هذا النقص الغذائي ، والمعتاد في مناطق أخرى من العالم ، يمكن تصحيحه بسهولة بغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية ودون حملات اعلامية واسعة والتي ستكون صعبة التنفيذ في بلد تكون نسبة التعليم منخفضة فيه .

برهن الولع بزراعة أشجار النخيل على أنه واحد من الاشياء الرئيسة المباركة بالنسبة لسكان شبه الجزيرة العربية في الظروف التي خلقوا ليعيشوا في ظلها . فاذا أخذ في الاعتبار معدل وزن الرجل الاحسائي البالغ ، فانه يقل قليلاً عن ١٣٠ رطلاً ، وأن نمط عمله اليومي يتطلب سعرات حرارية تبلغ حوالي ١٥٠٠ وحدة . وأن أربعين تمرة (تعادل تقريباً رطلاً واحداً) تمده بأكثر من ١٠٠٠ وحدة . وباضافة زبدية من اللبن وحفنة من الأرز يمكن أن يحصل على معظم السعرات الحرارية وعلى العديد من الفيتامينات . ويعد هذا الغذاء مرتفعاً جداً في الكربوهيدرات ومنخفضاً في البروتينات والدهون وكذلك بعض الفيتامينات ، وبالرغم من أن هذا النقص يعوض على حدة ، خاصة في لحوم المناسبات وبواسطة خضروات البساتين . ومن المسلّم به أن عادات الطعام تلك المتبعة منذ زمن طويل ، نتج عنها عدد غير قليل من ظواهر النقص الواضحة ، وأنها لا تحتوي على غذاء متعدد أو

حتى مغذ .[1] أصبح بمقدور السكان في بيئة شبه الجزيرة العربية وبمساعدة التمر والناقة سواء أكانوا مستقرين أو بدواً رحلاً أن يتغلبوا على مشاكل البقاء الملحة والطارئة ، بل أكثر من مجرد البقاء بدون شك ودون خوف من تجاوز حد المجاعة .

اذا ازداد البروتين والدهون والخضروات في النظام الغذائي للاحسائي في المستقبل ، فسوف تتحسن عادات الأكل بشكل كبير . وان كان يبدو في الوقت الحاضر أن الطبقة الدنيا في الاحساء التي تركت تناول التمور وأقبلت على أكل الأرز والأطعمة المعلبة ، بينما لا يزالون غير قادرين على شراء اللحوم والخضروات الكافية ، يمكن أن يكونوا في خطر التعرض إلى نقصان كبير في الغذاء .

يوضح الجدول الآتي التدهور الحاصل في سوق التمور في الاحساء :[2]

السنــــة	معدل السعر في الاحساء	قرية المـــــزاوي
١٩٤٨	٥٠ ريال تقريباً	٤٨ ريال تقريباً
١٩٤٩	٣٠ ريال تقريباً	٣٢ ريال تقريباً
١٩٥٠	١٥ ريال تقريباً	١٦ ريال تقريباً
١٩٥١	١٠ ريال تقريباً	١١ ريال تقريباً
١٩٥٢	١٧ ريال تقريباً	١٨ ريال تقريباً

وقد تدهورت أسعار التمور في القطيف أيضا خلال الفترة نفسها ، من ٢٥ أو ٢٦ ريالاً لقلة القطيف في العام ٤٨ - ١٩٤٩ ، إلى حوالي ٤ ريالات في عامي ١٩٥١ - ١٩٥٢ .

(١) تبقى مظاهر التهاب المفاصل واضحة في عديد من العظام ، ونقص السوائل وخاصة الكالسيوم في الهيكل العظمي غير المغطى في مقبرة جوان شمال واحة القطيف ، والتي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي ، يحتمل أنها دليل على نواقص الغذاء .

(٢) السعر المعطى لقلة الاحساء من تمر الرزيز . والاختلاف بين السعر في الاحساء والقطيف قدر بشكل أساسي على الواقع المطلق باعتبار قلة الاحساء تساوي قلتين من قلال القطيف وحسب النوعية الرديئة لتمور القطيف

وتوضح أسعار التصدير في العراق أنماط الانخفاض المماثل على الوجه الآتي :[1]

السنة	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢
مؤشر السعر	٩٥	٩٢	٨٦	١٠٠	٩٠	٧٣	٨٥
السعر بالدينار العراقي	٢١	٢٠ر٥٩٣	١٩ر٢٥٠	٢٢ر٣٨٤	٢٠ر١٤٥	١٦ر٣٤٠	١٩ر٢٦

يوضح الجدول الأول حقيقة مهمة تتمثل في أن اتجاه الأسعار لم يعاود الرجوع من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٥١ برغم كون المحصول في سنة ١٩٥١ كان أقل بكثير من محصول سنة ١٩٥٠ وأن المزارعين لم يؤبروا كامل نخليهم . وبينما تعكس الأسعار في عدة أوجه الظروف المحلية المحيطة ، فانها كذلك في عدة طرق ذات صلة باتجاه انخفاض أسعار التمور الدولية كما برهنت على ذلك أسعار تصدير تمور العراق .

وقد أفاد من هذا الوضع البدو الذين يملكون الماشية ، حيث باعوا لحوم ماشيتهم بأسعار مرتفعة قياسية وتمكنوا من شراء التمور بأسعار أقل من ذي قبل . أما كيف سيكون رد فعل البدو لهذا الوضع ، فان ذلك سيكون مشكلة في المستقبل . ان الاغراء بالعمل بأجور نقدية قائم بالفعل ، فعندما يكون هناك أمور أكثر أهمية ليست متعلقة بالسيولة النقدية التي يملكونها أو يمكنهم الحصول عليها ، ولكن باللحوم التي يمكنهم بيعها . بالاضافة إلى النزعة في تقليد سكان المدن في بدعتهم الحالية في استيراد مواد الطعام ، الأمر الذي أصبح مؤخراً حقيقة بين البدو الرحل أيضا . ولا يزال السكان المستقرين ينظرون إلى الحيوانات التي يحترف البدو تربيتها كحرفة ذات قيمة لسكان القرية .[2]

والمجموعة التي لم تتأثر بانهيار زراعة النخيل هي طبقة التجار . اذ لا يعتمدون على انتاج التمور أو بيعها بشكل كبير . علاوة على توفر العملات الأجنبية من عمليات النفط التي ساهمت بشكل كبير في جعلهم مستقلين عن تذبذب اقتصاد التمور .

(١) السعر بالطن . يساوي الدينار العراقي ١٠ ريالات وقرشين تقريبا .

(٢) نسبيا تحتفظ أسر قليلة في الاحساء برأس أو رأسين من البقر للحليب . وكقاعدة فان هؤلاء الأشخاص يكونون اما أعضاء أسر من طبقات ميسورة أو من البدو الذين استقروا حديثاً مثل سكان الرقيقة والكلابية والعيون .

ومع كل هذا التدهور في المحصول النقدي الوحيد في الاحساء وفقدانه لأهميته كعنصر غذائي ، كان متوقعاً أن يقود ذلك إلى إنخفاض أثمان بساتين النخيل . لكن هذا لم يحصل اذ ارتفعت أثمان العقارات في الاحساء وخاصة بساتين النخيل . ويعد هذا في حد ذاته نقطة مهمة للغاية ، فرغم أن ذلك يعزى جزئياً إلى التضخم المالي ، إلا أنه ناتج أساساً عن الأهمية القصوى لقيمة البستان كعنصر ترف وجاه . ويعم في الوقت الحاضر ميل واضح بين أفراد الطبقة الغنية في مجتمع الاحساء ، للاكثار من شراء الاملاك الكبيرة . ويتضح هذا بجلاء في المناطق الاكثر قربا لمدينة الهفوف اذ لا تزال القرى النائية لم تتأثر بهذا بعد .

إن تأثير العوامل الزراعية ليست قاصرة فقط على الاحساء ، فمعظم المزارعين يملكون قطعاً زراعية صغيرة ، ويحصلون على دخل اضافي من العمل في بساتين الغير . ولم يعد ذلك يتم وفقا لمبدأ المشاركة في المحصول بل يتم بموجب عقد يتعهد بموجبها المستأجر أن يدفع للمالك في مواسم الحصاد كمية معينة من التمور والأرز . هذه الكمية لا تحسب وفق عملية حسابية لمعدل حصيلة مواسم عدة ، بل وفق كمية ثابتة حسب ما تعي الذاكرة عن أفضل موسم انتاج لبستان المستأجر . ولم تصبح المحاصيل الكبيرة نادرة فحسب بل كذلك هناك ندرة في العمال الزراعيين – وسبب ذلك جزئياً هو نتيجة للتوسع الصناعي – والافتقار إلى المال الذي يدفع لهم ، أو التدهور التدريجي لخصوبة التربة مما يجعل – غالبا – من غير الممكن على المستأجر أن يفي بالتزامات العقد ، الأمر الذي يدفعه إلى اللجوء إلى السوق لشراء الكمية اللازمة من التمور والأرز لتعويض النقص ويحصل على هذه المواد غالبا باقتراضه مالاً لهذا الغرض . ويكون الاقتراض من مالك البستان أكثر سهولة الامر الذي سوف ينتج عنه في النهاية حصول المالك على الضمان وهو عبارة عن القطعة الزراعية الصغيرة التي يملكها المستأجر . ووفقاً للشرع يجوز للمستأجر المطالبة بتعديل العقد بعد انتهاء موسم الحصاد اذا كانت نتيجته رديئة وذلك بتظلمه للقاضي الشرعي . وان كان لا يلجأ إلى ذلك فعليا إلا اذا كان الفرق بين المحصول المتوقع والفعلي كبير جداً وأن يبرهن بأنه لم يكن ناتجا عن اهمال المستأجر أو خطأه . ولكن في معظم السنوات عندما تكون ظروف العمل ليست – من حيث الأساس – غير مواتية مما يخلق بالطبع صعوبة بالغة أن يبرهن في المحكمة على أن المستأجر لم يكن مهملاً لواجباته . وفي معظم الحالات فان المستأجر أما أن يتردد في المثول أمام القاضي بدعوى ضعيفة ، أو أن يفضل أن يضحي من أجل الوفاء بالتزامات

عقده . وتكون النتيجة نموطبقة سكانية تصبح طبقة أجيرة وتواجه مستقبلاً لا تملك فيه أراضي زراعية ، وتعتمد في معيشتها على الأجور . ويحدث هذا الوضع غالبا بسبب العوامل البيئية في معظم القرى الصغيرة النائية والتي يكون فيها حتى عمدة القرية نفسه أجيراً . ويبدو أن المعضلة التي وصفناها ظاهرة عامة في أقطارالشرقي الأدنى وفي المجتمعات المستقرة في هذه المنطقة ، تلك المجتمعات التي احتفظ معظمها بالتراث البدوي ، أو تلك التي اقتسبت المسحة البدوية فسلطة ملاّك الأراضي من المحتمل أن يكون أصلها قد استمد جذوره الحضارية من تقاليد شيوخ القبائل ، ولكنها مساوية بعمق ومؤسسة على عدم استقرار الانتاج وغلات المحاصيل في الاقطار الجافة والقاحلة . فبينما تسود الانماط البدوية خاصة الملكية العامة والمسؤولية المشتركة ، فان الفلاحين يتمتعون بقسط من الأمن ، ولكن مع بداية التكوينات المستقرة ووجود السوق والاقتصاد النقدي . فالمزارع الصغير لا يستطيع مواجهة الأخطار التي يتعرض لها والتغلب عليها ولذا فانه عموما يضطر للجوء إلى الاقتراض .

كان الانحدار في أسعار التمور في الاحساء فجائياً إلا أنه تراجع في موسم ١٩٥١ - ١٩٥٢ . وأرتفعت الاسعار نوعا ما مع بداية الموسم إلى ١٢ أو ١٣ ريالا للقلة الواحدة ثم قفزت الأسعار عند نهاية الموسم إلى عشرين ريالا للقلة . ويمكن أن يعزى هذا إلى أسباب عدة من أهمها :

أولاً : الزيادة الكبيرة في المحاصيل الأخرى وان كانت التمور لا تزال تستهلك بشكل كبير من قبل البدو القاطنين في الرقيقة والحزم .

ثانياً : الظروف المتمثلة في أن مزارعي الاحساء الذين لم تشجعهم الأسعار المتدينة لتمورهم وعدم قدرتهم جزئياً على تحمل النفقات لدفع الأجور المرتفعة للعمال الزراعيين ، على مواصلة الاهتمام بزراعتهم فاضطروا إلى ترك أجزاء كبيرة من أملاكهم غير منتجة .

ثالثاً : الشاحنات الكويتية التي تعمل بشكل مكثف على خط النقل بين الكويت والاحساء ، وتبدأ في أخذ حمولتها من التمور إلى الجنوب والغرب والجنوب الغربي من صحراء الجزيرة العربية قبل عودتها إلى نقطة إنطلاقها .

رابعاً : رفع الحظر عن تصدير التمور . وأخيراً ، يحتمل أن يكون أهم الأسباب تأثيراً ، هو بدء تشغيل الخط الحديدي لسكة الحديد بين الدمام والرياض ، اذ جعل من الممكن نقل كميات كبيرة من التمور إلى نجد بصورة أسرع وأجدى اقتصاديا من النقل بالجمال والسيارات . وقد وفرت هذه الوسيلة على عديد من البدو أن يكونوا قريبين من الاحساء وخاصة لشراء التمور .[١] تساعد هذه الأسباب في شرح لماذا لم يعد هناك فائض في محصول التمور في الاحساء في ١٩٥٢ -١٩٥٣ مع الزيادة الموازية في السعر .

تبقى الاجابة على السؤال كيف سيتحسن اقتصاد التمور في الاحساء في المستقبل أسئلة حائرة وخاضعة للتوقعات . ومن المحتمل أن المزارع الاحسائي الذي شجعه الارتفاع في الاسعار وتوفر واف للسيولة النقدية أكثر مما كان في السنوات الماضية ، سوف يعود إلى زراعة مزيد من النخيل . ومن المنطقي كذلك أن يعتقد أن الكثافة البدوية وتسهيلات النقل والمواصلات ، ستستمر ربما ببطء لكنها ستظل تتيح ظروفاً مشجعة ومناسبة لانتاج تمور الاحساء .

ومن ناحية أخرى ، يمكن توقع ، رغم أنه ليس هناك تنبوءات أكيدة ، أن الانصراف عن تناول التمور كعنصر غذائي أساسي سوف يستمر ، وسوف يؤثر هذا التغير كثيراً في النظام الغذائي في نهاية الأمر على الكثافة السكانية البدوية . وحينها ستكون المشكلة كيف يمكن ترتيب أمر الفائض الكبير من التمور التي سوف تظهر مرة أخرى وربما تكون تلك المشكلة أكثر الحاحاً .

وفي الماضي القريب اقترح عدد من الخبراء الزراعيين الذي أعطوا اعتبارا مهماً للأساليب الزراعية ، بأن اقتصاد الاحساء ينبغي أن يتطور أساساً بواسطة تحسين نوعية التمور وأصنافها وتصنيعها ، وباستصلاح شامل للمناطق التي ينبغي تحويلها إلى بساتين نخيل .[٢] وقد تمت محاولة تتفق مع هذه التوصيات في الوقت

---

(١) هناك تأثير آخر محتمل لسكة الحديد على الوضع الاقتصادي العام للاحساء ويتمثل الآن في نقل البضائع مباشرة من الخليج العربي إلى الداخل ، مما أفقد الهفوف أهميتها كمركز اتصال . ولذلك فقد خسرت الهفوف جزءاً أساسياً من المال الذي كانت تجنيه سابقاً كعائد مقابل الخدمات التجارية .

(٢) ومن ضمنهم مؤلف تقرير بعثة الولايات المتحدة الأمريكية الزراعية في المملكة العربية السعودية :
Twitchell, Wathen and Hamilton, 1943, PP. 31 - 32

الحاضر من قبل منظمة الأغذية والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، بانشاء مزرعة الهفوف للأبحاث قرب قرية المطيرفي . ومع الأخذ في الاعتبار ليس فقط كل العناصر الزراعية المتغيرة الموضحة في الصفحات السابقة ، فان هذه الخطوة في صالح انتاج أكثر وأكبر وتمور أحسن في المنطقة ، وبواسطة عدم التجانس والتفاوت في زيادة الفائض ، يمكن أن تنتج عنها تأثير عكسي على اقتصاد الاحساء . فمسألة تطوير سوق تمور عالمي يتجاوز حدود الواحة ستبقى مشكلة تواجه المخططين الاقتصاديين . ويظل في رأينا ، أن تطوير مثل تلك السوق قد ينتج عنه بعض المشاكل الاقتصادية ، فبجانب الاشكال الاقتصادي الصرف ، فالتمور تعد في الغرب أو الدول التي تنتهج الأسلوب الغربي بشكل عام ، ومنذ وقت طويل ، كمجرد حلويات فقط أو سلعة صعب الاتجار بها بكميات كبيرة إلى حد كبير . وعلاوة على ذلك ، ففي حضارة القرن العشرين وأكثر مواد الأكل يركز عليها بنظرات العيون ، ولذا فانه من الصعب تصور كيف يمكن للتمور ، وهي فاكهة غير جذابة في شكلها ولونها ، أن يعلن عنها بسهولة في دعاية الأسواق على مستوى العالم كمعظم أنواع الحلويات والفاكهة التي تظهر مصورة في ألوان زاهية جذابة في المجلات المنزلية الأمريكية .

يجب أن يتم تغير زراعي كبير في الاحساء قبل البدء في انشاء معمل لفرز التمور وتعليبها على أسس اقتصادية متينة . فالمعالجة الكيماوية للانتاج على أسس صناعية مثل تصنيع دبس السكر وانتاج عصير مركز وسكر مما تكون التمور مناسبة لها تماما والتي يمكن أن تمتص جزءاً كبيراً من أي فائض في محصول التمور ، وأن كان ذلك غير متوقع في الوقت الحاضر وان كان من الممكن تصدير التمور إلى أحد المناطق القريبة ليتم تصنيع تلك الأنواع .

كان التركيز الزراعي على التمور في أيام ما قبل الصناعة مناسباً للأساليب الزراعية الراسخة للاكتفاء الذاتي بينما لم تكن المصادر الخارجية لمواد الطعام رخيصة بشكل يضمن احلالها محل المحصول المحلي . إلا أنه لم يعد ممكناً الاحتفاظ بهذه الظروف في الوقت الحاضر .

سيجد الاحسائيون في نهاية الأمر حلاً لمعضلتهم الاقتصادية الحالية اما بتغيير أنماطهم الزراعية أو التحول إلى تربية الحيوان ، أو عمل أي شيء كان من التأقلم يختارونه لأنفسهم . واذا أخذنا في الاعتبار كل النقاط التي أثيرت في تحليلنا ، فأن

رأينا يميل إلى أنه من أجل تعزيز هذا التكيف الاقتصادي ينبغي على الاحسائي التوجه بشكل أساسي إلى رفع مستوى زراعة الأرز وبساتين الخضروات وتحسينها ودراسة امكانية ادخال محاصيل نقدية جديدة وتطوير تربية الحيوانات وتهجينها وتشجيع الصناعة المحلية خاصة النسيج ، وربما كذلك الاستفادة الكيماوية من عصير التمور المركز .[١]

(١) ان دعم الحكومة لتجربة الآن في مرحلة الانبات لادخال القطن كمحصول نقدي . وخطوة في هذا الاتجاه - رغم اعتبار مميزات اقتصاد القطن - ربما لا تكون خطوة جيدة .

ثامناً : الحرف والصناعـــــات :

يأتي مباشرة بعد زراعة التمور شهرة الاحساء التي اكتسبتها عبر حقبة طويلة لحرفها وصناعاتها ، وخاصة الصناعات المعدنية والمنسوجات . يمكن محاولة اطلاق تعميمات في هذا المجال تنطبق على كل صيغ الحرف في الاحساء ، ما عدا القول عموماً أن الحرفيين والصناع هم من الشيعة والاستثناءات الرئيسية لذلك تكون في أصحاب مقاهي وحرفيين قلة في قرية العيون ، تمارس هذه الحرف في حوانيت صغيرة ، وأنها - مرة أخرى - ومع استثناءات قليلة ، تتركز في مدينتي الهفوف والمبرز .

ان معظم البارزين من بين صناع المعادن في الاحساء هم صانعوا دلال القهوة . تصنع الدلال في ثلاثة أحجام رئيسية : تؤدي الكبيرة منها في الغالب مهمة الغلاية . وتظل في المنازل الكبيرة باستمرار ملأى بالماء فوق النار ، جاهزة لاعداد القهوة في أي وقت يحتاج فيه للقهوة . تصنع هذه الدلة من النحاس الأصفر «الصفر» والنحاس مع وجود تصميمات ونقوش جميلة . ولها مثعب مميز وكذلك غطاء طويل جميل . تسمى هذه الدلة «خمرة» والحجم الثاني شبيه بالنوع الأول في الشكل ولكنه أصغر حجماً وتكون عادة أقل نحاساً وتسمى «اللقمة» وتستخدم لصنع القهوة . والنوع الثالث من الدلال تكون أصغر في الحجـم وتصنع من النحاس وتسمى «المزل» . تسكب القهوة في هذه الدلة بعد صنعها ومنها تقدم في فناجين لشاربيها . تحمل بعض الدلال من هذا النوع علامات مميزة لدلال الاحساء ، إلا أنها عموما تكون في أشكال مختلفة . أما الآن فلم يعد سكان الاحساء يفضلون الدلال المصنوعة محلياً . اذ يفضلون لغلي الماء أناء مصقول يستخدم لغلي ماء الشاي يسمى أبريق ، يكون عموماً من صناعة يوغوسلافية . تفضل الدلال التي تقدم فيها القهوة الآن من بين تلك التي تستورد غالبا من سوريا والعراق ، وتصنع من شرائح نحاسية وتكون أقل قوة ، لكنها قابلة للتلميع . وتكون أشكالها أساسا على غرار شكل الساعة الرملية لدلال تقديم القهوة الاحسائية ، إلا أن مصب الدلة السورية أقصر وأوسع وأقل إنحناء وليس لها غطاء طويل بينما تكون أشكالها ومميزاتها العامة الخارجية متساوية .

ساهمت الواردات اليوغوسلافية والسورية ومصادر أخرى في إنحطاط كبير

لصناعة الاحساء المعدنية . وقد حل الهاون ومدقه الحديدي أو الفولاذي الرخيص والقوي ، والأواني المطلية وأحواض الغسيل وأواني حفظ المياه محل الأواني المصنوعة من النحاس والصفر أو تلك المغطأة بالصفائح النحاسية والمصنعة محلياً . مع أنه لا تزال تصنع الآن دلال قليلة من أنواع دلال الاحساء . فخلال اقامتنا في الواحة لم نشاهد حرفيا واحداً منهمكاً بشكل خاص في صناعة دلال القهوة المحلية . فمعظم المحلات تنتج أنواعاً أخرى من الصناعات المعدنية ، فبعضها متخصصة بشكل جزئي في صناعة المجوهرات . وحاليا ، تباع نماذج مصغرة من دلال القهوة القديمة في سوق الهفوف ، وتعرض أساسا للتجارة السياحية . ولا تزال تصنع أوان معدنية أخرى من قبل حدادين قلائل في الاحساء . ومن هذه الأدوات المحماس ، والمحراك المعروف باسم اليد ، والملقاط لالتقاط الجمر .

بينما تتوزع حوانيت صانعي الدلال في جميع أنحاء الهفوف ، إلا أن جل تركيزهم يكون قرب ميدان الحميدية . وتقع حوانيت باعة الذهب والفضة ، وكذلك قلة من صاغة الذهب على جانبي شارع المفيريق ، وفي حارتي الرفعة والنعاثل . إلا أن صياغة المجوهرات لم تتدهور مثل ما حصل لصناعة الدلال . فلا تزال تصنع في الاحساء كميات كبيرة من المجوهرات الذهبية والفضية ، وخاصة الاسورة والخلاخيل وصناديق لحفظ التعويذة وجميعها من الفضة وكذلك سلاسل وأسورة ذهبية وخزامات للأنف . كما لا يزال صناع الأغمدة الذهبية والفضية للسيوف والخناجر نشيطون في مزاولة حرفتهم في الوقت الحاضر ، إلا أنهم مثل صناع الدلال اذ أن جل عملهم الحالي ، على الأصح ، يتمثل في اصلاح القطع القديمة وترميمها أكثر من تصنيع أشياء جديدة .

تعد صناعة النسيج اقتصاديا أكثر أهمية من تصنيع دلال القهوة . اذ تصنع العباءات في الهفوف منذ زمن طويل ، ولكنها اشتهرت أخيرا .[١] وتقع معظم محلات النسيج في حارة الرفعة خاصة الجزء الشمالي منها ، رغم وجود محلات قليلة أيضا في جزء القرن من حارة النعاثل . وجميع الأسر التي تمتهن صناعة النسيج هي من الشيعة .

---

(١) ناصر خسرو (١٨٨١م) ص ٢٢٨ .

تصنع العباءات من وبر الابل أو الصوف أو كليهما ، أما استخدام الحرير أو القطن فيعد نادراً . يشترى الغزل من النساء البدويات أو يستورد . ويستورد كذلك من الهند الجدائل والخيوط الذهبية التي تستعمل في تزيين العباءات من أجل تطريز وزخرفة الطوق المحيط بالرقبة والأكتاف والأطراف المتدلية على الجانبين من الامام بحوالي عشرين بوصة . وتعمل كذلك القيطان الذهبية والكتل الكروية المعلقة على الجانبين من التوشيحة المزخرفة المحيطة بالرقبة . تنقسم العباءات إلى ثلاثة أصناف رئيسية ، نوع خفيف يغلب على لونه اللون الأصفر البرتقالي ويستخدم أثناء الطقس الحار ، ويسمى «بازولي» . وهناك نوعان رئيسان من الصنف الثقيل يحكان بشكل مشدود ويكونان من لونين ، بني ويسمى «لويان» وأسود ويسمى «عباءة» . تتميز هذه العباءات بالعمل المتقن والتطريز الجميل الذي يتم نسجها في محلات صغيرة يعمل فيها ما بين نولين إلى ستة أنوال في المحل الواحد . تعمل هذه الأنوال بالطريقة اليدوية ، وهي من الأنوال الافقية بدون أطار وتتكون من خطين للنسيج تستوعب حداً قد يبلغ ثمانية مداوس وستة أمكاك .[1] توطأ المداوس الموضوعة داخل حفرة على الحافة التي يجلس عليها الحائك . تباع قطع القماش المنسوج إلى الخياطين مباشرة في سوق القيصرية . ويقوم الخياطون بقصها وخياطتها وتطريزها وبيعها . لم يصب التدهور صناعة النسيج في الاحساء بل هي في الواقع حصلت على تشجيع كبير من الاسرة المالكة وأفراد الطبقة الحكومية وكذلك من المجموعة الاجتماعية البارزة التي استمرت في تفضيل منسوجات صناعة الاحساء على غيرها وكانت النتيجة الحتمية زيادة الانتاج الذي نتج عنه تركيز على أنتاجِ كمية معينة من المنسوجات . وفيما مضى كان معظم صناع النسيج يديرون محلاً واحداً فقط ، أما اليوم فهناك قلة من الاشخاص يديرون عدة محلات ، قد يبلغ مجموع أنوالها عشرين أو ثلاثين نولا أو أكثر . ومن بين البارزين في هذا المجال : سليمان بالغنيم والذي ربما عد أكبر مالك لصناعة النسيج في الاحساء ، ومحمد بو علي وكذلك حفيدة عبدالحميد وهم يعدون أفضل صناع لأنواع متعددة من العباءات السوداء المتقنة التي تستعملها الأسرة المالكة .[2]

(١) هذا ايضاح لأنوال النسيج التي تدار يدوياً والتي تعد جزءاً آلياً متقدماً . ولذا فان الملاحظات التي تزدريها والتي أبداها عبدالله عريف (أبو عبيد) على بدائية صناعة النسيج وظروفها في الاحساء لا تنصف أو تقدر قيمة الانتاج والآلات أو العاملين : جريدة «البلاد السعودية» ، وعدد رقم ١١١٣ ، ١٣ ديسمبر ١٩٥٢م .

(٢) رغم أنه بالتأكيد لا ينخرط في صناعة العباءات في الاحساء ٥٠٠ أسرة كما جاء في جريدة «البلاد السعودية» ، العدد رقم ١١١٣ ، ١٣ ديسمبر ١٩٥٢م .

وفي رأينا ، أن الدرجة العالية للتقدم التقني والجذور العميقة لتقاليد صناعة النسيج التي توارثتها أسرة الاحساء لعدة أجيال ، يمكن اذا توفرت الطاقة والأنوال الآلية أن تكون النواة الرئيسية التي ينبغي أن يتم حولها أساس لصناعة محلية تدريجية تأخذ مكانة جديرة بها في الاحساء .

تتركز صناعة الاقمشة في القيصرية في الهفوف والمبرز . أما غطاء الرأس (الكوفية ، الطاقية) فتعمل من قبل نساء القرى وخاصة في المستوطنات البدوية . ومعظم أغطية الرأس (الطاقية) المحاكة تعمل في قرية العيون .

يتم اقتلاح الحجارة ويصنع الجير في كل مكان في الواحة وخاصة حول مدينتي الهفوف والمبرز وكذلك على طول الأطراف الجنوبية للقرى الشرقية . ويصنع اللبن من الطين المخلوط بالتبن ، ويجفف تحت أشعة الشمس في كافة أنحاء الواحة رغم محدودية كمياته . أما أعمال الحجارة الصلبة فانه لم يعد أمراً نادراً وينحصر معظمه في صناعة الرحىّ الصغيرة للاستخدام المنزلي . وتكون الرحى من أحجار مصقولة على شكل أقراص تدار باليد (انظر الرسم) . تسكب الحبوب في الفتحة التي تقع في وسطها أثناء دوران الرحى ، والرحى لا تطحن فقط بل أنها أيضا تدفع بالدقيق إلى المحيط الخارجي لها ، فيتجمع الدقيق المطحون في حلقة منخفضة حولها ، وعندها يدفع المسحوق من خلال فتحة أخرى إلى أناء معد . وتقوم النساء بعمليات الطحن تلك .

أما صناعة الفخار فانه عمل لا يزاوله إلا الرجال في الاحساء ، وباستثناء قرية القارة فمعظم صناعة الفخار تتركز حول الهفوف والمبرز وكما أشرنا سابقاً ، فقد عانت صناعة الفخار بشكل كبير نتيجة لزيادة تسهيلات الاستيراد وتوفر أوان أكثر ملاءمة وأرخص سعراً من الأواني المعدنية والزجاجية .

تتم صناعة السلال بكميات كبيرة في قرى صغيرة قليلة لا سيما في المناطق المجاورة لهضاب قرية القارة وكذلك الحصر من أنواع متعددة وخاصة أواني تعليب التمور وسلال الحمير . وتوجد صناعة الحبال من ألياف النخيل في عديد من القرى

بينما تستورد الحبال المصنوعة من ألياف جوز الهند والقنب الهندي .

أما الصناعة الجلدية فانها لم تتطور كثيراً في الاحساء ، اذ يختص البدو بصناعة الجلود المصنوعة محلياً من جلود البقر المدبوغة والمعروضة على طول شارع المفيريق بجودة مذكورة . وحالياً تصنع الصنادل من اطارات السيارات التالفة ومن شرائح من الأنابيب المطاطية المستخدمة داخل اطارات السيارات لتحل مكان السيور الجلدية .[1] وهنا تحسن الاشارة لصيغة خاصة لزرابيل الاحساء ، وهي عبارة عن حذاء دافيء طويل مصنوع من وبر الابل وجلود البقر يلبس في الشتاء . ويعد حذاء عملياً ومفضلاً من قبل البدو في المنطقة .

تتنوع أشغال الخشب في الاحساء لتغطي أنواعاً مختلفة بدءاً من بوابات أسوار البساتين الكبيرة والثقيلة إلى إطارات الدفوف ومصائد الطيور والمصائد ، وكذلك بعض الصناعات الخشبية الصغيرة البارعة مثل اللعب ومناصب الدلال والأقفاص والأسرة ... الخ . وهي تصنع عادة من جريد النخيل ولا تكون ضمن انتاج النجار المحترف . أما الصناعات المتخصصة فتشمل أشياء أخرى مثل أسرجة الجمال والحمير والبكرات والعربات (القاري) والأثاث والنوافذ والابواب . ويصدق الشيء نفسه على الجمع بين أشغال الخشب وصياغة الفضة ، اذ تمثل في صناعة أوعية مثل زبدية حليب الناقة ومباخر عطر العود . ورغم أن هذا الفن قد اختفى الآن وحل مكانه زبديات معدنية وأنواع جديدة من المباخر متعددة الألوان مطعمة بمجموعة من المرايا والنحاس يذكر أنها استوردت أولاً من البحرين ، لكنها صارت تقلد الآن في الهفوف . وهناك نوع مميز من الصناعات الخشبية عبارة عن وعاء خشبي على شكل مغرفة تستعمل لحفظ البن المحمص تسمى سارود . كانت تصنع في الاحساء لكنها لا تشاهد الآن إلا نادراً .

يستخدم الخشب لأغراض البناء عندما يكون استخدام جذوع النخيل أو سيقان الاثل المحلية غير مستحسن . وتستورد الأخشاب غالبا من الهند وشرق أفريقيا عن طريق البحرين . يقوم النجارون – من حيث الأساس – بالعمل في محلاتهم

(١) أشار فيلبي (١٩٣٣م) ص ١٤٥ وأيضا في سنة ١٩٥٢م ص ٢١٨ إلى استخدام اطارات السيارة للترقيع .

الخاصة ، ولكنهم عندما يريد شخص عمل بعض الأشغال الخشبية فانه يقوم بشراء الاخشاب اللازمة وأخذها إلى منزله واستئجار نجار أو مجموعة نجارين ليقوموا بانهاء العمل في منزله . وفي الوقت الحاضر يستخدم نجار الاحساء خليطا من الأدوات الحديثة المستوردة مثل الأزميل والكوس (زاوية النجار) والمسامير وبعض الأدوات المصنعة محلياً مثل أنواع متعددة من المناشير والقدوم والمثاقب المنحنية . ورغم غلبة الطابع الغربي على مجموعة أدواتهم ، إلا أن نجاري الاحساء يحتفظون بعادات عمل مميزة عديدة تجعل انتاجهم من ضمن الأنماط الشرقية بشكل أساسي . ورغم أن دكة النجار معروفة ، إلا أنهم يفضلون الجلوس القرفصاء على الأرض أثناء مزاولتهم العمل . ومن أجل الاحتفاظ بالخشب ثابتا أثناء نشره أو ثقبه ، فانهم يفضلون استخدام الأقدام لتثبيته بدلاً من استخدام الأيدي . ورغم امتلاكهم المسحاج (فارة النجار) إلا أنهم لا يزالون وبشكل كبيرة يسحجون الأخشاب بالقدوم .

يبدو أن نجاري الاحساء متخصصون بشكل أساسي في انتاج متطلبات البناء . فانتاج الأبواب والبوابات والنوافذ تكون غالباً قوية وقطعا فنية رائعة . ويشاهد المرء أحيانا قطعاً صغيرة من أنواع الخزائن في الهفوف مثل الخزانة ذات الأدراج وصناديق صغيرة مستوردة . إلا أن هناك صناديق صغيرة قليلة تعرف عموما باسم «خزائن اللؤلؤ» أو «خزائن المال» ، كانت تصنع في الماضي محليا .

ومن صناعات المجوهرات المشهورة في الاحساء الحلى المزخرفة التي تضعها النساء في آذانهن (الأقراط) وتصنع عموما من الذهب وتتكون من ثلاثة أنواع رئيسية : طوق (الخزامة) وتكون أما ملساء أو مزخرفة بالفضة وبقطع زجاجية ، وتلبس عبر ثقب في فتحة الأنف اليمنى ، ونجمة ملساء «نجمة» ، وزمام يكون أحيانا أملس وأحيانا مطعم باللؤلؤ أو بزخارف أخرى . يلبس الزمام والنجمة في فتحة الأنف اليسرى . ومن أجل الاعداد للبس هذه الحلى تثقب أنوف البنات في الاحساء وآذانهن عموما عندما يكون عمر الفتاة سنة أو سنتين ولا تؤخر عملية الثقب إلى السنة الثالثة أو الرابعة من عمر البنت إلا نادراً . ويكون التأخير أكثر حدوثا في حالات ثقب الأنف أكثر منه في ثقب الآذان . يعم ثقب الآذان بين نساء الاحساء ، أما ثقب الأنف فانه شائع بدرجة أقل ، وأن كانت حلى الأنف قد أصبحت قديمة أو

تقليدية . وقد تركت اليوم عادة ثقب فتحة الأنف الأيمن . ورغم أن فتحتي أنف البنت يمكن أن يثقب في وقت مبكر من عمرها إلا أنها لا تبدأ في وضع حلىّ الأنف حتى بلوغها سن الرابعة أو الخامسة . ومنذ بدء وضعها لهذه الحلى تستمر في لبسها . لا يشكل الاحتفاظ بحلى الأنف أية مشاكل . أما بالنسبة للزمام والنجمة فانهما مزودتان أما بمفصل متقاطع عند النهاية أو بعروة بالغة الصغر والتي تربط بخيط طويل وتدار الحلية حتى يلتوي الخيط داخل الجزء الداخلي لقطعة الحلية حافظاً أياها ثابتة في مكانها . وتعكس العملية من أجل نزع الحلية .

الفصل الرابـــــع
لمحات عامــــــة
آثار الاحســـاء «مسح آثاري»

تحديد المواقـــع :

لم تسمح لنا المتطلبات العملية والادارية لبرنامج مكافحة الملاريا أن نقضي أي وقت للقيام بمسح آثاري مفصل لسطح أرض الاحساء . لكن السفر في طول الواحة وعرضها جعل من الممكن تحديد مجموعة من المواقع الآثارية الموجودة على السطح للدراسة في المستقبل .

وقد بذلت محاولة للحصول على الأسماء المحلية لهذه المواقع ، لكن رغم وجود عدد من الأشخاص في القرى المجاورة لتلك المواقع غالبا يعرفون مواضع المواقع إلا أنهم عموما لا يعرفون اسما لها أو هم أيضا يعرفون أسماء كثيرة لكل منها . وبدلاً من استخدام أسماء غير مؤكدة فقد اطلقت عليها أسماء رمزية كالاحساء ١ ، والاحساء ٢ ... الخ . بأمل أن يتم في المستقبل بحث أشمل في المنطقة يسمح لنا باعتماد أسماء صحيحة للأماكن ، وترك الأسماء الرمزية المؤقتة .

الاحســــــــاء (١) :

عبارة عن موقع قرية كبيرة على بعد كيلو ونصف غربي قرية المنيزلة . يقع بمحاذاة قناة ري تقود إلى بستان صغير يسمى العصيرة يقع شمال قرية المنيزلة . والأسماء المطلقة على هذا الموقع من قبل أشخاص مختلفين هي أبو جبر وأبو شافع وجابرن وأبو شافعة . ونفضل استخدام الاسم الأخير . « انظر الرسم » .

وشكل القرية مربعة تقريبا يمتد محوره شمال غرب - جنوب شرق ، وينحرف جانبها الجنوبي الشرقي إلى الخارج . وللقرية سور مبني في معظمه من الطين . تتحول مياه النبع القريب المسمى أبو جبر أو أبو شافعة خلال قنوات تستخدم كخندق على طول أسوار القرية . ويسقي هذا النبع الأراضي المحيطة بالقرية .

ويوجد هناك نبع آخر يقع جنوب غربي الموقع .

يوجد في الزاوية الشمالية الغربية للقرية قصر كبير نوعاً ما (١١٠م × ٨٠م) مقسوم إلى جزئين بواسطة جدار سميك ، ربما كان يفصل الجزء المخصص للجند عن السكن الخاص للحاكم ، كما هو شائع في عديد من قصور اليوم . والقصر مبني من الحجارة والطين وله مدخل مقنطر مغطي بقوالب جصية مزخرفة مع نقوش لصفوف منقوشة نافرة من تصميم لم تحدد معرفته حتى الآن .[١]

وكمية الفخار الموجود في أرض هذا الموقعه أكثر من أي كمية شوهدت في أي مكان آخر في الاحساء . وقد تم جمع كل المواد الموجودة على سطح الأرض في مربع بلغ ضلعه متراً واحداً حيث بلغت نسبة المواد الملساء إلى المزخرفة ١ : ١ تقريبا . وقد جمع عدد كبير من قعور أواني آثارية فخارية وحافاتها من كل الموقع . وقد عثر على كسرة فخارية ملونة علما بانه لم يعثر على أي كسر فخارية ملونة في أي مكان في واحة الاحساء . كذلك وجدت عدة قطع نحاسية صغيرة وجميعها متحللة بشكل سيء ، ويبدو أنها جميعا قطع لعملات نقدية . وبعد تنظيفها اتضح على قطعة منها شعار «نجمة داوود» مطابق لما وجد على بعض العملات البيزنطية .

وقد جمعنا كذلك عدداً كبيراً من قطع لأسورة زجاجية زرقاء ، وبعض الزجاج الأسود ، وبعض زجاج برّاق متعدد الألوان (أخضر ، أصفر ، بني ، أسود ، أرجواني) وسوار مكون من صفوف متعاقبة من أشكال لولبية سوداء وزرقاء .

وتنتشر في أرض الموقع كميات من الزجاج ومخلفات من صهر المعادن . وشائع أيضا وجود سلع مزججة زرقاء وخضراء . وربما يمكن أن يستنتج أن بعض الأعمال الزجاجية والمعدنية قد عملت محليا على الأقل .

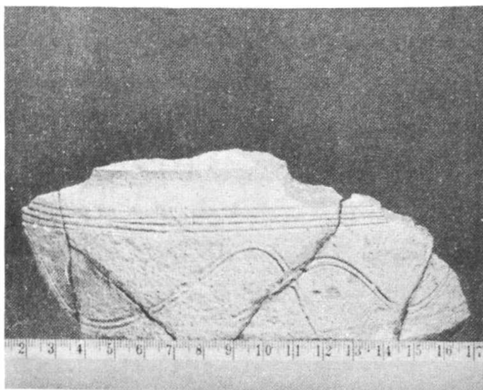
هذا وقد وجدت سكين حديدية معكوفة وعدة أمواس معظمها من الزجاج البراق . وعثر على صدفة محار قطعت من جزء سلسلة أو سوار .

---

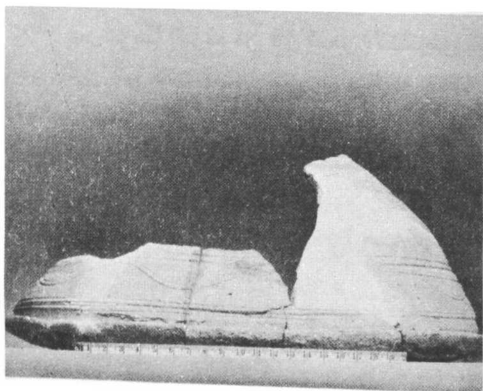
(١) لعل هذا هو قصر أجود بن زامل ، (المترجم) .



اناء للحليب ومبخرة صنعا في الاحساء . يتميزان بزخرفتهما بنماذج من مسامير فضية ونحاسية .



زبدية كبيرة مزخرفة . وجدت في موقع بلابل توضح الزخرفة المتموجة التي تشاهد احيانا في فخار الاحساء .



اجزاء لانية مزخرفة وجدت في موقع ابو شافع تحمل طابع الزخرفة المتموجة

وتوجد سلع صينية وحجرية وان كانت ليست كثيرة .

الاحســـــاء (٢) :

علم على هذا الموقع في خريطة ديكسون .[١] ويقال أنه كان يسمى بلابل والموقع عبارة عن مجموعة تلال صغيرة في وسط احدى مقالع الحجارة الجيرية في الهفوف .

وقد وجد فيه مجموعة من الكسر الفخارية غير المعلمة . يتكون معظمها من أجزاء زبديات خزفية مسطحة كبيرة جداً غير ملونة وملساء . وكانت أكثر قطعة وجدت في هذا الموقع تثير الانتباه هي جزء صغير من زبدية صغيرة مسطحة مصنوعة من الكاليست أو القشرة الكلسية وهي ذات جوانب عمودية .

الاحســـــاء (٣) :

موقع صغير يقع شمال موقع الاحساء ٢ تقريبا في سبخة مسطحة ، ويضم مجموعة أخرى من تلال صغيرة يقال أنه يسمى الفليّة . وبقاياه الآثارية مشابهة لما هو موجود في موقع الاحساء ٢ .

الاحســـــاء (٤) :

يعرف هذا الموقع من قبل بعض الاشخاص باسم برج الأحمر . ويتكون من بقايا يظهر أنها كانت قصراً صغيراً تحيط به منطقة مأهولة . يقع هذا الموقع على الجانب الجنوبي للطريق الموصل بين موقع الاحساء ٣ وعين باهلة . ولم يعد الموقع القديم للسكن في المنطقة المجاورة مستخدماً اليوم . والفخار الذي جمع من هذا الموقع رديء جداً .

---

(١) Dickson, 1949.

الاحســـــاء (٥) :

هذا هو الموقع القديم لمستوطنة «جواثا» . ويقع شمالي قرية الكلابية على المنحدر الجنوبي الشرقي لجبل البريقاء . ويقال أنها كانت أبرز مستوطنة مهمة خلال زمن القرامطة . ووفقاً لرواية اسطورية أنها المكان الذي حفظ فيه الحجر الاسود خلال بقائه في الاحساء . * ويوجد بقايا لبعض البنايات الكبيرة (أحدها مسجد) ومخلفات كثيرة من الفخار الشائع في الاحساء وقطع زجاجية .

الاحســـــاء (٦) :

يقع هذا الموقع شرقي قرية الطرف . ويتكون من أكوام منخفضة مطمورة قرب مقلع أحجار مهجورة . ولم يعثر على قطع فخارية هنا .

الاحســـــاء (٧) :

موقع قرية شرقي قرية الطرف . يقع على بعد كيلو متر من القرية الحالية . يشابه فخاره وزجاجه ما هو موجود في موقع الاحساء ١ .

الاحســـــاء (٨) :

يقع هذا الموقع إلى الشرق من جنوب قرية الفضول . وهو موقع قرية مكونة من أجزاء صغيرة . ويذكر أنها تسمى أبو حريف كما تسمى أيضا الموخولية . لا يوجد اختلاف يمكن ملاحظته بين الفخار المحلي وذلك الموجود في الاماكن الاخرى في واحة الاحساء .

الاحســـــاء (٩) :

يتكون هذا الموقع من بقايا يظهر أنها كانت قرية صغيرة شرقي قرية الفضول . يغلب على الفخار الموجود بالموقع كونه أملس ، وغالبا ما يكون لونه

(★) لا ندري من أين جاء المؤلف بهذه الرواية حتى وان قد سماها اسطورية ، اذ لم يشر إلى مرجع ذلك ، وحسب معلوماتنا أن الحجر الأسود قد حفظ في بناء أسماه أبو طاهر القرمطي «الكعبة» ، تعرف الآن باسم «الجفبة» وتقع بين قرية الجش وبلدة سيهات جنوبي القطيف . ثم ان جواثا درست في زمن القرامطة أو قبهم بقليل ولم ترد اشارة في المصادر إلى جواثا في زمن القرامطة . (المترجم) .

رمادياً مخضراً . يختلف هذا الفخار عما هو موجود قرب موقع الاحساء (١) . ويظن أن القرية قد سكنت خلال فترات مختلفة وربما في الأزمنة الحديثة .

الاحســـــــاء (١٠) :

هنا موقع لقرية صغيرة تقع إلى الجنوب من شرق قرية الشهارين الحالية . لا يوجد اختلاف ملحوظ في الفخار فيها عما هو موجود في موقع الاحساء (١) .

الاحســـــــاء (١١) :

يقع هذا الموقع على بعد حوالي كيلو ونصف شمالي – شمال شرقي موقع الاحساء (١٠) . والموقع عبارة عن تلال قليلة لمقابر وسكن تقع قرب نبع قديم يسمى العشش . تقع المقبرة شرق الموقع السكني . وقد وجد في وجه أحد أكوام الدفن قبر متعدد كان الدفن فيه قرب سطح الأرض عرته الرياح والأمطار . ويوجد هنا وهناك عظام مكشوفة .

وقد وجدنا هنا بالاضافة لبقايا أخرى مشابهة لما هو موجود في موقع الاحساء (١) ، آنيتين مزخرفتين كاملتين إلى حد ما . مفقود منها المقبضان وحافتاهما تالفتان جزئياً . ويبدو أن هاتين الآنيتين دفنت مع الأشخاص وكانتا في وضع مستقيم قرب العظام المكشوفة وكانتا إلى حد ما مكشوفتين نتيجة لعوامل التعرية . زينت أحدى الآنيتين بثقوب على الجزء الأسفل منها ويبدو أنهما صنعتا بعناية خاصة . وقد وجدنا في أماكن أخرى في واحة الاحساء قطعا عديدة من الفخار عليها أشكال مربعة أو دائرية يظهر أنها منحوتة بعناية على جزء كبير منها . ويبلغ طول ضلع المربعات حوالي بوصتين كما يبلغ قطر القطع الدائرية حوالي بوصتين أيضا . ومن الممكن إذا أخذنا في الاعتبار العدد الكبير من الأواني المصنوعة ، أن يجد المرء مثل تلك القطع بالصدفة أو أن هذه القطع الدائرية يمكن أن تكون علامة فارقة لصناع الفخار القابل للتلميع أو وزن الآنية أو الثنية الحلزونية لعمود الدوران المحوري التي لم يتوفر للصانع وقت ليحفر ثقب خلالها . ونعتقد أنه أما إختياريا أو الأرجح أن بعض الأواني في الاحساء كانت تدفن مع الموتى كنوع من قرابين الدفن .

الاحســـــاء (١٢) :

يسمى هذا الموقع «كوراج» من قبل بعض سكان قرية القارة . يقع الموقع على منصة صخرية عند قاعدة هضبة القارة بين مكان محدد على الخريطة باسم كهف الفخار وقرية القارة . ويبدو أنه كان موقعاً لقرية كبيرة . وتظهر جدران بعض المنازل أكثر وضوحاً هنا من أي موقع آثاري آخر . ولا يبدو من أطلال المسجد الكبير ، والواقع شمال موقع الاحساء (١٢) على الطريق إلى قرية التويثير ، بأن عمر المسجد يتجاوز خمسين أو مائة سنة . ويوجد كذلك موقع مقبرة في هذا الموقع .

تقدم كسر الفخار الموجودة على المنحدر الواقع في مواجهة كهف الفخار أنواعا فخارية متعددة من أنماط مختلفة . وبما أنه محتمل أن معامل الفخار قد عملت منذ وقت طويل ، فاننا نعتقد أن دراسة تلك الفلزات الصخرية ستكافىء دارسيها في محاولة الحصول على معلومات مهمة أقلها معرفة ترتيب تعاقب الحقبات الزمنية لفخار الاحساء .

الاحســـــاء (١٣) :

يقعع هذا الموقع شرقي مدينة المبرز عند تفرع الطريق إلى البطالية . يقدم هذا الموقع النمط نفسه من الفخار كما هو موجود في موقع الاحساء (١) . ويبدو أنه كان موقعاً لقرية .

الاحســـــاء (١٤) :

يقع على بعد نصف كيلو شمال عين الحارة ، وهو عبارة عن موقع قرية كبيرة محصنة ذات شكل خماسي . ويماثل الفخار الموجود في هذا الموقع الفخار الموجود في موقع الاحساء (١) .

الاحســـــاء (١٥) :

يقع هذا الموقع على بعد حوالي كيلو مترين شمال غربي موقع الاحساء (١٤)

وهو موقع لمستوطنة غير قياسية الشكل . يشابه الفخار الموجود فيه الأنواع الموجودة في واحة الاحساء .

الاحســــــاء (١٦) :

يقع هذا الموقع جنوب شرقي عين نجم قرب محطة سكة الحديد . ويتكون من بقايا قرية وقصر كبير يسميه سكان المبرز قصر الحزم . وقد كان الموقع القديم لمخيم البدو في الحزم ، اذ يقع قرب أو وسط هذه الخرائب قبل أن ينتقل المخيم إلى موقعه الحالي غرب الضلع الغربي لسور مدينة المبرز .

وعلاوة على هذه المواقع توجد بعض تلال المقابر والتلال المحتمل أنها كانت مسكونة والتي يمكن رؤيتها شمال قرية المحترقة وجنوب شرقي قرية المراح ، وجنوب غربي قرية الفضول ، وشرقي قرية الجشة ، وغربي مطار الهفوف (القديم) . وتوجد أيضا تلال منعزلة ومقابر قديمة فيما يبدو حول كل المناطق المجاورة للواحة . كما تشاهد كذلك بقايا لشبكات ري قديمة من طراز القناة في عدة أماكن .

وصف للبقايــــــا :

باستثناء الموقع الصغير لموقع الاحساء (٩) ، تبدو البقايا الآثارية المتناثرة على السطح في الاحساء متشابهة . ومن بين المواقع يتميز موقع الاحساء (١) بأنه أكثر غنى بموجوداته التي تعكس مع كثرة عدد المخلفات مجالاً أكثر للتنوع . وبما أن الأنماط الموجودة هنا يتكرر وجودها في جميع أنحاء الواحة ، فأننا نعتبر موقع الاحساء (١) هو النموذج المحلي . وليس مرد ذلك فقط إلى أنه الموقع الأول الذي حددناه ، ولكنه الموقع الذي كررنا زيارته وحصلنا على تفاصيل أكثر عنه .

تماثل الأسورة الزجاجية التي وصفناها اعلاه تلك التي وجدت على طول الساحل الغربي للخليج العربي في المنطقة الواقعة بين الجبيل والعقير . وقد وجدت كذلك شظايا قليلة لأكواب زجاجية أو أقداح في الاحساء ومعظمها خضراء وأحيانا زرقاء ونادرا عسلية اللون . وتتروح سماكتها من ٥ر١ إلى ٩ر٠ ملم وربما أدق من

ذلك . وقد أوضحت أربع من الصوان التي وجدت برهانا على قصد صنعها لأغراض معينة ، فاثنتان منها كانتا ذات حافة منحدرة ولكنهما لا تطابقان أو تشابهان أي نوع معروف ، ومن الممكن أنهما كسيتا برقائق أو بقشرة مزركشة .

ويبرز بين معظم البقايا الآثارية المنتشرة على سطح الأرض في واحة الاحساء الفخار . والفخار في غالبه أوان مزخرفة تكون عادة ناعمة ولونها عموما قرنفلي مماثل لأنواع البسكويت المحمص على النار . كما وجد بعض الطين المختوم Terra Sigillafa ★. وعنصر معالجة الطين الفخاري الشائع في الواحة هو الرمل ، ثم يوضع الاناء المراد صنعه على دولاب متحرك . ولا يندر وجود شرائح صفراء لكنها ليست شائعة الوجود . وتأتي في المنزلة الثانية من بين البقايا من حيث كثرة وجودها الأواني السوداء السميكة والتي تصنع عادة باليد وتكون ملساء عموما ويكون حرقها بالنار رديئاً ويستخدم فيها رمل خشن كمعالج للطين الفخاري ويكون ذلك الرمل غير نقي إلى حد كبير . تحرق بعض الأواني السوداء ولذلك يكون سطح باطنها وظاهرها أسود بينما يبقى لب الآنية قرنفلي اللون . وتختلف سماكة الفخار القرنفلي من ٤ إلى ٢٣ ملم . وفي الأواني السوداء يكون السمك من ٨ إلى ٣٢ ملم .

تتألف الزخرفة والنقوش الأساسية لأواني الاحساء الفخارية من صف محزز متموج يكون غالبا داخل اطار مكون من خطين مستقيمين متوازيين . ويعرض هذا التصميم الأساسي في أشكال متعددة مختلفة . وتظهر فيها زخرفة منقطة وصغيرة لكنها نادرة . وتبدو أشكال التصميم غالبا في وضع رأسي ولكن كقاعدة تمضي التصميمات في وضع أفقي حول الاناء .

ولا يوجد من بين الأواني التي عثر عليها إلا ما وجد في موقع الاحساء (١١) ، والتي تعطي دليلاً على أشكال الفخار المستخدم في الاحساء . فالأواني

(★) أواني فخارية قديمة مصنوعة من صلصال أحمر . بدأ أنتاجها في مدن آسيا الصغرى الاغريقية منذ حوالي ١٥٠ ق.م . ثم انتشرت صناعتها في ايتاليا (اريتيوم) واستمرت حتى نهاية العصر القديم . والأواني تزخرف برسوم فاخرة ، أو تترك بدون رسوم . كما توشح بختم يحدد هوية الصانع أو المعمل . وبالنظر لكثرة انتاج هذه الأواني ، وانتشار استيرادها في العالم القديم فان العثور على بقاياها ضمن وسط أثري ما ، يساعد الآثاريين في تحديد تاريخ ما يجاروها بقدر كبير من الدقة . (المترجـم) .

والجرار والزهريات التي يكون ارتفاعها ما بين ٥ - ١٥ بوصة والتي تبدو أنها متكررة بوفرة . وبالحكم من المقابض الموجودة فان الاحسائي القديم يستخدم كذلك عدداً من جرار كبيرة وطويلة وربما كانت ضيقة الرقبة . ويشيع وجود زبديات مسطحـة ويصنع بعضها خصيصاً في أحجام كبيرة قد تصل قطرها إلى ٢٠ أو ٢٥ بوصة . وفي الوقت الحاضر يبدو من المستحيل أن ترتب المخلفات الموجودة في الاحساء حسب حقب زمنية متعاقبة . فالعملة البيزنطية والعدد الكبير من الأواني المزججة الزرقاء والخضراء من النوع المألوف خلال الشرق الأوسط ، ويمكن أن يستنتج أنها من العصور الوسطى . فنوع الفخار الأموي والعباسي المبكر شائع وجوده في المنطقة . وقد قمنا بمحاولة لادراك درجة التشابه بين الفخار الموجود في مواقع الاحساء كما وصفناها وتلك التي تستخدم اليوم . فقد استنجدنا بمساعدة حوالي أثنى عشر طفلاً من قرية الشهارين وطلبنا منهم أن يذهبوا إلى الأكوام والتلال الموجدة في قرى الشهارين والفضول والمنيزلة ، وأن يجمعوا كل ما تقع عليه أعينهم من قطع آنية الفخار أو شظايا زجاجية . وكانت نتيجة تجربة الشهارين ناجحة ومهمة : فمن القطع الزجاجية وجدنا أربعا من القناني الحديثة ، وواحدة كانت قطعة من سوار زجاجي مطليّ بألوان متعددة ولا يشابه أيّا من موجودات مواقع الاحساء الآثارية . أما فيما يختص بالفخار فلم يكن هناك درجة قليلة من التداخل بينه وبين ما هو موجود في مواقع الاحساء الآثارية . وقد كانت أواني تجربة الشهارين في معظمها فقيرة جداً ومعالجة بالرمل ، اذ كان خلطه سيئاً وكذلك حرقه . ويتميز بكونه هشاً جداً وسميكاً على العموم ، حيث كان السمك دائما أكثر من ٩ ملم . وكان لونه على الأغلب أخضر غامق . كما كانت الشظايا كلها من أوان مزخرفة ناعمة بالاضافة إلى شظايا يتضح منها أنها أكواب القهوة الصينية الحديثة . أما تصاميم الفخار فقد حافظت على الخطوط المتموجة الأساسية ، لكنها معمولة حديثاً بآثار أسنان مشط متعددة ومتوازية . كما وجدت الابلكة أو العقد الزخرفية في الفخار الحديث ، وهي زخرفة تقليدية لم تشاهد في الأواني الفخارية القديمة . لم تظهر تجربة الشهارين فقط أن فن صناعة الفخار في الاحساء في انحطاط كبير ، بل أوضحت وجود امكانيات لفترات زمنية معتبرة بين سكنى المواقع الآثارية للاحساء التي دوناها وبين انشاء بعض القرى الحالية .

يلزم القيام بأعمال تنقيب آثارية كبيرة قبل أن يستطيع المرء محاولة الاجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بتاريخ الاحساء والمناطق المجاورة لها مباشرة : هل الاحساء الاقليم الذي كان يسمى أتني Attene في العصور القديمة ؟ كيف كانت كثافتها ، وماذا عن الفترات الزمنية التي تربط الاحساء بصلات وثيقة بمنطقة العقير ، كما برهن بأنواع الفخار المتشابه ؟ هل المدينة التي أسماها الرومان القدماء واليونانيون «جراها» تقع في موقع العقير الحالي ، أو هل يمكن أن يقصد «ميناء جراها» ميناء لمدينة سميت «جراها» تقع داخل البر ، وفي هذه الحالة هل يكون الموقع المحلي المعروف باسم«جراها» في الاحساء قرب قرية البطالية هو «جراها» القديمة ؟ ومن المهم كذلك الحصول على بعض المعلومات الكاملة عن العصور القديمة والاستيطان السكاني في الواحة ، والبحث عن بقايا العصور الحجرية في الكهوف الموجودة في المنطقة المجاورة مباشرة .

ثانياً : معلومات حول تعداد السكـــان :

تم التوصل إلى تقدير السكان في هذا الكتاب أولاً بمعدل عدد السكان في كل منزل ، وبمعدلات منفصلة أحصيت في كل قرية . حسبت أسس هذه المعدلات بناء على إحصاء عشرين منزلاً في القرى الكبرى وما بين خمسة إلى عشرة منازل في القرى الصغيرة والتجمعات السكانية الأصغر . وندرك أن هذه النماذج تكون في الغالب غير ملائمة خاصة في القرى الكبرى ، إلا أن ضيق الوقت منعنا من القيام بأية محاولات للتأكد من احصاء انتقائي وعددي واف للنماذج . وقد ضرب معدل عدد السكان في المنزل في عدد المنازل في القرية المختارة . وبما أن فريق عملية مكافحة الملاريا استدعى لرش كل المنازل بالمبيدات فقد كان من السهل نسبياً الاحتفاظ بعدد دقيق لعدد المنازل في كل قرية . ونعتقد أن نسبة المنازل التي أغفلت لا تزيد عن نسبة ٠٫٥٪ ونتيجة لذلك فاننا نشعر أن تعداد السكان في القرى قريب من الأعداد الفعلية إلى حد ما .

لم يكن بالمستطاع اتباع هذه الطريقة في المدن الكبيرة كالهفوف والمبرز . ويعود سبب ذلك لكون سكان المنزل الواحد كثيرين وأن عدد المنازل التي فحصت

يجب زيادتها إلى رقم يمكن من احصائها ضمن الوقت المتاح على الأقل . أوضحت الملاحظة لداخل منازل الهفوف والمبرز أن عدد السكان الذين يسكنون في غرف تلك المنازل تكون عموما في حجم مقارن لغرف منازل القرى . وأن القصور الفخمة والرحبة القليلة في الهفوف والمبرز تمتاز بوجود فراغ أكبر من المعتاد أكثر مما هو في المنازل المكتظة بكثرة والملاحظة في الأحياء المزدحمة والتي تقطنها الأسر المعتمدة على العمل ، ولا يوجد مثيل لتلك القصور الكبيرة في القرى .

وبالأخذ في الاعتبار عدد السكان في تقديرنا لقرى الواحة كرقم يعتمد عليه ، فقد حسبنا معدل كمية ألـ د.د.ت. المستخدمة في رشها ثم كمية ألـ د.د.ت. المستخدمة في رش منازل الهفوف والمبرز وقسم بنفس المقدار . واعتبر الرقم الذي تم التوصل إليه كتخمين ممكن لعدد سكان المبرز . أما في حالة مدينة الهفوف فان الرقم قد قرّب إلى الأعلى باضافة حوالي ٣٠٠٠ نسمة من أجل ضمان حساب الكثافة السكانية العالية في بعض الأماكن .

عندما تستخدم التقدير السكاني المقدم في هذا الكتاب كأساس عملي فانه ينبغي أن تضع الملاحظات التالية في اعتبارك :

١ - ان أرقامنا لا تزيد عن كونها مجرد تقدير مبني على معلومات وتخمينات مستقاة من مصادر محلية .

٢ - ان الأرقام المعطاة لمدينتي الهفوف والمبرز هي أقل في أمكانية الاعتماد عليها من تلك الأرقام الخاصة بالقرى .

٣ - ان أقل الأرقام من بين الأرقام جميعا التي يضعف الاعتماد عليها هي الأرقام. الخاصة بالسكان من البدو الرحل . فالعدد المعطي اجماع عام لمصادرنا من بين الفئات المتعلمة والمحافظة .

٤ - ان تعداد سكان الاحساء يمر الآن بتغير سريع في كل من العدد والموقع . ولذلك فان الرقم ذا الخانات الأربع ينبغي مراجعته مرة أخرى في المستقبل القريب ، ربما في موعد لا يتعدى سنة ١٩٥٦م .

المراجــــع

أولاً : المراجع العربيــــة :

١ - بـــدوي ، حسين محمــد ، الزراعة الحديثـــة ، القاهرة ١٩٥٠م .

٢ - الدخيل ، سليمـــان ، تحفة الالباء بتاريخ الاحســـاء ، ١٣٣٠هـ .

٣ - حمـــزة ، فـــؤاد ، جزيرة العرب القاهرة ، ١٩٣٣م .

٤ - ملحس ، رشدي الصالح ، مسافات الطرق في المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، ١٣٦٨هـ ، ١٣٦٩هـ .

٥ - وهبـــة ، حافـظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ١٩٣٥م .

٦ - الحمـــوي ، ياقـــوت عبدالله ، مجمع البلـــدان ، القاهـــرة ، ١٩٠٢م .

ثانياً : المراجع الاجنبيــة

1. **Arrowsmith, J.** Ancient Atlas. London. (N.D.)
2. **El-Baker, Abdul-Jabbar,** Date Cultivation in Saudi Arabia. Rome. F.A.O. Report No. 31 (1952).
3. **Braunlich, E.** The Well in Ancient Arabia. Leipzig. Reprint from Islamica, Vol. I. (1926).
4. **Burchardt, H.** Ost-Arabien von Basra bis Maskat auf Grund eigener Reisen. Berlin. Zeitschrift der Gesellschaft fur Erdkunde zu Berlin, Vol. XLI, pp. 305-322. (1906).
5. **Cheesman, R. E.** In Unknown Arabia. London. (1926).
6. **Crary, D.D.** Recent Agricultural Developments in Saudi Arabia. New York. Geographical Review, Vol. XLI, pp. 366-383 (1951).
7. **De Gaury, G.** Arabia Phoenix. London. (1946)
8. **De Goeje, M.J.** Memoires d'Histoire et de Geographie Orientales. Leiden. (1862).
   La Fin de L'Empire des Carmathes du Bahrain.
   Paris. Journal Asiatique. Vol. V, n.s. Jan.-Feb. pp. 5-30. (1895).
9. **Dickson, H.R.P.** The Arab of the Desert. London. (1949).

10. **Dowson, V.H.W.** Dates and Date Cultivation in Iraq. Cambridge. parts 1-3. Printed for the Agricultural Direectorate of Iraq. (1921-23).
The Date Cultivation and Date Cultivators of Basrah. London. Royal Central Asian Journal, Vol. XXVI. April. pp. 247-260. (1939a).
Provisional List of the Date Palms of the Iraq.
Trinidad. Tropical Agriculture, Vol; XVI. No. 7 pp. 164-168. (1939b).
The Anthropology of Iraq. Part I., Vol. II. (1949).
Notes on the Date Palm in Iraq. In Field, H., (1949a)
The Date and the Arab. London Royal Central Asian Journal, Vol. XXXVI. January. pp. 34-41. (1949b)
To Arabia in Search of Date-palm Offshoots. London.
Royal Central Asian Journal, Vol. XXXIX. January. pp. 45-56. (1952).
11. **Great Britain ; Admiralty; Hydrograic Department.** Persian Gulf Pilot (1942).
12. **Great Britain; Admiratly War Staff; Intelligence Division.**
A Handbook of Arabia. Vol. I. London. (1916).
A Handbook of Arabia. Vol. II. London; (1917).
13. **Harrison, P.W.** The Arab at Home.New York. (1924).
14. **Hogarth, D.G.** Penetration of Arabia. London. (1905).
15. **Ibn Battutah, Muhammad Ibn Abd Allah.** Voyages d'Ibn Batoutah. Ed. Deferemery and Sanguinetti. Paris. (1854).
16. **India; General Staff.** Routes in Arabia. Simla. (1916)
Motor Transport Routes in Saudi Arabia. Mimeographed. (1945)
17. **Kemball, A.B.** Memoranda on the Resources, Localities and Relations of Tribes inhabiting the Arabian Shores of the Persian Gulf. Bombay. Bombay Selections, Vol. XXIV. Jan. pp. 111-114. Qouting Lt. Jopp's routre in November 1841 from Ojair to Hoofoof. (1845).
18. **Khosrau, Nassiri.** Sefer Nameh.Ed. Schefer. Paris. (1881).
19. **Lorimer, J.C.** Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. 3 vols Calcutta. (1908).
20. **Mackie, J.B.** Hasa; an Arabian Oasis. London. Geographical Journal, Vol. LXIII. March pp. 189-207. (1924).
21. **Musil, A.** Northern Negd; A Topographical Itinerary. New York. (1928).
22. **Nallion, C.A.** L'Arabia Sa'udiana. Rome (1939).
23. **Niebuhr, C.** Beschreibung von Arabien. Kopenhagen. (1772).
24. **Nixon, R.W.** Imported Varieties of Dates in the United States.
Washington. U.S. Department of Agriculture Circular No. 834. (1950)
The Date Palm, "Tree of Life" in Subtropical Deserts. New York. Economic Botany, Vol. V. pp 274-301 (1951).

25. **Palgrave, W.G.** Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabian. 2 Vols. 2nd edition. London, Cambridge. (1865)

26. **Pelly, L.** Remarks on the Tribes, Trade and Resources around the Shore Line of the Persian Gulf. Bombay. Transactions of the Bombay Geographical Society, Vol. XVII. pp. 32-112. (1863).
A Visit to the Wahabee Capital, Central Arabia. London. Journal of the Royal Geographical Society, Vol. XXXV. pp. 169-191. (1865).

27. **Philby, H. St. J.B.** The Heart of Arabia. 2 Vols. New York. London. (1923).
The Empty Quarter. New York. (1933).
Arabian Highlands. Ithaca, N.Y. (1952).

28. **Raunkiaer, B.** Through Wahabiland on Camel-back. Cairo. (1916).

29. **Rentz, G.S.** Muhammad ibn' Abd Al-Wahhab and the Beginnings of Unitarian Empire in Arabia. Berkeley, ms. (1947).

30. **Rihani. Ameen.** Ibn Sa'oud of Arabia. London. (1928).
Around the Coasts of Arabia. Boston. New York. (1930).

31. **Sadlier, G.F.** Account of a Journey from Katif on the Persian Gulf to Yamboo on the red Sea. With a Route. Bombay. Transactions of the Literary Society of Bomnay, Vol. III pp. 449-493. (1823).
Diary of a Journey across Arabia from el Khatif in the Persian Gulf to Yambo in the Red Sea, during the year 1819. Comiled by P. Ryan Bombay. (1866).

32. **Sprenger, A.** Die alte Geographie Arabiens, als Grundlage der Entwicklungsgeschichte des Semitismus. Bern. (1875).

33. **Twitchell, K.S.** Water Resources of Saudi Arabia. New York. Geographical Review, Vol. XXXIV. pp. 365-386. (1944)
Saudi Arabia. Princeton, N.J. (1947)

34. **Twitcheel, K.S., Wathen, A.L. and Hamiliton, J.G.** Report of the United States Agricultural Mission to Saudi Arabia. Cairo. (1943).

35. **Von Oppenheim, M.** (Freiherr). Die Beduinen. Vol. III. Part I.Wiesbaden. (1952).

36. **Von Wissmann, H.** Arabian. In Klute, F., Handbuch der Geographischen wissenschaft. Vorder und Sudasien in Natur, Kultur und Wirtschaft. Potsdam, pp. 179-211. (1937).

37. **Warriner, D.** Land and Poverty in the Middle East. London, New York (1948).

38. **Wilson, A.T.** The Persian Gulf. Oxford. (1928).

39. **Wuestenfeld, F.** Bahrein und Jemama. Nach Arabischen Geographen beschrieben. Goettingen. Abhandlungen der Koeniglichen Geslischaft der Wissenschaften zu Goettingen, Vol. XIX. pp. 172-223. (1874).

40. **Zwemer, S.M.** Arabia : the Cradle of Islam. New York. (1900).